أنا محمد وأنا أحمد...

ﷺ

الجزء الأول

تأليف

سماحة الإمام العلامة

صلاح الدين النجاني الحسني



قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

﴿أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الماحِي الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ ، وَأَنَا الحاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ ؛ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ﴾

متفق عليه من حديث

جبير بن مطعم رضي الله عنه

ترجمة

مولانا العارف بالله تعالى

سماحة الإمام الشريف

صلاح الدين التجاني

رضي الله تعالى عنه وأرضاه

بسم الله الرحمن الرحيم

محدث العصر ، علّامة مصر ، عالم الأشراف وشريف العلماء ، الإمام المجدد صلاح الدين التجاني الحسني ، نادرة عصره في مصره . بهجة المحدثين وزينة المسندين ، العالم العامل العارف ، حامل لواء أهل الرواية والأثر . فما روى حديثاً ولا أثراً ، ولا خبراً إلَّا وله عنده سند . حسيبٌ نسيبٌ ينتهي نسبه الشريف إلى مولانا الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين .

فهو رضي الله عنه عديم النظير في علم الحديث على اختلاف فنونه ، عالما بصحيحه من سقيمه ومعلوله .

طأطأ له علماء عصره الرؤوس ، لعلو سنده ، ومضاء هممه ، فهو خاتم الحفاظ ، وفارس المعاني والألفاظ . يروي بأعلى سند ، عن أساطين المحدثين في عصره ، قال سماحته :

ونحن – والحمد لله على كرمه ومَنِّهِ وفضله علينا – نروي عن وفرة وفيرة من أكابر المحدثين والحفاظ في هذا العصر ، أوردتها بكتابي (**بلوغ الأماني في أسانيد الشريف صلاح الدين التجاني**) ولكن لضيق المقام ، وخوف

الإطالة ، فقد اخترت منهم أربعة ، هم أساطين العلم في الدنيا ، وعليهم مدار الرواية في علم الحديث ، في هذا العصر :

- **فأولها** : عن أبي الكمال محدث الدنيا : العارف بالله سيدي محمد الحافظ التجاني المصري رضي الله عنه .
- **وثانيها** : عن مسند الحرمين الشريفين : الشيخ أبي الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي رضي الله عنه .
- **وثالثها** : عن الحسيب النسيب علامة المغرب الأقصى ومفخرة المغرب على المشرق : سيدي أبي العلاء إدريس بن العابد العراقي رضي الله عنه .
- **ورابعها** : عن علامة المغرب : الشيخ عبد الله بن صديق الغماري رضي الله عنه .

رحمهم الله جميعا ، وجزاهم عنا خير الجزاء .

أولا – العلامة محمد الحافظ التجاني ، ويروي عن كل من :

١- العلامة محمد عبد الحي الكتاني .

٢- السيد بدر الدين الدمشقي .

٣- الشيخ ألفا هاشم المدني .

٤- الشيخ كمال الدين بن أبي المحاسن القاوقجي .

٥- أمة الله بنت الشيخ عبد الغني الدهلوي .

٦- الشيخ محمد بن محمود خفاجة الدمياطي .

٧- الشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري .

٨- الشيخ عبد الله بن غازي الهندي .

٩- المعمر محمد بن إبراهيم العقودي المصري .

١٠- الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الصديقي الهندي .

١١- الشيخ محمد الصادق الرياحي التونسي .

ثانيا – العلامة الفاداني ، ويروي عن خلق لا يحصيه العاد ، وأشهرهم :

١- الشيخ علي بن فالح الظاهري المدني .

٢- الشهاب أحمد بن عبد الله المخللاتي الشامي .

٣- الشيخ خليفة بن حمد النبهاني .

٤- الشيخ إبراهيم بن موسى الخزامي السوداني .

٥- العلامة السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني .

٦- الشيخ عمر حمدان المحرسي .

٧- الشيخ محمد علي بن حسين المالكي المكي .

٨- الشيخ محمد عبد الباقي اللكنوي المدني .

ثالثا – العلامة إدريس العراقي ، ويروي عن كل من :

١- العلامة المحدث الشريف محمد المدني بن الغازي بن الحسني الرباطي .

٢- العلامة محمد بن محمد الحجوجي .

٣- السيد العلامة محمد الحافظ التجاني .

٤- العلامة سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج .

٥- العلامة سيدي الحسن بن الحاج عمر مَزُور .

٦- العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني .

رابعا – العلامة الشيخ عبد الله بن صديق الغماري ، ويروي عن كل من :

١- الشيخ محمد بخيت المطيعي ، مفتي مصر .

٢- الشيخ عبد المجيد اللبان .

٣- الشيخ محمد حسنين مخلوف .

٤- الشيخ عبد الرحمن البنا .

٥- الشيخ محمد زاهد الكوثري .

٦- الشيخ محمد الخضر حسين .

٧- الشيخ إدريس السنوسي ، ملك ليبيا .

٨- الشيخ الطاهر بن عاشور .

٩- الشيخ يوسف النبهاني .

١٠- الشيخ بدر الدين الحسني الدمشقي .

ونحن نروي صحيح الإمام البخاري ، بأعلى سند على وجه الأرض ، فنرويه :

١- عن : سيدي محمد الحافظ التجاني ، والشيخ الفاداني ، والشيخ العراقي .

٢- ثلاثتهم عن : الشيخ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الكتاني .

٣- وهو عن : المعمر الشيخ أحمد بن منلا صالح السويدي البغدادي الشافعي .

٤- وهو عن : نادرة الزمان الحافظ محمد مرتضى الزبيدي الحسني .

٥- وهو عن : المعمر محمد بن سنَّة الفلاني المالكي .

٦- وهو عن : الشيخ أحمد بن محمد بن العَجِل اليمني .

٧- وهو عن : القطب النهرواني .

٨- وهو عن : الشيخ أحمد بن أبي الفتوح الطاوسي .

٩- وهو عن : المعمر بابا يوسف الهروي .

١٠- وهو عن : أبي عبد الله محمد بن شاذ بخت الفارسي الفرغاني .

١١- وهو عن : يحيى بن شاهان الختلاني .

١٢- وهو عن : محمد بن يوسف الفربري .

١٣- وهو عن : الإمام الحافظ الحجة : محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه .

- فبفضل الله وكرمه ، بيني وبين البخاري ، اثنا عشر راويا .
- وعلى هذا ؛ فيكون بيني وبين رسول الله ﷺ ، في ثلاثيات البخاري ، خمسة عشر راويا . وهذا أعلى ما وقع في الرواية ، والحمد لله رب العالمين .

وكل من ذكرتهم من المشايخ السابقين ؛ أسانيدهم معروفة معلومة ، متصلة عند أهل الحديث ، فلا نذكرها هنا خوف التطويل .

حديث الأولية :

أما حديث الأولية فنرويه عن خلق كثير ، ونذكر هنا سنداً لنا ، هو أعلى سند على ظهر الأرض :

١- فنرويه عن شيخنا أبي الكمال محدث الدنيا محمد الحافظ التجاني رضي الله عنه . وهو أول .

٢- عن الشيخ ألفا هاشم المدني . وهو أول .

٣- عن الشيخ صالح الفلاني . وهو أول .

٤- عن الشيخ محمد بن سِنَّة الفلاني . وهو أول .

٥- عن الشريف الوُولاتي . وهو أول .

٦- عن المعمر ابن أرْكماش الحنفي . وهو أول .

٧- عن أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني . وهو أول .

٨- عن الحافظ أبي الفضل زين الدين العراقي . وهو أول .

٩- عن أبي الفتح محمد البكري الصدر الميدومي . وهو أول .

١٠- عن الشيخ أبي النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم الحَرَّاني . وهو أول .

١١- عن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي . وهو أول .

١٢- عن الشيخ أبي سعيد إسماعيل بن أبي صالح المؤذن النيسابوري . وهو أول .

١٣- عن أبيه ، أبي صالح . وهو أول .

١٤- عن أبي طاهر محمد بن مَحْمَش الزيادي . وهو أول .

١٥- عن الشيخ أبي حامد أحمد بن يحيى بن بلال البزار . وهو أول .

١٦- عن الشيخ عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري . وهو أول .

١٧- قال : حدثنا سفيان بن عيينة .

وهنا انقطعت سلسلة الأولية ؛ أي انقطع قولهم : وهو أول .

١٨- عن الشيخ عمرو بن دينار .

١٩- قال : حدثنا أبو قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص .

٢٠- قال : حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ** ﴾ (١) .

فبيننا وبين رسول الله ﷺ (٢٠) رجلا ، وهو أعلى ما وقع في الدنيا – في عصرنا هذا – في حديث الأولية ، والحمد لله على منه وفضله .

١- رواه أبو داود والترمذي وصححه وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب والسنن والحميدي وابن أبي الدنيا وابن المبارك عن سفيان عن عمرو بن دينار عن قابوس عن عبدالله بن عمرو ﷺ يرفعه . وأورده بالسند المتصل كل من : الشيخ العلامة الفاداني في العجالة في الأحاديث المسلسلة ، والحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع ، والحافظ العراقي في الأربعين العشارية له ، والحافظ جمال الدين المزّي في تهذيب الكمال ، والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق .

حديث الأولية

سيدي
محمد الحافظ التجاني
↓
الشيخ
ألفا هاشم المدني
↓
الشيخ
صالح الفلاني
↓
الشيخ
محمد سِنَّة الفلاني
↓
الشيخ الشريف
الوُولاتي
↓
الشيخ المعمر
ابن أرْكماش
↓
الحافظ
ابن حجر العسقلاني
←
الحافظ
زين الدين العراقي
↓
الشيخ
أبي الفتح الميدومي
↓
الشيخ
أبي النجيب الحَرَّاني
↓
الحافظ
أبي الفرج الجوزي
↓
الشيخ
ابن أبي صالح
↓
أبيه
↓
الشيخ
أبي طاهر الزيادي
←
الشيخ
أبي حامد البزار
↓
الشيخ
عبد الرحمن بن الحكم
↓
الإمام
سفيان بن عيينة
↓
الشيخ
عمرو بن دينار
↓
الشيخ
أبي قابوس
↓
سيدي
عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

السند المبارك :

وأذكر لك سنداً ، نروي به معظم كتب الحديث الشريف ، فنذكره تبركا بذكر الولي الكبير ، والقطب الشهير ، سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه ، وأرضاه وعنَّا به . وبهذا السند نروي جميع كتب السنة :

١- عن : الشيخ محمد الحافظ التجاني .

٢- وهو عن : الشيخ محمد الصادق الرياحي التونسي .

٣- وهو عن : الشيخ الطيب النيفر التونسي .

٤- وهو عن : العلامة الشيخ الماحي الدارفوري .

٥- وهو عن : شيخنا القطب الرباني مولانا أحمد بن محمد الحسني التجاني ﷺ .

٦- وهو عن : الشيخ محمود الكردي العراقي .

٧- وهو عن : شيخ الإسلام الشيخ محمد بن سالم الحفني المصري .

٨- وهو عن : الشيخ محمد عبد الله السلجماسي .

٩- وهو عن : شيخ الإسلام الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي .

١٠- وهو عن : محمد بن الشيخ علاء الدين البابلي المصري .

١١- وهو عن : الشيخ أبي النجا سالم بن محمد السنهودي .

١٢- وهو عن : خاتمة الحفاظ النجم محمد بن أحمد بن علي الغيطي .

١٣- وهو عن : شيخ الإسلام الشيخ أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري .

١٤- وهو عن : أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني المصري .

أمَّا الفقه :

فهو الفقيه المتبحر عالم الأمة ، وفخر الأئمة . درس أحد عشر مذهبا فقهيا بالإجازة والسند المتصل ، نخصُّ منها أسانيده في المذاهب الأربعة المعتبرة عند أهل السنة والجماعة ، فدرس :

- مذهب الإمام مالك رضي الله عنه على شيخ المذهب بالحجاز ، وأعلم من استجاز وأجاز ، الفقيه العلامة محمد بن إبراهيم المبارك ، رحمه الله تعالى .
- ومذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه على العالم النحرير ذي العلم الغزير شيخ المذهب بالشام الشيخ عبد السلام النابلسي ، وذلك مدة إقامته بالإحساء ، بالمنطقة الشرقية بالسعودية .

- ومذهب الإمام أحمد بن حنبل ﷺ على الشيخ الفاضل العالم والفقيه أبي بكر الحنبلي شيخ المذهب بالإحساء .
- وأما مذهب الإمام الأكبر أبي حنيفة النعمان ﷺ فعلى الشيخ العالم المهيب ، والفقيه النابه الحسيب النسيب مولانا أحمد بن محمد الدهلوي الصغير ، وذلك مدة إقامة شيخنا بالمدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وأمَّا القراءات :

- فقد قرأ على علامة عصره وفريد دهره شمس القراء وقطب الإقراء الشيخ أحمد بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد الزيات . قرأ عليه القراءات العشر من طريق طيبة النشر ، وحصل منه على إجازة القراءات العشر الكبرى .
- كما قرأ على شيخ القراء بالأزهر الشريف الشيخ محمد بن إسماعيل الهمداني ﷺ ، وحصل منه على إجازة العشر الكبرى أيضاً .

وله ﷺ أسانيد كثيرة في الحديث والفقه ، والتفسير والقراءات والمسلسلات ، جمعها ورتبها في كتابه : (**غاية الأماني في أسانيد ومسلسلات الشريف التجاني**) .

وهو ﷺ فَخْمٌ مُفَخَّمٌ ، ذو هيبة ووقار ، عريض الجبين ، واسع العينين ، بسّام الثغر . ربعة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، جميل الخَلق والخُلُق ، متواضع في ملبسه ، وهيئته ، ومأكله ، ومشربه .

وجهه ﷺ وجهٌ حسنيٌّ محمديٌّ ، تتلألأ منه أنوار جده ﷺ ، أبيض مشرب بالحمرة .

ومن صفاته ﷺ أنه : رحيمٌ في غير ضعف ، لَيِّنٌ في غير انكسار ، قويٌّ في غير عنف . وسَطٌ في كل شيء . يسمع أكثر مما يتكلم ، شديد الحياء في الظاهر والباطن ، هادئ الطباع ، ذو حلم وكرم .

وهو ﷺ أسهل الناس ، وأرق الناس ، وألين الناس . ما نظر إليه أحد إلَّا قابله بابتسام وحنان ، وكأنما تربى في حجر نبي .

إذا سكت فذو هيبة ووقار ، وإذا تكلم فذو فصاحة وبيان ، وكأنما مَلَكٌ ينطق على لسانه .

أمَّا تلاميذه (رضي الله عنه) :

فلا يكاد يحصيهم العاد من كثرتهم ، وكلهم مقدَّم في بلده في العلوم الشرعية والحقِّيَّةِ . فكانوا يفدون إليه من كل قطر وبلد ، فما يدخلون زاويته إلَّا وشملتهم العناية التجانية ، والحضرة القدسية بأنوارها ، ثم يعودون إلى بلادهم

بأجسامهم ، وتتركهم أرواحهم مقيمة عنده في الزاوية ، أسيرة لأنوارها وجمالها .

كان مولده الشريف ﷺ صبيحة الخميس الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية . الموافق الثاني عشر من يونيو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف بحي السيدة زينب من القاهرة .

نشأ نشأة علم وعفاف ، بين أبوين كريمين شريفين . وكان أجداده ﷺ من جهة أبيه ، كلهم علماء وفقهاء . فقد كان أبوه عالماً من علماء الأزهر الأفاضل ، حافظاً لكتاب الله تعالى ، عارفاً لحدوده ، وأصوله وفروعه ، متواضعاً لله تعالى ، تكاد لا تحس به إذا جاء أو انصرف .

وهو ﷺ رغم شرف نسبه الحسي ، إلا أنه شديد التمسك بنسبه المعنوي ، وهو ﷺ إذا سُئل عن نسبه قال : " أنا ابن الشيخ التجاني ، لا أعلم لي نسبًا سواه " .

ولقد منَّ الله على شيخنا فحجَّ ﷺ بيت الله الحرام ، وزار نبيه ﷺ مرتين : مرة وعمره خمسة عشر عاماً ، والثانية وسنُّهُ ﷺ ثماني عشرة سنة .

فلما بلغ من عمره المديد سبعاً وعشرين سنة ؛ تزوج زوجته الفاضلة الشريفة النسيبة العفيفة ، وأنجب منها القمرين المنيرين سيدي محمد وسيدي إبراهيم ، وكذا ابنته الحسيبة النسيبة نادية ، وهو ، ﷺ ، كما قال

رسول الله ﷺ : ﴿ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ﴾ (١) .

ولقد جمع الله له بين العلم والعمل ، والإجازات ، والتأليف في الفقه والحديث ، وعلوم القرآن ، فدرَّس وربَّى وأفاد ، وكان عمره لم يتجاوز السابعة عشر .

ثم تاقت روحه الشريفة إلى معرفة الله تعالى ، وسلوك الطريق ، فظل يبحث ويتحقق ، حتى أمره جده ﷺ إلى الانحياش إلى جناب سيدي أحمد التجاني – رضي الله تعالى عنه وأرضاه – وكان عمره آنذاك ثماني عشرة سنة .

ثم أخذ في بناء زاويته المباركة ، وسِنُّهُ لم تتجاوز العشرين ، وذلك عن إذن سيدنا رسول الله ﷺ . وهو رضي الله عنه يمتاز بعزيمة لا تلين ، فكلما عزم على أمر بدأه ، وكلما بدأ أمراً أتمه ، فعمل على بنائها وتجميلها حتى أتمها الله تعالى عليه أحسن تمام .

أمَّا مقامه الشريف – رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به – وتبحره في علوم الحقيقة ، وكذا الكلام على كراماته رضي الله عنه – بالرغم من كثرتها – فقد نهى أشد النهي عن الخوض فيها ، أو الإيماء إليها ، إلَّا أنه كان يقسم بالله

١- رواه الترمذي والبيهقي في السنن والشعب والدارمي وابن حبان والطبري في تهذيب الآثار عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وابن ماجة وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما . والشهاب القضاعي في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه .

العظيم ويقول : والله نحن أسعد خلق الله بالله تعالى ، والحمد لله رب العالمين .

وهناك كثير من القصائد لأهل الزاوية المحبين ، في مدح سيدنا الشيخ صلاح - رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به - وكلها من نفحاته وفيض أنواره ، زاده الله نوراً وفضلاً وكرماً وجوداً ، علينا وعلى المسلمين من أمة الحبيب ﷺ .

آمين .. آمين .

مؤلفاته ﷺ

أما عن مؤلفاته ﷺ فهي شهيرة وكثيرة في زماننا ، لجأ إليها الكتاب ، والشعراء لينهلوا من فيضها ورونقها . وجمال أسلوبها وصياغتها ، واكتناز ألفاظها ، ودقتها ، وقدرتها على امتلاك ناصية الموضوع الذي يطرحه ويجيب عنه ويفنده ، تتميز بأسلوب لغوي راقٍ ، وأذكر من هذه الكتب والمؤلفات الآتي :

١- **كتاب الكنز في المسائل الصوفية** . الطبعة الأولى : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م . الطبعة ثانية : صدرت مؤخرا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٨م .

٢- **الطريقة التجانية المباركة** : طبعة خاصة .

٣- **جوامع الكلم من أحاديث سيد العرب والعجم** . الطبعة الأولى : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م . والطبعة الثانية : مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٠ م .

٤- **النجوم السائرة في القراءات العشر المتواترة** . الطبعة الأولى : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠ م

٥- **المحاريب .**

٦- **الدرر السنية في الأربعين حديثا التجانية .**

٧- **الياقوتة الفريدة في التوحيد والعقيدة .**

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة صدرت مجتمعة في طبعة تحت اسم (المحاريب) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٢م .

٨- **كتاب الرحيق المختوم في طريقة القطب المكتوم** . وهو موسوعة في خمسة أجزاء في الطريقة التجانية المباركة .

٩- **كشف الغيوم عن بعض أسرار القطب المكتوم** . صدر عن دار التيسير للطبع والنشر سنة ١٩٩٩م . نفد .

١٠-**كتاب النور في الطريقة التجانية** . الطبعة الأولى : سنة ٢٠٠٣م ، والطبعة الثانية : مكتبة القاهرة سنة ٢٠٠٦م . ثم أُعيد تنقيحه وتنسيقة وطُبع عام ٢٠١١ م .

١١-**كتاب قطرات النور** . في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة المطهرة . صدر عن دار هلا للنشر والتوزيع . سنة ٢٠٠٤م .

١٢-**كتاب نهر النور** . في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة المطهرة . صدر عن مكتبة الثقافة الدينية . سنة ٢٠٠٩م .

١٣-**كتاب عين الحياة** . وهو من أهم ما صدر في الفترة الأخيرة من كتب ، يتضمن الأسرار العليا عن الوجود وأسراره . الطبعة الأولى : مكتبة القاهرة سنة ٢٠٠٦م .

١٤-**كتاب الأنفاس من أحاديث سيد الناس** ﷺ . وهو تخريج وشرح لبعض الأحاديث المنتقاة ، ولها سند مقبول ، والتي لا تزيد عن بضع

كلمات قصيرة ، ويصل عدد هذه الأحاديث إلى ١١١١ حديث . صدر في جزأين عن سلسلة التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٧م

١٥-**كتاب زبدة الفتوحات المكية** . وهو مختصر للفتوحات المكية . صدر عن سلسلة (المختصرات التراثية) بالهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٦م .

١٦-**تفسير القرآن** . صدر حتى الآن ستة أجزاء منه . وستصدر بقية الأجزاء الثلاثين تباعا بإذن الله تعالى — نسأل الله تعالى – أن يتمه عليه ، وهو موفور الصحة والكرامة ، وفي رفعة وفتوح دائم إن شاء الله تعالى .

١٧-**كتاب مواكب الحب** . صدر أيضا عن دار هلا للنشر والتوزيع . سنة ٢٠٠٥م .

١٨-**كتاب أنا محمد وأنا أحمد** . بين أيدينا اليوم وهو مكون من مجلدين في الحقيقة المحمدية .

١٩-**كتاب الخصائص النبوية** . سيصدر قريبا إن شاء الله تعالى .

٢٠-**كتاب عظيم فضل الأمة المحمدية** . سيصدر قريبا إن شاء الله تعالى .

٢١-**مختصر جامع الأحاديث للسيوطي** . صدر في جزأين والحمد لله تعالى . عن سلسلة المختصرات التراثية بالهيئة المصرية العامة للكتاب .

سنة ٢٠٠٨م .

٢٢-**القنديل في خواص آي التنزيل** . ضمن مجموعة رسائل ستصدر قريبا ، بإذن الله تعالى .

٢٣-**الأحاديث المتواترة** . ضمن مجموعة رسائل ستصدر قريبا ، بإذن الله تعالى .

٢٤-**المثَلِيَّة في الأحاديث النبوية** . ضمن مجموعة رسائل ستصدر قريبا ، بإذن الله تعالى .

٢٥-**الألف النبوية من أحاديث خير البرية** . ضمن مجموعة رسائل ستصدر قريبا ، بإذن الله تعالى .

٢٦-**كتاب القبس في معرفة الطاهر والنجس** . لم يطبع .

٢٧-**غرائب الرغائب** . لم يطبع .

٢٨-**غاية المكارم في حد العورة والمحارم** . لم يطبع .

٢٩-**تنبيه السمع في أحكام القصر والجمع** . لم يطبع .

٣٠-**الجواهر المصفوفة في قراءة إمام أهل الكوفة** . لم يطبع .

٣١-**رفع الملام عن بعض الآثام** . لم يطبع .

٣٢-**النور الفائض في علم الفرائض** . لم يطبع .

٣٣-**الفرقان في لغة القرآن** . لم يطبع .

٣٤-**النسائم في معرفة الفيء والغنائم** . لم يطبع .

٣٥- **فتح الكريم في خواص آيات القرآن العظيم** . لم يطبع .

٣٦- **كتاب المفاتيح في تفسير القرآن بالسنة المطهرة** . لم يطبع .

٣٧- **كتاب القواعد الفقهية** . لم يطبع .

٣٨- **كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم** . لم يطبع .

٣٩- **كتاب البصائر وهو الناسخ والمنسوخ في الحديث الشريف** . لم يطبع .

٤٠- **كتاب الجواهر المرصعة في أربعة أجزاء** . لم يطبع .

٤١- **غاية الأماني في أسانيد الشريف التجاني** . لم يطبع .

٤٢- **كتاب الكنز الأعظم والسر المطلسم في الأسرار العرفانية** . لم يطبع .

٤٣- **تفسير القرآن** . دلالات المعاني ، والإشارات الصوفية ، مع التركيز على ما أشار به الرسول العظيم ﷺ من إشارات وشرحها . لم يطبع .

ولو تُرِكْتُ ما أنهيت الحديث ، وظللت أحكي عن مناقبه ، ومآثره العالية ، إلى ما شاء الله تعالى .

ولكن ليهنأ القارئ الكريم ببعض ما أتحفناه به ، من فيض مولانا ، وشيخنا ، وحبيبنا ، وصاحب الأفضال علينا ، في الحياة وبعد الممات ، سيدي صلاح الدين التجاني الحسني ، الذي لم نوفِّه حقه في الكلام عن مناقبه .

وزاويته المباركة ، الزاوية التجانية بامبابة ، بمحافظة الجيزة ، تلك التي يقصدها العلماء والفقهاء ، والمحدثون والأدباء والشعراء ، من كل صوب وحدب .

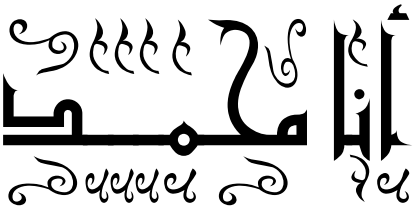
وهو رضي الله عنه الذي قيلت في فضائله القصائد العظام ، وأُرسلت إليه الرسائل تخطب وده ، وترجو رضاه ، أُنْساً به ، وحُباً له ، لما له من خصوصية عند الله ، وعند رسوله ﷺ ، وكذلك عند سيدي أحمد التجاني ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنَّا به .

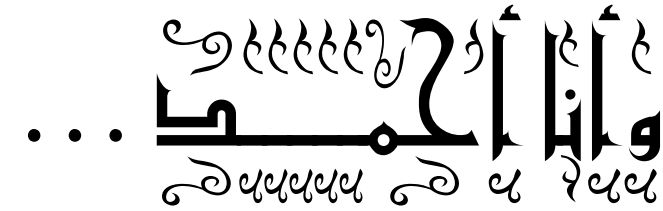
آمين .. آمين

سعيد عبد الفتاح

بهرمس — القاهرة

١٥ / ٦ / ٢٠٠٨





بسم الله الرحمن الرحيم

شَمْسٌ على قُطْبِ الكَمَالِ مُضِيئَةٌ ... بَدْرٌ عَلَى فَلَكِ العُلا سَيَرَانُهُ

مَلِكٌ وَفَوقَ الحَضْرَةِ العُلْيَا عَلَى العَرْ ... شِ المَكِينِ مُثَبَّتٌ إِمْكَانُـــهُ

لَيْسَ الوُجُودُ بِأَسْرِهِ إِنْ حَقَقُوا ... إِلا حُبَابًا أَخْرَجَتْـــهُ دِنَانُـــهُ

الكُلُّ فِيهِ وَمِنْهُ كَانَ وَعِنْـــدَهُ ... تَفْنَى الدُّهُورُ وَلَمْ تَزَلْ أَزْمَانُـــهُ

فَالخَلْقُ تحْتَ سَمَا عُلاهُ كَخَرْدَلٍ ... وَالأَمْرُ يُبْرِمُهُ هُنَاكَ لِسَانُـــهُ

وَالكَونُ أَجْمَعُهُ لَدَيْهِ كَخَاتمٍ ... في إِصْبعٍ مِنْهُ ، أَجَلْ أَكْوَانُهُ

وَالمُلْكُ وَالمَلَكُوتُ في تَيَّارِهِ ... كَالقِطْرِ بَلْ مِنْ فَوْقِ ذَاكَ مَكَانُهُ

وَتُطِيعُهُ الأَمْلاكُ مِنْ فَوقِ السَّمَا ... وَاللَّوْحُ يُنْفِذُ مَا قَضَاهُ بَنَانُهُ

هُوَ نُقْطَةُ التَّحْقِيقِ وَهْوَ مُحِيطُهُ ... هُوَ مَرْكَزُ التَّشْرِيعِ وَهْوَ مَكَانُهُ

هُوَ دُرُّ بَحْرِ أُلُوهَةٍ وَخِضَمُّهَا هُوَ سَيفُ أَرْضِ عُبُودَةٍ وَمَعَانُهُ

هُوَ هَاؤُهُ هُوَ وَاوُهُ هُوَ بَاؤُهُ هُوَ سِينُهُ وَالعَيْنُ بَلْ إِنْسَانُهُ

هُوَ قَافُهُ هُوَ نُونُهُ هُوَ طَاؤُهُ هُوَ نُورُهُ هُوَ نَارُهُ هُوَ رَانُهُ

عُقِدَ اللِّوَا بِمُحَمَّدٍ وَثَنَائِهِ فَالدَّهْرُ دَهْرُهُ وَالأَوَانُ أَوَانُـــهُ

وَلَهُ الوَسَاطَةُ وَهْوَ عَينُ وَسِيلَةٍ هِي لِلفَتَى يُجْلَي بِهَا رَحْمَانُهُ

وَلَهُ المَقَامُ وَذَلِكَ المَحْمُودُ مَا لَمْ يَدْرِ مِنْ شَأْنٍ تَعَالَى شَأْنُهُ

مِيكَالُ طِسْت مَوْجَةٌ مِنْ بَحْرِهِ وَكَذَاكَ رُوحُ أَمِينِهِ وَأَمَانُهُ

وَبَقِيَّةُ الأَمْـــلاكِ مِنْ أَمواهِـــهِ كَالثَّلْجِ يَعْقِدُهُ الصَّبَا وَحِرَانُهُ

وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ ثُمَّ المُنْتَهَى مَجْلاهُ ثُمَّ محلُّـــــــهُ وَمَكَانُـــهُ

اللهُ حَسْبي مَا لأَحْمَدَ مُنْتَهَى وَبِمَدْحِهِ قَدْ جَاءَنَا قُرْقَانُهُ

حَاشَاهُ لَمْ تُدْرَكْ لأَحْمَدَ غَايَةً إِذْ كُلُّ غَايَاتِ النُّهَى بُدْآنُهُ

تمهيد

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : ﴿ أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ ﴾ (١) .

الحق هو الله ، والجائز هو الخلق .

الله هو الوجود ، والباطل هو العدم .

فلا قيام للجائز (الخلق) إلا بإيجاد الله له .

وإن شئت قلت : إلا بتجل الله عليه .

وإن شئت قلت : إلا بظهور الله فيه .

وإن شئت قلت : إلا بوجود الله فيه .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ {الحجر : ٢٩ ، ص : ٧٢} . لم يستوجب آدم عليه السلام السجود له إلا بعد أن سواه الله تعالى ، ونفخ فيه من روحه . والتسوية هي تهيئة المحل لقبول الروح . فالسجود كان لله في آدم عليه السلام .

١- رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة وابن حبان وأبو يعلى وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب والسنن وابن راهويه والحميدي والترمذي في الشمائل عن أبي هريرة ﷺ .

ولله در من قال :

وَمَا الخَلْقُ في التِّمْثَالِ إلا كَثَلْجَةٍ ... وَأَنْتَ بها المَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ
وَمَا الثَّلْجُ في تَحْقِيقِنَا غَيرُ مَائِهِ ... وَغَيرُ آنٍ في حُكْمٍ دَعَتْهُ الشَّرَائِعُ
وَلَكِنْ بِذَوبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُهُ ... وَيُوضَعُ حُكْمُ المَاءِ وَالأَمْرُ وَاقِعُ
تَجَمَّعَتِ الأَضْدَادُ في وَاحِدِ البَهَا ... وَفِيهِ تَلاشَتْ وَهُوَ عَنْهُنَّ سَاطِعُ

قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ {الفرقان : ٢} .

- فالخلق هو تقدير الثلج من الماء . أو هو إعطاء الماء حكم الثلج .
- فالثلج هو العبودية ، والماء هو الربوبية .
- وسريان الماء في الثلج ، هو سريان وجود الحق في الخلق ، المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ {الحجر : ٢٩ ، ص : ٧٢} .
- وذوب الثلج ، هو المعبر عنه بانتهاء الدورة الخلقية الكبرى ، وفناء الخلق في الحق ، أو رجوع قطرة الخلق إلى بحر الأحدية .

فالخلق : حقيقته أو (باطنه) ماء ، ومظهره أو (ظاهره) ثلج : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ {الحديد : ٣} .

فالكون كله ظلمة ، وإنما أناره ظهور الحق فيه .

فمن رأى الكون ، ولم يشهده فيه ، أو عنده ، أو قبله ، أو بعده ، فقد أعوزه وجود الأنوار ، وحُجِبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار .

فالآثار هي الكَوْنُ . والكَوْنُ هو ما تكوَّن عن القدرة . فلا تنحجب بما كان ، عن مَنْ كَوَّنَه . ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ {الأنعام : ٩١} . ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ {الأنعام : ٩١} .

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ {البقرة : ١١٥} .

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ {الحديد : ٤} .

حَدِّد بصر الإيمان ، تجد الله في كل شيء ، وعند كل شيء ، ومع كل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، وفوق كل شيء ، وتحت كل شيء ، وقريباً من كل شيء ، ومحيطاً بكل شيء ، بقرب هو وصفه ، وبحيطة هي نعته . وعُد عن الظرفية والحدود ، وعن الأماكن والجهات ، وعن الصحبة والقرب بالمسافات ، وعن الدور بالمخلوقات ، وامحق الكل بوصفه تعالى : ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ {الحديد : ٣} .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ كَانَ اللهُ ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ﴾ (١) . وهو تعالى لا يتغير : فهو الآن على ما عليه كان .

فليس ثم هنالك إلا الله ، وتجلياته .

وإن شئت قلت : ليس ثم هنالك إلا الله ، وأسمائه الحسنى . وهو قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ {الأعراف : ١٨٠} .

فمُسمى الخلق : هو أسماء الله الحسنى التي دعا النبي ﷺ بها الله تعالى ، حيث قال : ﴿ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ :

- سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ .
- أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ .
- أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ .

١- بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في السنن وأبو نعيم في الحلية وابن أبي عاصم في الأوائل والمزي في تهذيب الكمال عن عمران بن حصين ﷺ . وبلفظ : ﴿ كَانَ اللهُ وَلَيْسَ شَيءٌ غَيرُه ﴾ رواه ابن حبان في صحيحه عن عمران بن حصين ﷺ . وبلفظ : ﴿ كَانَ اللهُ وَلاَ شَيْءَ غَيْرُهُ ﴾ رواه النسائي والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة في كتاب العرش وابن خزيمة في التوحيد عن عمران بن حصين ﷺ ، ورواه ابن جرير وابن المنذر وابن حبان وأبو الشيخ في العظمة والحاكم (وصححه) وابن مردويه عن بريدة ﷺ .

- أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...﴾ الحديث (١) .

فأسماء الله ليست هي الأسماء الواردة في الكتاب والسنة فقط ، بل هي اسم كل شيء تجلى الله لك فيه ، وعرَّفك بنفسه أنه متجل فيه ، فهو اسم له تعالى في حقك أنت فقط ، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ {طه : (١٠ – ١٤)} .

فلم يعلم موسى عليه السلام أن النار هي مظهر لتجلي الله تعالى ، إلا عندما عَرَّفَهُ تعالى بنفسه فيها ! . وهذا لموسى عليه السلام فقط ، وليس للمحيطين به ، حيث كان أهله معه ، فليس لهم هذا التجلي .

ولله در من قال :

١- رواه أحمد والبيهقي في الأسماء والصفات وابن حبان والحاكم وصححه والطبراني في الكبير وفي الدعاء وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار وابن السني في عمل اليوم والليلة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . وقال ابن حجر في فتح الباري : صححه ابن حبان .

تَجَلَّى حَبيبي في مَرَائِي جَمَالِهِ ففي كُلِّ مرأىً للحَبِيبِ طَلائِعُ
فَلَمّا تَبَدَّى حُسنُهُ مُتَنَوِّعاً تَسَمّى بِأَسماءٍ فَهُنَّ مَطَالِعُ
وَأَبْرَزَ مِنْهُ فِيهِ آثَارَ وَصْفِهِ فَذَلِكُمُ الآثارُ مَن هُوَ صَانِعُ
فَأَوصافُهُ وَالإسمُ وَالأَثَرُ الَّذي هُوَ الكَونُ عَينُ الذاتِ واللهُ جَامِعُ
فَما ثَمَّ مِن شَيءٍ سِوى اللهِ في الوَرَى وَما ثَمَّ مَسموعٌ وَما ثَمَّ سَامِعُ

فسيدنا محمد ﷺ هو حقيقة الحقائق ، التي هي للحق من وجه ، ومن الوجه الآخر هي للخلائق .

- فوجهه ﷺ الذي للحق : هو كونه نور الله الذاتي .
- ووجهه ﷺ الذي للخلق : هو رسالته وبشريته ، وكونه أسوة للخلائق في معراجهم للحقائق .

فمن حيث نورانيته ﷺ :

- نص الكتاب على أن رسول الله ﷺ نور .

قال تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ {المائدة : ١٥} .

فالنور : هو رسول الله ﷺ ، والكتاب : هو القرآن الكريم .

وكما أن القرآن غير مخلوق ، فنور سيدنا محمد ﷺ – من حيث أنه نور الله الذاتي – فهو غير مخلوق .

نور سيدنا محمد ﷺ هو روحه ، وهو ﷺ كله روح ، وروحه ﷺ من الله . والنور ، لا يُرى ، ولكن تُرى به الأشياء .

- قال رسول الله ﷺ : ﴿**لي وَقْتٌ مَعَ اللهِ ، لا يَسَعُني فِيهِ غَيْرُ رَبي**﴾ وفي رواية : ﴿**لي وَقْتٌ مَعَ اللهِ ، لا يَسَعُني فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلا نَبيٌ مُرْسَلٌ**﴾ (١) .

١- حديث : ﴿**لي وَقْتٌ مَعَ اللهِ ، لا يَسَعُني فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلا نَبيٌ مُرْسَلٌ**﴾. قال فيه العجلوني في كشف الخفاء في الحديث رقم ٢١٥٩ : هو في رسالة القشيري بلفظ : ﴿**لي وَقْتٌ مَعَ اللهِ ، لا يَسَعُني فِيهِ غَيْرُ رَبي**﴾ ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل والشعب وابن راهويه في مسنده عن علي كرم الله وجهه في حديث : ﴿**كَانَ – ﷺ – إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ : جُزْءًا للهِ ، وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ ، وَجُزْءًا** =

فلا يستطيع أحد أن يدرك ما عليه روح رسول الله ﷺ . ولكن غاية الغايات لأعظم الأولياء هي الفناء في رسول الله ﷺ ، والفناء فيه ﷺ ليس إدراكا . إذ لا إدراك في الفناء .

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : ﴿ **إِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ : فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ . فَلِذَلِكَ أَقُولُ جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ** ﴾ (١) .

فكان الخلق كله في ظلمة العدم :

- ولم يخرج إلى الوجود إلا بشفاعة رسول الله ﷺ .
- ولما خرج إلى الوجود ؛ ما ظهر إلا بنور المصطفى ﷺ .

ورضي الله عن الإمام البوصيري حيث وصف رسول الله ﷺ بقوله :

= **لِنَفْسِهِ ، ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ** ﴾ كذا في اللآلئ ، وزاد فيها : ورواه الخطيب بسند قال فيه الحافظ الدمياطي أنه على رسم الصحيح . وهذا الحديث أورده الحافظ عبد الرؤوف المناوي في كتابه فيض القدير بشرح الجامع الصغير بدون إسناد في شرح الحديث رقم ٤٣٧٧ .

١- رواه الترمذي وحسنه والبزار وأحمد (وقال الهيثمي : رجال أحمد ثقات) وابن حبان والبيهقي والحاكم وصححه (وقال الذهبي : لا علة له) وابن عساكر والطيالسي .

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيا وضَرَّتَهـــا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

وضرتها : أي الآخرة .

فهو ﷺ سبب وجود الدنيا والآخرة . فما ظهرا إلا عنه ﷺ ، وما ظهرا إلا به ﷺ ، وما ظهرا إلا لأجله ﷺ . ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **لما اقْتَرَفَ آدَمُ الخطِيئَةَ ، قَالَ : يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي ، فَقَالَ اللهُ : يَا آدَمُ ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ، لأَنَّكَ لَمَا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ ، وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ ، رَفَعْتُ رَأْسِي ، فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله . فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الخلْقِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ اللهُ : صَدَقْتَ يَا آدَمُ ، إِنَّهُ لَأَحَبُّ الخلْقِ إِلَيَّ ، ادْعُنِي بِحَقِّهِ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ . وَلَوْلاَ مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ** ﴾ (١) .

أما قوله رضي الله عنه أن من علومه ﷺ علم اللوح والقلم ؛ فيشرحه الحديث المروي عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ **لما خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ، قَالَ لَهُ : اكْتُبْ .**

١- رواه الحاكم (وصححه) واللفظ له والطبراني في الأوسط والصغير وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا : ﴿ **أَتَانِي جِبْرِيل فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ لَوْلاكَ لما خُلِقَتِ الجَنَّةُ ، وَلَوْلاكَ مَا خُلِقَتِ النَّارُ** ﴾ .

فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ﴾ (١) . وهذا الحديث فيه :

- أن علم القلم ، يقتصر على ما هو كائن ، حتى قيام الساعة فقط .
- بينما علم رسول الله ﷺ ، يتضمن – زيادة عن العلم الذي كتبه القلم في اللوح – علمه ﷺ بما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، كقوله ﷺ : ﴿**والله لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، مَا حَلَّ لَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي**﴾ (٢) .

- بل إن علمه ﷺ يتجاوز ذلك حتى انتهاء الدورة الخلقية الكبرى ، وهو قوله تعالى له ﷺ : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ {طه :١١٤} . وقوله تعالى له ﷺ : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ {النَّجم :٤٢} . على ما سيأتي بيانه فيما يلي

١- رواه الطبراني في الكبير (وقال الهيثمي : رجاله ثقات) والطبراني في الأوائل وعبد الله بن أحمد في السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا . ورواه عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات والخطيب في تاريخه والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا . ورواه البخاري في تاريخه وابن جرير وأبو نعيم في الحلية والطبراني في مسند الشاميين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه . والحكيم الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه . والطبراني في مسند الشاميين عن ابن عمر رضي الله عنهما . والخطيب في تاريخه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

٢- رواه أحمد وأبو يعلى وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب والديلمي وأبو النصر السجزي في الإبانة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

- قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} .

وقال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . وهذه الرحمة التي وسعت كل شيء أسماها محمدا .

قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} . فكل مربوب لله تعالى ، فهو مرحوم برسول الله ﷺ . وكان افتتاح الرحمة : هو شفاعته ﷺ في إخراج الخلق من العدم . وختامها : هو الشفاعة في رجوع قطرة الخلق إلى بحر الحق ، في انتهاء الدورة الخلقية الكبرى .

فالدورة الخلقية الصغرى : بدايتها الولادة ، ونهايتها الموت .

والدورة الخلقية الوسطى : بدايتها الميثاق : يوم ألست بربكم ، ونهايتها الجنة أو النار .

١- بهذا اللفظ رواه البيهقي في الدلائل والشعب والدارمي والحاكم وصححه وابن أبي شيبة وابن عساكر . وبلفظ : ﴿بُعِثْتُ رَحْمَةً مُهْدَاةً﴾ رواه الطبراني في الكبير والأوسط والصغير والبزار وقال الهيثمي : رجال البزار رجال الصحيح .

أما الدورة الخلقية الكبرى : فبدايتها التعيُّن في علم الله ، ونهايتها رجوع القطرة إلى البحر .

وأما من حيث بشريته ﷺ :

فقد ورد عنه ﷺ أنه قال : ﴿ **إِنَّ الزَّمَانَ ، قَدْ اسْتَدَارَ ، كَهَيْئَتِهِ ، يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾ (١) . فما زال فلك النبوة دائراً ، إلى أن عاد الأمر من حيث بدأ ، وختم بمن له كمال الاصطفاء ، فهو الفاتح الخاتم ، نور الأنوار ، وسر الأسرار ، والمبجل في هذه الدار ، أعلى المخلوقات منارا ، وأتمهم فخارا .

فلما انتهى الزمان بالاسم الباطن ، في حق سيدنا محمد ﷺ ، إلى وجود جسمه الشريف ، وارتباط الروح به ، انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر ، فظهر سيدنا محمد ﷺ بذاته جسماً وروحاً .

- فقبل زمان بعثته ﷺ كان معلوما للرسل والأنبياء فقط ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ** ﴾ {آل عمران : ٨١} .

١- أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن أبي عاصم والطبراني في الأوسط وأبو عوانة وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه والبيهقي والبزار وابن منده في التوحيد عن أبي بكرة رضي الله عنه . وابن أبي حاتم وعبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وأنبأت الرسل به أقوامهم ، حتى كانوا يعرفونه ، ﷺ ، كما يعرفون أبناءهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ {البقرة :١٤٦ ، الأنعام : ٢٠} . ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ {الصَّف : ٦} .

ولما بُعِث ﷺ ، كانت بعثته للعام والخاص ، والأسود والأحمر ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ {سبأ : ٢٨} . وقال ﷺ : ﴿بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ؛ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ﴾ (١) .

كما بُعث النبي ﷺ للجن ، قال تعالى : ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ﴾ {الأحقاف : ٢٩} .

كما بُعث النبي ﷺ للنبات . قَالَ أعرابي للنبي ﷺ : ... وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ . فَقَالَ ﷺ : ﴿هَذِهِ السَّلَمَةُ﴾ . فَدَعَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي ، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ خَدًّا ، حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ ، فَاسْتَشْهَدَهَا

١- رواه أحمد والطبراني في الكبير والحكيم الترمذي وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما . والطبراني في الكبير والحكيم الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما . والطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه .

ثَلاَثاً ، فَشَهِدَتْ ثَلاَثاً أَنَّهُ ﷺ كَمَا قَالَ . السَّلَمَةُ : نوع من الشجر (١) .

وَعَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ ، فَحَنَّ الْجِذْعُ ، فَأَتَاهُ ﷺ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ . وفي بعض الروايات : فَأَتَاهُ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ فَقَالَ ﷺ : **﴿لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ ؛ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾**(٢) ، وفي رواية زيادة أنه ﷺ قال للجذع بعدما سكن : **﴿اخْتَرْ أَنْ أَغْرِسَكَ فِى المكَانِ الَّذِى كُنْتَ فِيهِ ، فتكُونَ كَمَا كُنْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَغرِسَكَ فِى الجنَّةِ فَتَشْرَبَ مِنْ أَنْهَارِهَا وَعُيُونِهَا فَيَحْسُنَ نَبْتُكَ وَتُثْمِرَ ، فَيَأْكُلَ أَوْلِيَاءُ الله مِنْ ثَمَرَتِكَ وَنَخْلِكَ فَعَلْتُ﴾** . ثم قالَ له النَّبِيُّ ﷺ : **﴿نَعَمْ قَدْ فَعَلْتُ﴾** . مَرَّتَيْنِ ، فَسُئِلَ النَّبِىُّ ﷺ عن ذلك ، فَقَالَ : **﴿اخْتَارَ أَنْ أَغْرِسَهُ فِى الجَنَّةِ﴾** فَلَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ دُفِعَ الجذع إِلَى أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه ، **فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى أَكَلَتْهُ الْأَرَضَةُ** (٣) .

١- رواه الدارمي وأبو يعلى والتبريزي في مشكاة المصابيح عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٢- رواه البخاري والترمذي والدارمي والبيهقي في السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما . ورواه ابن ماجة وأحمد والطبراني وأبو يعلى وعبد بن حميد عن أنس رضي الله عنه . وأحمد والدارمي والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما . وأحمد والطبراني في الأوسط وابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه . والطبراني في الكبير عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها . وابن أبي شيبة عن أبي سعيد رضي الله عنه وهذه الرواية فيها زيادة : **﴿فَأَمَرَ بِهِ ﷺ أَنْ يُحْفَرَ لَهُ ، وَيُدْفَنَ﴾** .

٣- هذه الزيادة من رواية أحمد وابن عساكر في تاريخه وأبي نعيم في الدلائل عن ابن أبي بن كعب عن أبيه رضي الله عنه . والدارمي والقاضي عياض في الشفاء عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه .

والجماد كذلك يعرف النبي ﷺ ويشهد له بالرسالة ، ويطيعه في أوامره ، بل ويحبه ويخشاه ويعظمه : فقد وَرَدَ عَن الإمامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، أنه قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ ، فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا ، فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جَبَلٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله (١) .

وعن أَنَس ﷺ قَالَ : صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُدًا ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ . وَقَالَ ﷺ : ﴿ **اسْكُنْ أُحُدُ** – أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ – **فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ** ﴾ (٢) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ فَقَالَ : ﴿ **هَذَا جَبَلٌ**

١- رواه الترمذي والحاكم وصححه والدارمي والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وأبو الشيخ في العظمة وابن أبي الدنيا في هواتف الجنان والتبريزي في مشكاة المصابيح والمنذري في الترغيب والترهيب والقاضي عياض في الشفا والمزي في تهذيب الكمال والفاكهي في أخبار مكة وابن عساكر في تاريخ دمشق وابن كثير في البداية والنهاية والذهبي في تاريخه عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

٢- رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد وابن حبان والطبراني في الأوسط وأبو يعلى عن أنس بن مالك ﷺ . وأحمد والطبراني في الكبير وعبدالرزاق وعبد بن حميد عن سهل بن سعد ﷺ عن عثمان بن عفان ﷺ . وفي رواية أخرى للترمذي والنسائي والدارقطني عن ثمامة بن حزن القشيري عن عثمان بن عفان ﷺ : فَتَحَرَّكَ الجبَلُ حَتَّى تَسَاقَطَتْ حِجَارَتُهُ بِالحضِيضِ . قَالَ : فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ : ﴿ اسْكُنْ ثَبِيرُ ﴾ .

يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ﴾ (١) .

وعن محمد بن عبد الملك بن مروان قال : أن الأرض زلزلت على عهد رسول الله ﷺ ، فوضع يده عليها ، ثم قال : ﴿**اسْكُني ، فَإِنَّهُ لم يَأْن لَكِ بَعْد**﴾ ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : ﴿**إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ ، فَأَعْتِبُوهُ**﴾(٢) .

وبُعث النبي ﷺ للحيوان : فقد رُوي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال أن أعرابيا جاء النبي ﷺ ، فقال له : إن آمن بك هذا الضب ، آمنت بك . فقال رسول الله ﷺ : ﴿**يَا ضَبُّ**﴾ . فكلمه الضب بلسان عربي مبين يفهمه القوم جميعا : لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين . فقال رسول الله ﷺ : ﴿**مَنْ تَعْبُد ؟**﴾ . فقال الضب : الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار عذابه . فقال ﷺ : ﴿**فَمَنْ أَنَا يَا ضَبُّ ؟**﴾ . قال : أنت رسول رب العالمين ،

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ومالك والترمذي وابن ماجة وأحمد وابن حبان والطبراني في الأوسط وأبو يعلى عن أنس بن مالك ﷺ . وأحمد عن أبي هريرة ﷺ . ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه ﷺ .

٢- بهذا اللفظ رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات . ورواه بدون قوله ﷺ : ﴿**اسْكُني ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْن لَكِ بَعْد**﴾ كل من ابن أبي شيبة في مصنفه وابن الأثير في أسد الغابة وأورده ابن حجر العسقلاني في تلخيص الحبير عن شهر بن حوشب ﷺ .

وخاتم النبيين ، قد أفلح من صدقك ، وقد خاب من كذبك (١) .

وَعَنْ أُمِّ المؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضي اللهُ عَنْها ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الصَّحْرَاءِ ، فَإِذَا مُنَادِيًا يُنَادِيهِ : يَا رَسُولَ الله ، فَالْتَفَتَ ، فَلَمْ يَرَ أَحَدًا ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا ظَبْيَةٌ مُوَثَّقَةٌ ، فَقَالَتْ : ادْنُ مِنِّي يَا رَسُولَ الله ، فَدَنَا مِنْهَا فَقَالَ : ﴿ **حَاجَتَكِ ؟** ﴾ قَالَتْ : إِنَّ لِي خَشَفَيْنِ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ فَحُلَّنِي حَتَّى أَذْهَبَ ، فَأُرْضِعَهُمَا ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَيْكَ ، قَالَ : ﴿ **وَتَفْعَلِينَ ؟** ﴾ قَالَتْ : عَذَّبَنِي اللهُ بِعَذَابِ الْعِشَارِ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ ، فَأَطْلَقَهَا ، فَذَهَبَتْ ، فَأَرْضَعَتْ خَشَفَيْهَا ، ثُمَّ رَجَعَتْ ، فَأَوْثَقَهَا ﷺ . وَانْتَبَهَ الأَعْرَابِيُّ ، فَقَالَ : لَكَ حَاجَةٌ يَا رَسُولَ الله ؟ . قَالَ : ﴿ **نَعَمْ ، تُطْلِقُ هَذِهِ** ﴾ . فَأَطْلَقَهَا ، فَخَرَجَتْ تَعْدُو ، وَهِيَ تَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ الله (٢) .

وعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ ﷺ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَهُ ﷺ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ جَاءَهُ جَمَلٌ يُخَبِّبُ ، حَتَّى صَوَّبَ بِجِرَانِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **وَيْحَكَ !**

١- رواه الطبراني في الصغير والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن منده في جزء ترجمة الطبراني وابن عساكر في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية عن عمر بن الخطاب ﷺ .

٢- بهذا اللفظ رواه الطبراني في الكبير والمنذري في الترغيب والترهيب وابن كثير في البداية والنهاية عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها . وأبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في الدلائل عن ثابت البناني عن أنس بن مالك ﷺ . وابن عساكر في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية عن زيد بن أرقم ﷺ .

انْظُرْ لِـمَنْ هَذَا الجَمَلُ ، إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا﴾ . قَالَ : فَخَرَجْتُ أَلْتَمِسُ صَاحِبَهُ ، فَوَجَدْتُهُ لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ ، فَدَعَوْتُهُ إِلَيْهِ ﷺ . فَقَالَ النبي ﷺ له : ﴿ **مَا شَأْنُ جَمَلِكَ هَذَا ؟** ﴾ . فَقَالَ : وَمَا شَأْنُهُ ؟ . قَالَ : لَا أَدْرِي وَاللهِ مَا شَأْنُهُ . عَمِلْنَا عَلَيْهِ ، وَنَضَحْنَا عَلَيْهِ ، حَتَّى عَجَزَ عَنْ السِّقَايَةِ ، فَأْتَمَرْنَا الْبَارِحَةَ أَنْ نَنْحَرَهُ ، وَنُقَسِّمَ لَحْمَهُ . فَقَالَ النبي ﷺ : ﴿ **فَلَا تَفْعَلْ ، هَبْهُ لِي ، أَوْ بِعْنِيهِ** ﴾ . فَقَالَ : بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ . فَوَسَمَهُ ﷺ بِسِمَةِ الصَّدَقَةِ ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِ (١) .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ، قَالَ : جَاءَ قَوْمٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ بَعِيراً لَنَا قَطَّ فِي حَائِطٍ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : ﴿ **تَعَالَ** ﴾ فَجَاءَ مُطَأْطِئًا رَأْسَهُ ، حَتَّى خَطَمَهُ ، وَأَعْطَاهُ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّكَ نَبِيٌّ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا أَحَدٌ إِلا يَعْلَمُ أَنِّي نَبِيٌّ ، إِلا كَفَرَةُ الْجِنِّ وَالإِنْسِ** ﴾ (٢) .

١- رواه أحمد في مسنده (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) وابن أبي شيبة عن يعلى بن مرة ﷺ .

٢- بهذا اللفظ رواه الطبراني في الكبير (ووثق الهيثمي رجاله) ورواه البيهقي في الدلائل وابن كثير في البداية والنهاية عن ابن عباس ﷺ . وحديث شكوى البعير أورده الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر حديث رقم ٢٧١ .

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال : ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ، إِلَّا عَاصِيَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ** ﴾ (١) . فكان ﷺ مرسلاً للكون كله ، قال تعالى : ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ** ﴾ {الفتح : ٢٩} . ليكون ﷺ قائدا لركب العوالم إلى الله .

- أما بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ؛ فهو مرسل للخاص فقط .

ففي زمان بعثته ﷺ قيل له أن يقول أنه بشر ، وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ {الكهف : ١١٠ ، فصلت : ٦} . فجعله تعالى بشرا ، ليكون أُسوة يُقتدى به ، ليصح له : ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ {الأحزاب : ٢١} . ثم ميَّز الله تعالى بشريته ﷺ بأنه يُوحى إليه ، فأصبح ﷺ بشرا لا كالبشر ، أو بشرا ليس على هيئة البشر .

وهذا ما يفسره قوله ﷺ : ﴿ **لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ** ﴾ (٢) .

١- بهذا اللفظ رواه أحمد (وقال الهيثمي رواته ثقات) والدارمي وعبد بن حميد وابن حبان في الثقات والقاضي عياض في الشفا عن جابر بن عبد الله ﷺ . ورواه الطبراني في الكبير والمطولات والبيهقي في الدلائل عن يعلى بن مرة ﷺ .

٢- أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا : إنك تواصل ؟ . قال : =

وقوله ﷺ : ﴿لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ﴾ (١) .

وقوله ﷺ : ﴿لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ﴾ (٢) .

وقوله ﷺ : ﴿لَسْتُ كَمِثْلِكُمْ﴾ (٣) .

وهذا ما يفسر كثرة الكتب التي كتبت تحكي عن خصائصه ﷺ . وخصائصه : تعني ما اختص الله تبارك وتعالى به نبيه ﷺ عما سـواه : من

= ﴿إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ، إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ﴾ . وفي الباب ما رواه مسلم ومالك في الموطأ وأبو داود وأحمد والبيهقي في السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما . ومالك عن أبي هريرة رضي الله عنه . والبخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه . والبخاري وأحمد وأبو داود عن أبي سعيد رضي الله عنه .

١- روى الترمذي وصححه وأحمد والدارمي وأبو يعلى وابن حبان وابن منده في التوحيد عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿لا تُوَاصِلُوا﴾ . قَالُوا : فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : ﴿إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنَّ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ . وفي الباب ما رواه الترمذي وصححه عن أم أيوب رضي الله عنها . وما رواه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما . وما رواه أحمد والحميدي وابن حبان وابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . والنسائي وابن راهويه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٢- رواه البخاري في صحيحه وأحمد عن أنس رضي الله عنه . ومسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وأحمد والدارمي وابن خزيمة والبزار وعبد الرزاق والبيهقي في السنن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . وأحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأحمد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٣- رواه أحمد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه . وعبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه .

البشر عامة ، ومن الرسل والأنبياء خاصة . على ما سيأتي بيانه في موضعه من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : جَعَلَ رسول الله ﷺ يَقُولُ فِي صَلاتِهِ ، أَوْ فِي سُجُودِهِ : ﴿ **اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَاجْعَلْنِي نُورًا** ﴾ (١) . ففي هذا الدعاء طلب النبي ﷺ أن يجعل الله جسمه نورا .

وهذا يفسر قول ابن عباس ﷺ : (لم يكن لرسول الله ﷺ ظل . ولم يقم مع شمس قط ، إلا غلب ضوءه ضوء الشمس . ولم يقم مع سراج قط ، إلا غلب ضوءه ضوء السراج) (٢) .

فالخلق كلهم في معراج إلى الله .

وهو ﷺ في تدل من الله .

١- بهذا اللفظ رواه مسلم في صحيحه وأحمد وأبو عوانة والطيالسي ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل عن ابن عباس ﷺ . وفي رواية أخرى بدون قوله ﷺ : ﴿**وَاجْعَلْنِي نُورًا**﴾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد وابن حبان والحاكم وصححه والطبراني وأبو يعلى وعبد الرزاق والبيهقي في الشعب عن ابن عباس ﷺ .

٢- رواه عبد الرزاق بسنده عن ابن جريج عن نافع عن ابن عباس ﷺ .

قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ {الفتح : ٢٩} . فهو ﷺ صادر عن الله ، أي قادم إلينا رسولا من الله ، أي من عند الله . أي متدلٍ لنا ، ليأخذ بأيدينا إلى الله ، لأنه ﷺ هو الراعي الأعظم المسئول عن الخلق كافة .

عن أبي موسى ﷺ قال : قال النبي ﷺ : ﴿ **حِجَابُهُ النُّورُ (وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ) لَوْ كَشَفَهُ ؛ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ، مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** ﴾ . ثم قرأ أبو عبيدة : ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {النمل : ٨} (١) . وما حجبك عنه وجود موجود معه ، ولكن حجبك توهم موجود معه . إذ لو حجبه شيء ؛ لستره ما حجبه ، ولو كان له ساتر ؛ لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء ؛ فهو له قاهر ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ {الأنعام : ١٨ ، ٦١} .

فهو ﷺ الحجاب الأعظم القائم منه ، به ، فيه ، إليه ، بين يديه تعالى . فلا يصل واصل إلا إليه ﷺ . ولا يرد وارد إلا عليه ﷺ ، ولا يسير سائر إلا على أثره ﷺ ، قال تعـالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ

١- أخرجه مسلم وعبد بن حميد وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات وأبو يعلى من طريق أبي عبيدة عن أبي موسى الاشعري ﷺ . والآية من رواية ابن ماجة وأبو يعلى فقط .

وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ {آل عمران : ٣١} . فلن يحبهم الله ؛ ويغفر لهم ، إلا إذا اتبعوك ، لأنهم لن يجدوا الله غفورا رحيما توابا ، إلا عندك ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ {النساء : ٦٤} .

ولا يشرب شارب إلا بيديه ﷺ . وهذا هو الكوثر :

- يشرب منه العوام في الآخرة . في الدورة الخلقية الوسطى .
- ويشرب منه الخواص في الدنيا والآخرة . لأنهم لا دنيا لهم ولا آخرة ، لانتهاء الدورة الخلقية الكبرى في حقهم .

الخليفة ﷺ

اعلم أن الله تعالى تجلى بأسمائه وصفاته – على كثرتها وتعددها – على جميع خلقه ، ولم يتجل التجلي الذاتي إلا على روح رسول الله ﷺ .

- فمن فني في الله ، فإنما فني في الأسماء والصفات .
- ومن فني في رسول الله ﷺ ، فإنما فني في الذات .

- فكان رسول الله ﷺ هو خليفة الله تعالى على الوجود كله ، علويه وسفليه . أما آدم عليه السلام فقد جعله الله تعالى خليفة في الأرض فقط ، فقال : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ {البقرة : ٣٠} . وقال : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ {ص : ٢٦} .

- فرسول الله ﷺ هو خليفة الله في كونه وزمانه على الإطلاق . أما باقي الأنبياء فهم إما نبي خليفة ، وإما نبي غير خليفة . فالنبي الخليفة هو خليفة عن رسول الله ﷺ ، لا عن الله تعالى . وهذا الخليفة عن رسول الله ﷺ :

- إما أن يكون خليفة خلافة عامة في الأرض كلها ، كآدم عليه السلام .

– وإما أن يكون خليفة خلافة محدودة بمكان وزمان معينين ، وعلى قوم مخصوصين ، كداود عليه السلام .

• كان رسول الله ﷺ يقول في دعاء السفر : ﴿**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَالخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ**﴾ (١) . فما جعله ﷺ خليفة في أهله ، إلا عند فقدهم إياه . قال رسول الله ﷺ عن الدجال : ﴿**إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ . وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ . وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**﴾ (٢) . فينوب الله عن أي شيء ، أي يقوم مقام ذلك الشيء بهويته . وهذا هو تعريف الخليفة الذي نقصده . فلا خليفة عن الله إلا رسول الله ﷺ ، ولا خليفة عن رسول الله ﷺ إلا الله .

١- رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي وحسنه وأحمد والدارمي وابن حبان في صحيحه وعبد الرزاق والبيهقي في السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما . وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه . والترمذي وأحمد والبيهقي في السنن والنسائي عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه . وأحمد وابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير والأوسط وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما . وأبو يعلى عن البراء رضي الله عنه .

٢- رواه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد والحاكم وصححه (ووافقه الذهبي) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه . وابن ماجة والحاكم وصححه (ووافقه الذهبي) والطبراني في الكبير وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه . وأحمد والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة وابن راهويه والحميدي عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها .

- ولكل أمة باب خاص إلهي ، ونبي هذه الأمة هو حاجب ذلك الباب ، الذي تدخل منه أمته على الله تعالى ، وسيدنا محمد ﷺ هو حاجب الحُجَّاب ، لعموم رسالته دون سائر الأنبياء عليهم السلام ، فهم حجبته ﷺ من آدم عليه السلام إلى آخر نبيّ ورسول .

وإنما قلنا أنهم حجبته ، لقوله ﷺ :

- ﴿ آدَمُ ، فَمَنْ دُونَهُ ، تَحْتَ لِوَائِي ﴾ (١) .
- وفي رواية أخرى : ﴿ آدَمَ ، فَمَنْ سِوَاهُ ، إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي ﴾ (٢) .
- وفي رواية أخرى : ﴿مَا مِن النَّاسِ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَهُو تَحْتَ لِوَائِي﴾(٣) .
- وفي رواية أخرى : ﴿ وَلَدُ آدَمَ كُلُّهُم تَحْتَ لِوَائِي ﴾ (٤) .

١- بهذا اللفظ رواه أحمد وأبو يعلى والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما . والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

٢- رواه الترمذي وصححه وابن عساكر عن أبي سعيد رضي الله عنه .

٣- رواه ابن عساكر في تاريخه وابن حجر في الفتح . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد حديث رقم ١٨٥١٢ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

٤- رواه ابن عساكر عن حذيفة رضي الله عنه .

ملحوظة :

الاعتراض بأن كل الروايات السابقة لهذا الحديث ، زمنها هو يوم القيامة غير مقبول . حيث لا اختلاف بين الحاضر والمستقبل في حق الله تعالى ورسوله ﷺ ، وهذا من قبيل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ {غافر : ١٦} . فنحن – في كل زمان ومكان – بارزون لله لا يخفى عليه ، مِنَّا ، خافية ، وهو صاحب الملك على الدوام ، ولكن في تقدير الزمن : هذا الأمر باطن اليوم ، وظاهر يوم القيامة . هذا استطراد كان لابد منه ، لذا فقد لزم التنويه .

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ ؟ . قَالَ : ﴿ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ ﴾ (١) . أي لم يوجد آدم بعد ، فالأنبياء – عليهم السلام – نوابه في عالم الخلق . وهو روح مجرّد ، عارف بذلك قبل نشأة جسمه . إلى أن وصل زمان ظهور جسده المطهر ﷺ ، فلم يبق

١– رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة ﷺ . وابن مردويه والبزار والطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس ﷺ . وابن سعد في الطبقات الكبرى عن عبد الله بن شقيق ﷺ . وابن سعد في الطبقات الكبرى وأحمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل وأبو نعيم في الحلية وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وابن أبي شيبة عن ميسرة الفجر ﷺ .

حكم لنائب من نوابه ، من سائر الحُجَّاب الإلهيين ، وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام ، إلا عنت وجوههم لقيومية مقامه ، إذ كان ﷺ حاجب الحُجَّاب ، فقرّر من شرعهم ما شاءه ، بإذن سيده ومرسله تبارك وتعالى ، ورفع من شرعهم ما أُمِر برفعه ونسخه .

فربما قال من لا علم له بهذا الأمر : أنّ موسى عليه السلام مثلا كان مستقلاً – مثل سيدنا محمد ﷺ – بشرعه ، فقد أقسم رسول الله ﷺ قائلا : **﴿ واللهِ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، مَا حَلَّ لَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي ﴾** (١) . وصدق رسول الله ﷺ .

- قال ﷺ : **﴿ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ﴾**(٢) .

١- رواه أحمد وأبو يعلى وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب والديلمي وأبو النصر السجزي في الإبانة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

٢- رواه مسلم وأبو داود وأحمد وابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه الترمذي وصححه وأحمد وابن ماجة وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . والطبراني في الأوسط وأبو يعلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه . وأحمد والطيالسي وأبو يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما . وابن حبان عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه . وابن حبان والحاكم وصححه والطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله عنه . وأبو يعلى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه . والحاكم وصححه والطبراني في الكبير عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

وقال ﷺ : ﴿ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي ﴾ (١) .

وقال ﷺ : ﴿ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ﴾ (٢) .

فهو ﷺ الراعي الأعظم المسؤول عن الخلق كلهم ، من بدء الخليقة لانتهائها . فكما شفع في الخلق في الابتداء ، ليخرجوا من العدم ، فسيشفع فيهم يوم القيامة .

كل هذا وردت به الأخبار الصحيحة ، وهذا ظننا في الله ، ولا موجب عليه تعالى إلا نفسه :

- فهو تعالى قد أوجب على نفسه أن لا يُخزي نبيه ﷺ ، في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ ﴾ {التَّحريم : ٨} .
- وهو تعالى أوجب على نفسه أن يُرضي نبيه ﷺ ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ {الضُّحى : ٥} .

١- بهذا اللفظ رواه أحمد وأبو يعلى والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما . والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

٢- رواه مالك في الموطأ والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي وصححه وأحمد وابن حبان والطبراني في الأوسط وعبد الرزاق عن ابن عمر رضي الله عنهما . والبخاري في صحيحه وأبو يعلى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . والطبراني في الأوسط عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والطبراني في الأوسط والصغير عن أنس رضي الله عنه . والطبراني في الأوسط عن أبي موسى رضي الله عنه .

– وهو ﷺ كل الخلق تحت لواءه من آدم عليه السلام فما دونه . وهو ﷺ لا يرضى وتحت لواءه من يُعذب ! . وكيف يرضى بذلك ، وقد قال الله تعالى فيه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} ! .

خلفاء رسول الله ﷺ

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ ﴾ (١) . أي أن خلفاء النبي ﷺ هم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل .

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ : خَلَّفَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ؟ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ﴾ (٢) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والبيهقي في السنن والدلائل وأبو عوانة وابن حبان في صحيحه وابن راهويه والخلال وابن أبي عاصم كلاهما في السنة عن أبي هريرة ﷺ .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وابن ماجة والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والحاكم و(صححه) والطبراني في الكبير عن سعد بن أبي وقاص ﷺ . والترمذي و(حسنه) وأحمد والطبراني في الكبير عن جابر بن عبد الله ﷺ . وأحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ . وأحمد والنسائي عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها . وأحمد والنسائي والحاكم و(صححه) والطبراني في الكبير عن ابن عباس ﷺ . والنسائي عن أبي بكر ﷺ . والحاكم و(صححه) عن الإمام علي كرم الله وجهه . والطبراني في الكبير عن حبشي بن جنادة ﷺ . والطبراني في الكبير عن أبي أيوب ﷺ . والطبراني في الكبير عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم ﷺ . وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني عن زيد بن أبي أوفى ﷺ في حديث المؤاخاة .

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ ؛ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الخطَّابِ** ﴾ (١) .

في هذين الحديثين أخبر النبي ﷺ أن الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ ، والإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، كلا منهما قد حاز خصال النبوة ، ولكن منعت منه المرتبة ، لأن المصطفى ﷺ هو خاتم النبيين ، فلا نبي بعده .

ثم عمم النبي ﷺ الخير لأمته ، فقد ورد :

عن عبد الله بن عمرو ﷺ ، عن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَكَأَنَّما استُدْرِجَت النبوَّةُ بَينَ جَنْبَيهِ ، غَيرَ أَنَّهُ لا يُوحَى إِلَيْهِ** ﴾ (٢) .

وعن ابن عمر ﷺ ، عن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **أَكْرِمُوا حَمَلَةَ القُرْآنِ ، فَمَنْ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ أَكْرَمَ اللهَ . أَلا فَلا تَنْقصُوا حَمَلَةَ القُرْآنِ حُقُوقهُم ، فَإِنَّهُم مِنَ اللهِ بِمَكَانٍ . كَادَ حَمَلَةُ القُرْآنِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ، إِلا أَنَّهُ لا يُوحَى إِلَيْهِمْ** ﴾ (٣) .

١- رواه الترمذي و(حسنه) وأحمد والحاكم و(صححه) والطبراني في الكبير والآجري في الشريعة عن عقبة بن عامر ﷺ .

٢- رواه ابن أبي شيبة والحاكم و(صححه) والبيهقي في الشعب وفي الأسماء والصفات وابن المبارك في الزهد والمنذري في الترغيب والترهيب عن عبد الله بن عمرو ﷺ . وتمام في فوائده عن البراء بن عازب ﷺ .

٣- رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر ﷺ .

فقراءة وحفظ القرآن هما وسيلتان لاستنزال النبوة .

فما ارتفعت النبوة بالكلية ، وإنما ارتفعت نبوة التشريع ، فهذا معنى قوله ﷺ : ﴿ **لا نَبِيَّ بَعْدِي** ﴾ (١) . أي لا مُشَرِّعَ خاصة ، لا أنه لا يكون بعده نبي ، فهذا مثل قوله ﷺ : ﴿ **إِذَا هَلَكَ كِسْرَى ، فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ . وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ** ﴾ (٢) ولم يكن كسرى وقيصر إلا ملوكا للروم والفرس ، وما زال الملك من الروم والفرس ، ولكن ارتفع هذا الاسم مع وجود الملك فيهم ، وتسمى ملكهم باسم آخر بعد هلاك قيصر وكسرى .

١- هذا جزء من عدة أحاديث رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والبيهقي في السنن عن أبي هريرة ﷺ . ومسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة عن سعد بن أبي وقاص ﷺ . والحاكم و(صححه) عن الإمام علي كرم الله وجهه . وأبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي في السنن وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والحاكم و(صححه) عن ثوبان ﷺ . والترمذي عن جابر بن عبد الله ﷺ . وابن ماجة وابن أبي عاصم والحاكم و(صححه) عن أبي أمامة الباهلي ﷺ . وأحمد عن ابن عمرو ﷺ . وأحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ . وأحمد عن حذيفة ﷺ . والنسائي عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها . وابن أبي عاصم عن زيد بن أبي أوفى ﷺ . وابن أبي عاصم عن أبي قتيلة ﷺ . وغيرهم كثير .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد والبيهقي في السنن والدلائل والحميدي وابن حبان والطيالسي عن أبي هريرة ﷺ . والبخاري وأحمد والطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان عن جابر بن سمرة ﷺ . والطبراني في الكبير عن جابر بن عبدالله ﷺ . والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

كذلك اسم النبي ؛ زال بعد رسول الله ﷺ ، لأنه زال التشريع المنزل من عند الله بالوحي بعده ﷺ ، فلا يشرع أحد بعده شرعا إلا ما اقتضاه نظر المجتهدين من العلماء في الأحكام ، فإنه صح بتقرير رسول الله ﷺ ، فحكم المجتهد من شرعه الذي شرعه ﷺ الذي يعطي المجتهد دليله ، وهو الذي أذن الله به ، فما هو من الشرع الذي لم يأذن به الله ، فإن ذلك كفر وافتراء على الله .

فالنبوة سارية في الخلق إلى يوم القيامة ، وإن كان التشريع قد انقطع ، فالتشريع جزء من أجزاء النبوة ، فإنه يستحيل أن ينقطع خبر الله وأخباره من العالم ، إذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في وجوده ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ {الكهف : ١٠٩} . وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ {لقمان : ٢٧} . وقد أخبر الله أنه ما من شيء يريد إيجاده إلا يقول له : (كن) (١) وأن عيسى عليه السلام كان كلمته (٢) . فهذه كلمات الله لا تنقطع ، وهي الغذاء العام لجميع الموجودات .

١- قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ {النحل : ٤٠} .

٢- قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ﴾ {النساء : ١٧١} .

فهذا جزء واحد من النبوة لا ينفد ، فأين أنت من باقي الأجزاء التي لها ؟ .
وقد شهد النبي ﷺ أن في أمته نظير لكل نبي من أنبياء بني إسرائيل :

- فعين ﷺ بعضهم بالاسم :

– حين قال للصديق أبي بكر ﷺ أن مثله مثل إبراهيم عليه السلام ، ومثله مثل عيسى عليه السلام . وقال للفاروق عمر ﷺ أن مثله مثل نوح عليه السلام ، ومثله مثل موسى عليه السلام (١) .

١- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُود ﷺ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى ﴾ ؟ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ الله قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ ، اسْتَبْقِهِمْ وَاسْتَأْنِ بِهِمْ ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ . وَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ الله أَخْرَجُوكَ وَكَذَّبُوكَ ، قَرِّبْهُمْ ، فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ . وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ : يَا رَسُولَ الله انْظُرْ وَادِيًا كَثِيرَ الْحَطَبِ ، فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ ، ثُمَّ أَضْرِمْ عَلَيْهِمْ نَارًا . فَقَالَ الْعَبَّاسُ : قَطَعْتَ رَحِمَكَ . فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا . فَقَالَ نَاسٌ : يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ . وَقَالَ نَاسٌ : يَأْخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ . وَقَالَ نَاسٌ : يَأْخُذُ بِقَوْلِ عَبْدِ الله بْنِ رَوَاحَةَ . فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ ، حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ . وَإِنَّ اللهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ ، حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنْ الْحِجَارَةِ . وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَالَ : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ {إبراهيم : ٣٦} . وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى عليه السلام قَالَ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ {المائدة : ١١٨} . وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ عليه السلام قَالَ : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ {نوح : ٢٦} . وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسَى عليه السلام قَالَ رَبِّ : ﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ {يونس : ٨٨} . رواه أحمد والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وابن أبي حاتم في تفسيره وابن عساكر في تاريخه .

– وقال للإمام علي كرم الله وجهه : ﴿أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي﴾ (١) .

- وعممها للأمة ، كما في قوله ﷺ : ﴿مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا لَهُ نَظِيرٌ فِي أُمَّتِي : أَبُو بَكْر نَظِيرُ إِبْرَاهِيم ، وَعُمَرُ نَظِيرُ مُوسَى ، وَعُثْمَان نَظِيرُ هَارُون ، وَعَلِيٌّ نَظِيرِي . وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَلْيَنْظُرْ إِلى أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ﴾ (٢) .

وفي حديث كيفية الصلاة على النبي ﷺ : ﴿اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيم ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٣) .

(اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) : أي بأن تجعل آله من أمته (٤) أنبياء من أصحاب النبوة العامة .

١- سبق تخريجه .

٢- رواه ابن الأعرابي في معجمه وابن عساكر في تاريخه والديلمي عن أنس بن مالك ﷺ .

٣- رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن كعب بن عجرة ﷺ . والبخاري والنسائي وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ . وابن ماجة عن أبي حميد الساعدي ﷺ .

٤- لا تتخيل أن آل سيدنا محمد ﷺ : هم أهل بيته خاصة . ليس هذا عند العرب . آل الرجل : هو كل من انتسب إلى الرجل من قريب أو بعيد . أما أهل الرجل : فهم خاصته ، أهل بيته . وقد يجمع الرجل بين الأهل والآل : كالحسن والحسين وجعفر ، وعلماء أهل البيت جميعا عليهم السلام .

(كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) بأن جعلت آله أنبياء ورسلا ، في المرتبة عندك (أي نبوة تشريع) . لذا فقد أعطى الله أمة سيدنا محمد ﷺ الحديث ، فمنهم المحدَّثون (١) ، وهو مقابل للوحي . وشرع لهم الاجتهاد ، وقرره حكما وشرعا ، وهو مقابل لتشريع الرسل السابقين .

وقد فطر الله قلوب العارفين من هذه الأمة ، على قلوب من سبقهم من الأنبياء : فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ **الْأَبْدَالُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثُونَ ، مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ . كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ ؛ أَبْدَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَكَانَهُ رَجُلًا** ﴾ (٢) .

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ **إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ** ﴾ رواه البخاري في صحيحه وأحمد في فضائل الصحابة والخطيب في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخ دمشق .

٢- رواه أحمد في مسنده وابن عساكر في تاريخه عن عبادة بن الصامت ﷺ ، وصححه السيوطي وقال المناوي : بإسناد صحيح . وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير عبد الواحد بن قيس وقد وثقه العجلي وأبو زرعة . وبلفظ : ﴿ **لا يَزَالُ أَرْبَعُونَ رَجُلا مِنْ أُمَّتِي قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ ، يَدْفَعُ اللهُ بِهِمْ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، يُقَالُ لَهُمُ الأَبْدَالُ** ﴾ ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوهَا بِصَلاةٍ وَلا بِصَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ** ﴾ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، فَبِمَ أَدْرَكُوهَا ؟ . قَالَ : ﴿ **بِالسَّخَاءِ وَالنَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ . رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود ﷺ .

وورد عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال :

- ﴿ إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ في الخَلْقِ : ثَلاثَمِائَةٍ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ آدَمَ عليه السلام .
- وَللهِ في الخَلْقِ : أَرْبَعُونَ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مُوسَى عليه السلام .
- وَللهِ في الخَلْقِ : سَبْعَةٌ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام .
- وَللهِ في الخَلْقِ : خَمْسَةٌ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ جِبْرِيلَ عليه السلام .
- وَللهِ في الخَلْقِ : ثَلاثَةٌ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مِيكَائِيلَ عليه السلام .
- وَللهِ في الخَلْقِ : وَاحِدٌ ، قَلْبُهُ عَلَى قَلْبِ إِسْرَافِيلَ عليه السلام .
- فَإِذَا مَاتَ الوَاحِدُ ، أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلاثَةِ .
- وَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلاثَةِ ، أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ الخَمْسَةِ .
- وَإِذَا مَاتَ مِنَ الخَمْسَةِ ، أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ السَّبْعَةِ .
- وَإِذَا مَاتَ مِنَ السَّبْعَةِ ، أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ الأَرْبَعِينَ .
- وَإِذَا مَاتَ مِنَ الأَرْبَعِينَ ، أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلاثَمِائَةٍ .
- وَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلاثَمِائَةٍ ، أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ العَامَّةِ .

فَبِهِمْ يُحْيِي ، وَيُمِيتُ ، وَيُمْطِرُ ، وَيُنْبِتُ ، وَيَدْفَعُ البَلاءَ ﴾ .

قيل لعبد الله بن مسعود : كيف ، بهم يحيي ويميت ؟ !

قال : لأنهم يسألون الله إكثار الأمم ، فيكثرون . ويدعون على الجبابرة ، فيقصمون . ويستسقون ، فيسقون . ويسألون ، فينبت لهم الأرض . ويدعون ،

فيدفع بهم أنواع البلاء (١) .

وصح عنه ﷺ أنه قال : ﴿ **إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ ؛ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** ﴾(٢) . فيرثون أحوالهم وعلومهم ومقامهم .

ليس هذا فقط ، بل ورد عنه ﷺ أن جعل درجتهم مثل درجة الأنبياء – فيما عدا نبوة التشريع – حيث قال ﷺ : ﴿ **لَنْ تَخْلُو الأَرْض مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلاً ، مِثْل خَلِيل الرَّحْمَنِ ، فَبِهِمْ تُسقَونَ ، وَبِهِمْ تُنْصَرونَ ، مَا مَاتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ آخَرَ** ﴾ (٣) . فالمخاطب هم علماء الأمة ، ولم يقل ورثة نبي واحد ، ولكن قال ﷺ : ورثة الأنبياء .

١- أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن ابن مسعود ﷺ .

٢- بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه في باب العلم قبل القول والعمل . ورواه أحمد وابن ماجة والترمذي وأبو داود وابن حبان والبيهقي في الشعب والطبراني في مسند الشاميين عن أبي الدرداء ﷺ .

٣- أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس وفي آخره قال سعيد : وسمعت قتادة يقول : لسنا نشك أن الحسن منهم . وهذا الحديث حسَّنه السيوطي وقال الهيثمي (حديث رقم ١٦٦٧٤ في المجمع) : إسناده حسن . وبلفظ " ثلاثين " أخرجه ابن حبان في تاريخه عن أبي هريرة ﷺ . وأخرجه أحمد في مسنده والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والخلال في كرامات الأولياء عن عبادة بن الصامت ﷺ وقال الهيثمي (حديث رقم ١٦٦٧٢ في المجمع) : رجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد وقد وثقة العجلي وأبو زرعة .

أما رسول الله ﷺ ؛ فلا يُفطَر قلب أحد على قلبه ، لأنه مقام عزيز المنال .

لذا ، فقد قال الشيخ أبو يزيد البسطامي ، رضي الله عنه وأرضاه ، مخبراً عن هذا المقام : **لو أعطاك** :

خلة ابراهيم عليه السلام .

ومكالمة موسى عليه السلام .

وروحانية عيسى عليه السلام .

فاطلب منه المزيد ، فإن عنده ما وراء ذلك .

قال العارف بالله تعالى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : **(مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أُوتِيتُمُ اللَّقَبَ ، وَأُوتِينَا مَا لم تُؤْتَوهُ)** .

- فأما قوله : (أوتيتم اللقب) أي حُجر علينا إطلاق لفظة النبي . وإن كانت النبوة العامة سارية في أكابر الرجال .
- وأما قوله : (وأوتينا ما لم تؤتوه) فيُصرف إلى معنيين :

أولا – أن يكون المخَاطَب هم أنبياء الأولياء ، وهم أهل النبوة العامة . فيكون قد صرح الشيخ عبد القادر بتقدمه عليهم ، تحدثا بنعمة الله .

ثانيا – أن يكون المخاطَب هم أنبياء بني إسرائيل ، وهو المقصود هنا ، وهو معنى قول الخضر – الذي شهد الحق تعالى بعدالته وتقدمه في العلم – لموسى عليه السلام : ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ ، عَلَّمَنِيهِ ، لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ**﴾ (١) . فهذا عين معنى (وأوتينا ما لم تؤتوه) .

١- عن سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ ، فَقَالَ : كَذَبَ عَدُوُّ الله . حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال : ﴿**قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ . فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ . فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ . فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ؛ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ ؟ . فَقِيلَ لَهُ : احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ ، فَهُوَ ثَمَّ . فَانْطَلَقَ ، وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، وَحَمَلَا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ ، وَضَعَا رُءُوسَهُمَا ، وَنَامَا ، فَانْسَلَّ الحوتُ مِنْ الْمِكْتَلِ : ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ {الكهف : ٦١} . وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا ، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ، قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ : ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ {الكهف : ٦٢} . وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنْ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ المكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ : ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ {الكهف : ٦٣} . قَالَ مُوسَى : ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ {الكهف : ٦٤} . فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ ؛ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ (أَوْ قَالَ : تَسَجَّى بِثَوْبِهِ) فَسَلَّمَ مُوسَى ، فَقَالَ الخَضِرُ : وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ . فَقَالَ : أَنَا مُوسَى . فَقَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ {الكهف : ٦٧} =**

ثبت أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي ، وَلَا نَبِيَّ** ﴾ فلما قال النبي ، ﷺ ، ذلك : شَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **لَكِنْ الْمُبَشِّرَاتُ** ﴾ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ ؟ . قَالَ :

= يَا مُوسَى : إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ ، عَلَّمَنِيهِ ، لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ . وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ ، لَا أَعْلَمُهُ . ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾ {الكهف : ٦٩} . فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، لَيْسَ لهمَا سَفِينَةٌ ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا ، فَعُرِفَ الخَضِرُ ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ ، فَقَالَ الخَضِرُ : يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ ، فَقَالَ مُوسَى : قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ . ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣ ﴾ {الكهف : (٧٢ – ٧٣)} . فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا . فَانْطَلَقَا ، فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ ، فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ ، فَقَالَ مُوسَى : ﴿ أَقَتَلۡتَ نَفۡسَۢا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ ﴾ {الكهف : ٧٤} . ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ {الكهف : ٧٥} . قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : وَهَذَا أَوْكَدُ . ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ ﴾ {الكهف : ٧٧} . قَالَ الخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : ﴿ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ ﴾ {الكهف : (٧٧ – ٧٨)} . قَالَ النَّبِيُّ ، ﷺ : يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى ، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد .

﴿ رُؤْيَا المسْلِمِ ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ ﴾ (١) .

هذا الحديث من أرجى الأحاديث ، التي تظهر لك مدى رحمته ﷺ بأمته ، حتى أنهم لما شق عليهم انقطاع الرسالة والنبوة ، استثنى لهم جزءا هو من أجزاء النبوة ، فيا له ﷺ من رحيم ! .

ولما علم رسول الله ﷺ إن في أمّته من يشق عليه ذلك ، وأنه لم يكتف بالمبشرات ، التي هي جزء من النبوة فقط ، فرحمهم برحمة أوسع ، وجعل لهم نصيباً من الرسالة أيضا ، فقال ﷺ للصحابة : ﴿ **لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ** ﴾ (٢) .

فأمرهم النبي ﷺ بالتبليغ ، كما أمره الله تعالى بالتبليغ (٣) . لينطلق عليهم أسماء الرسل .

وقال ﷺ : ﴿ **نَضَّرَ** (يُروى بالتخفيف والتشديد ، من النضارة ، وهي حسن الوجه ، وبريقه ، والمراد : حَسَّنَ خلقه وقدره) **اللهُ عَبْداً ؛ سَمِعَ مَقَالَتِي ، فَحَفِظَهَا ،**

١- رواه الترمذي وصححه وأحمد والحاكم وصححه عن أنس بن مالك ﷺ .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن ماجة والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن عن أبي بكرة ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن عن أبي شريح ﷺ . والبخاري وأحمد وابن أبي شيبة عن ابن عباس ﷺ .

٣- حيث قال له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ {المائدة : ٦٧} .

وَوَعَاهَا ، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا ﴾ (١) . يعني حرفاً حرفاً ، وهذا لا يكون إلا لمن بلغ الوحي ، من قرآن أو سنة ، بلفظه الذي جاء به ، وهذا لا يكون إلا لنقلة الوحي من المقرئين والمحدثين ، ليس للفقهاء ، ولا لمن نقل الحديث على المعنى – كما يراه سفيان الثوريّ وغيره – نصيب ولا حظ فيه ، فإن الناقل على المعنى ، إنما نقل إلينا فهمه في ذلك الحديث النبوي ، ومن نقل إلينا فهمه ؛ فإنما هو رسول نفسه ، ولا يحشر يوم القيامة فيمن بلغ الوحي كما سمعه ، وأدّى الرسالة ، كما يحشر المقرىء والمحدث الناقل لفظ الرسول عينه ، في صف الرسل عليهم السلام .

- فالصحابة إذا نقلوا الوحي – على لفظه – فهم رسل رسول الله ﷺ .
- والتابعون رسل الصحابة رضوان الله عليهم .
- وهكذا الأمر جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة .
- فإن شئنا قلنا في المبلغ إلينا أنه : رسول الله .
- وإن شئنا أضفناه لمن بلغ عنه ، كأن نقول رسول رسول الله ، أو رسول رسول رسول الله .

١- رواه الشافعي في مسنده (واللفظ له) وأبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد والدارمي وابن حبان والحاكم والطبراني وقال الكتاني في نظم المتناثر : ذكر ابن منده في تذكرته أنه رواه عن النبي ﷺ أربعة وعشرون صحابيا ، ثم سرد أسماءهم . نقله ابن حجر في أماليه .

وإنما جوّزنا حذف الوسائط ؛ لأن رسول الله ﷺ كان يخبره جبريل عليه السلام ، وهو ملك من الملائكة ، ولا نقول فيه ﷺ أنه رسول جبريل ، وإنما نقول فيه رسول الله كما قال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ {الأحزاب : ٤٠} . مع قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ {الشعراء : (١٩٣ - ١٩٤)} . ومع هذا فما أضافه الله إلا إلى نفسه .

وقال عز وجل : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ {الفتح : ٢٩} . هنا عطف (**الذين معه**) على (**محمد**) بحرف العطف الذي هو (**و**) في صفة (**رسول الله**) لمن لم يقف في التلاوة على الوقف الجائز ، عند لفظ (**الله**) . ويؤيد ما ذهبنا إليه قول الصادق المصدوق ﷺ : ﴿ **النَّاسُ حَيْزٌ ، وَأَنَا وَأَصْحَابِي حَيْزٌ** ﴾ (١) . وهذا القدر من الرسالة هو خير عظيم ، امتن به على أمته . ومهما لم ينقله الشخص بسنده متصلاً ، غير منقطع ، فليس له هذا المقام ، ولا شم له رائحة ، فإن مقام الرسالة لا يناله أحد بعد رسول الله ﷺ ؛ إلا بقدر ما بينَّاه ، فهو الذي أبقاه الحق تعالى علينا ، ومن هنا تعرف شرف مقام المحدثين ، نقلة الوحي بالرواية .

١- رواه أحمد والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة وأبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
حيز : كل من ضم شيئا إلى نفسه فقد حَازَهُ واحْتَازَهُ .

فخلفاؤه – ﷺ – بمنزلة أنبياء بني إسرائيل ، ليس هذا فقط ، بل ورسلهم أيضا ، بل لهم زيادة على ذلك وهو التبعية المحمدية ؛ على ما سيأتي بيانه في الباب التالي إن شاء الله تعالى .

التبعية المحمدية

لما علم موسى عليه السلام عن هذه الأمة المحمدية ، سأل الله تعالى قائلا : (اجعلني نبيهم) فقال تعالى له : (نبيهم منهم) . فقال موسى : (رب فاجعلني منهم) . فقال تعالى : (إنك لن تدركهم) (١) .

١- روى أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه وابن جرير الطبري والقرطبي والبغوي وعبد الرزاق الصنعاني في تفاسيرهم عن نوف البكالي الحميري رضي الله عنه قال : لما اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقات ربه ؛ قال الله تعالى لموسى : أجعل لكم الأرض مسجدا وطهورا ، تصلون حيث أدركتكم الصلاة ، إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر ، وأجعل السكينة في قلوبكم ، وأجعلكم تقرءون التوراة عن ظهر قلوبكم ، يقرأها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير . فقال ذلك موسى لقومه ، فقالوا : لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس ، ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ، ونريد أن تكون كما كانت في التابوت ، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ، ونريد أن لا نقرأها إلا نظراً . فقال الله تعالى : ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾ {الأعراف : (١٥٦ – ١٥٧)} . =

سؤال : ما تأويل قول موسى عليه السلام اجعلني من أمة سيدنا محمد ﷺ ؟ .

الجواب : لما عرف موسى عليه السلام أن الأنبياء في النسبة إلى سيدنا محمد ﷺ ؛ هي نسبة أمته إليه ، وأن نسبة أمته إليه هي من اسميه تعالى : الظاهر والباطن ، وأن نسبة الأنبياء إليه ﷺ من اسمه تعالى : الباطن فقط . أراد موسى أن يجمع الله له بين الاسمين في شرعه . ثم إنه لما علم أنه تَبَعٌ (أي نبي متبوع) ؛ أراد إقامة جاهه عند سيدنا محمد ﷺ على غيره من الرسل ، إذ كان التباهي يوم القيامة بالتكاثر بالأمم والأتباع ، وليس في الرسل أكثر أتباعاً من موسى عليه السلام – كما أخبر ﷺ في الصحيح – حين رأى سواداً أعظم ، فسأل ، فقيل له : ﴿ **هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ** ﴾ (١) .

= فجعلها لهذه الأمة . فقال موسى : يا رب ، اجعلني نبيهم . فقال : نبيهم منهم . قال : رب اجعلني منهم . قال : إنك لن تدركهم . فقال موسى : يا رب ، أتيتك بوفد بني إسرائيل ، فجعلت وفادتنا لغيرنا . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ** ﴾ {الأعراف : ١٥٩} . فرضي موسى . قال نوف : فاحمدوا الله الذي جعل وفادة بني إسرائيل لكم . وذكر أبو نعيم أيضا هذه القصة من حديث الأوزاعي قال : حدثنا يحيى بن أبي عمرو السيباني قال : كان نوف البكالي يقول : احمدوا ربكم الذي شهد غيبتكم ، وأخذ بسهمكم ، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم .

١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا قَالَ : ﴿ **عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ ، فَقِيلَ : هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ** ﴾ . رواه البخاري في صحيحه .

وقد قال ﷺ أنه : ﴿ سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) . والسيد لا يُكَاثَرُ .

فإذا كان موسى عليه السلام بدعائه أن يكون من أمة سيدنا محمد ﷺ في الدرجة الظاهرة والباطنه – مثل ما نحن – زاد هو وأمته في سوادنا بلا شك .

وما قال ﷺ : ﴿ إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ ﴾ (٢) . إلا في أمم لم يكن لنبيها مجموع الاسمين اللذين دعا اللهَ موسى عليه السلام أن يكونا له .

فكل من جمع بين الاسمين ؛ حشر معنا في أمته ﷺ .

فيباهي موسى بأمته سائر الانبياء الذين حشروا معنا ، فيكونون معه بمنزلة الأمراء المقدمين على العساكر ، فأكبرهم أميراً أكثرهم جيشا ، وأكثرهم جيشاً أعظمهم قدرا وحرمة عند رسول الله ﷺ .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي والبيهقي في الدلائل وأبو عوانة وابن حبان وابن المبارك في مسنده وابن منده في الإيمان وابن خزيمة في التوحيد وهناد في الزهد وابن أبي عاصم في السنة وابن أبي الدنيا في الأهوال عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأحمد والبيهقي في الدلائل والشعب والدارمي وابن منده في الإيمان والآجري في الشريعة والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أنس بن مالك رضي الله عنه . والحاكم وصححه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه . والحاكم والطبراني في الأوسط وابن أبي عاصم في الأوائل والخرائطي في مكارم الأخلاق عن حذيفة رضي الله عنه .

٢- رواه ابن ماجة عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأبو داود والبيهقي في السنن عن معقل بن يسار رضي الله عنه . والترمذي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة عن الصنابحي رضي الله عنه . وأحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . والبيهقي في السنن عن أبي أمامة رضي الله عنه .

ومن هنا فقد قال النبي ﷺ : ﴿**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**﴾ (١) . وفي رواية : ﴿**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**﴾ (٢) . ومن هنا أيضا قال النبي ﷺ لليهود : ﴿**أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ**﴾ وفي رواية ﴿**نَحْنُ**﴾ (٣) .

ومعلوم أن عيسى عليه السلام لا بد أن ينزل في هذه الأمة ، في آخر الزمان (٤) ، ويحكم بسنة سيدنا محمد ﷺ ، مثل ما حكم الخلفاء المهديون الراشدون ، ويدخل بدخوله في الأمة المحمدية – من أهل الكتاب – في الإسلام خلق كثير أيضاً .

١– رواه أحمد وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

٢– رواه أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب وأبو يعلى والتبريزي في مشكاة المصابيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

٣– رواه البخاري وابن ماجة وأحمد والبيهقي في الشعب وأبو يعلى والحميدي وأبو عوانة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٤– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ المالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والحاكم وصححه والطبراني وأبو عوانة والحميدي وابن حبان . وتوجد زيادة : ﴿**وَلا يَقْبَلُ غَيرَ الإِسْلامِ**﴾ في رواية عبد الرزاق في مصنفه ومعمر بن راشد . وتوجد زيادة : ﴿**وَتَكُونُ السَّجْدَةُ وَاحِدَةٌ لله رَبِّ العَالمِينَ**﴾ في رواية عبد الرزاق في مصنفه والطبراني في الكبير والأوسط ومعمر بن راشد .

ومن هنا أيضا قال النبي ﷺ : ﴿**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ**﴾ (١) . فنحن أولى به من النصارى لأنه من الأمة المحمدية .

قال أبو يزيد البسطامي ﷺ : (**خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله**) .

وقال سلطان العاشقين عمر بن الفارض ﷺ :

ودونك بحرا خضته وقف الأولى بساحله ، صونا لموضع حرمتي

وقال بعض العارفين : (**نهاية أقدام النبيين بداية أقدام الأولياء**) .

وهناك شرح نفيس للقطب المكتوم ختم الأولياء سيدي أحمد التجاني – رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا به – لهذه العبارات حيث قال :

[للعارف وقت يطرأ عليه الفناء والاستغراق ، حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده ، ويخرج عن جميع مداركه ووجوده .

- لكن تارة يكون ذلك في ذات الحق سبحانه وتعالى ، فيتدلى له من قدس اللاهوت ، من بعض أسراره ، فيض يقتضي منه أن يشهد ذاته عين ذات الحق تعالى لمحقه فيها ، واستهلاكه فيها ، ويصرح في هذا الميدان بقوله : **سبحاني** ، **لا إله إلا أنا وحدي** ...إلخ من التسبيحات ،

١– رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود وابن حبان في صحيحه والطبراني في مسند الشاميين وابن عساكر في تاريخه عن أبي هريرة ﷺ .

كقوله : **جلَّت عظمتي وتقدس كبريائي** . وهو في ذلك معذور ، لأن العقل الذي يميز به الشواهد والعوائد ، ويعطيه تفصيل المراتب ، بمعرفة كل بما يستحقه من الصفات ، غاب عنه وانمحق ، وتلاشى واضمحل ، وعند فقد هذا العقل وذهابه ، وفيض ذلك السر القدسي عليه ، تكلم بما تكلم به ، فالكلام الذي وقع فيه خلقه الحق فيه نيابة عنه ، فهو يتكلم بلسان الحق ، لا بلسانه ، ومعربا عن ذات الحق ، لا عن ذاته ، ومن هذا الميدان قول أبي يزيد البسطامي ﷺ : **سبحاني ما أعظم شأني** . وقول الحلاج ﷺ : **أنا الحق** . **وما في الجبة إلا الله** . وكقول بعضهم : **فالأرض أرضي ، والسماء سمائي** . وكقول التستري ﷺ عنه :

انظر أنا شيء عجيب لمن يراني أنا المحب والحبيب ما ثمَّ ثاني

وكقوله أيضا : **أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا** ...البيت . وأقوال ابن الفارض مثل هذه كثيرة ، وهذا مما يعطيه الفناء والاستغراق في ذات الحق . وهذا أمر خارج عن المقال ، يدرك بالذوق وصفاء الأحوال ، فلا يعلم حقيقته إلا من ذاقه .

- وتارة يكون الاستغراق للعارف ، والفناء في ذات النبي ﷺ ، لغيبته عن ذاته في ذات النبي ﷺ ، فيتدلى له ﷺ ببعض أسراره ، فإذا كسيت

ذاته ذلك السر ، فلا يشهد ذاته إلا ذات النبي ﷺ ، ويُعلمُه ببعض ما اختص به نبيه ﷺ ، من الخصوصيات التي لا مطمع فيها لغيره ﷺ ، فيتكلم بلسان النبي ﷺ ، نيابة عنه ببعض ما اختص الله به نبيه ﷺ ، من الخصوصيات العظام ، ما له به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين ، فهو يخبر عما أعطى الله نبيه ﷺ ، مخبرا عن نفسه ، فمن يسمعه ؛ يظن أنه ينسبه لنفسه ، وإنما نسبه للنبي ﷺ ، لغيبته في ذاته ، فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ، ورجع لِحِسِه وشاهِدِه ، تبرأ من ذلك ، لعلمه بمرتبته ، وسق هذا المساق في كل ما تسمع من الشيوخ ، مما يقتضي أن لهم شفوفا على مراتب النبيين والمرسلين ، مثل قول الدسوقي رضي الله عنه :

أنا كنت مع نوح لَمَّا شهد الورى بحورا وطوفانا على كف قدرتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه وما أنزل الكبش إلا بفتوتي
أنا كنت مع أيوب في زمن البلا وما شُفِيَت بلواه إلا بدعوتي

وأَكْثَرَ من هذا رضي الله عنه ، فكل ذلك لفنائه في ذات النبي ﷺ ، مترجما عن مقامه ﷺ ، وهذا يغني في الجواب ، ومن وراء ذلك ما لا يلحقه العقل ، ولا يأتي عليه القول ، ولا يحل ذكره ، لبعده عن الأفهام ، والسلام .

وهذا الذي ذكرناه من فناء العارف في ذات الله ، وفي ذات النبي ﷺ ، ليس هو لكل العارفين ، ولا في كل وقت من أوقات من يقع له ، بل هو خاص ببعض الأوقات ، لبعض العارفين فقط .

البحر الذي خاضه رسول الله ﷺ ، ووقفت الأنبياء بساحله ، هي بحار الحقائق ، التي تجلى الله بها عليه ، دون غيره من أكابر النبيين والمرسلين ، فمن دونهم ، إلى هلم جرا . فإن تلك الحقائق ، لو تجلى الله بها للنبيين والمرسلين ، ولو بأقل قليل منها ، لصاروا محض العدم في أسرع من طرفة البصر ، وإنما وقفوا بساحل تلك التجليات ، وهي التجليات التي اختصهم الله بها ، من طلوع الجلال والجمال والعظمة والكبرياء ، فتلك الحقائق التي هي لهم بالنسبة إلى حقائقه ﷺ ، المنكشفة له خصوصا ، كالساحل للبحر ، فإنهم تكلموا بلسانه ﷺ ، لغيبتهم فيه ، وفنائهم فيه . ثم قال رضي الله عنه : وأما ما وراء هذا ، من العبارة على حقيقة البحر ، فلا يحل ذكره ، فضلا عن كتبه في الأوراق] اهـ .

فما ثم مرتبة بين النبي ﷺ وأمته ، لأن قصارى أملهم هو غيبتهم عنهم ، وفناؤهم فيه ، وظهورهم به ، فهو ﷺ : الأول والآخر والظاهر والباطن ، على ما سنبينه في هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

السجود للنبي ﷺ

عَنْ أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنْ المهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَجَاءَ بَعِيرٌ ، فَسَجَدَ لَهُ . فَقَالَ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ الله تَسْجُدُ لَكَ الْبَهَائِمُ وَالشَّجَرُ ! فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ ، فَقَالَ ﷺ : « **اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ، وَأَكْرِمُوا أَخَاكُمْ** » (١) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ الجَمَلَ اسْتُصْعِبَ عَلَيْهِمْ ، فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نُسْنِي عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ اسْتُصْعِبَ عَلَيْنَا ، وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ ، وَقَدْ عَطِشَ الزَّرْعُ وَالنَّخْلُ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ : « **قُومُوا** » . فَقَامُوا ، فَدَخَلَ ﷺ الْحَائِطَ ، وَالجَمَلُ فِي نَاحِيَةٍ ، فَمَشَى النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَهُ ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : يَا نَبِيَّ الله إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلِبِ (أي الكلب المسعور) ، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ ، فَقَالَ ﷺ :

١- رواه أحمد (وقال الهيثمي : إسناده جيد) والآجري في الشريعة والتبريزي في مشكاة المصابيح وابن كثير في البداية والنهاية (وقال : اسناده على شرط السنن) عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

﴿ **لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ** ﴾ . فَلَمَّا نَظَرَ الجَمَلُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِنَاصِيَتِهِ ، أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ ، حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ . فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ الله هَذِهِ بَهِيمَةٌ لَا تَعْقِلُ ، تَسْجُدُ لَكَ ، وَنَحْنُ نَعْقِلُ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ ! . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ** ﴾ (١) .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ : أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ لَهُ فحلانِ ، فاغْتَلَمَا ، فَأَدْخَلَهُمَا حَائِطًا ، فَسَدَّ عَلَيْهِمَا الْبَابَ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ الله إِنِّي جِئْتُ فِي حَاجَةٍ ، وَإِنَّ فَحْلَيْنِ لِي اغْتَلَمَا ، فَأَدْخَلْتُهُمَا حَائِطًا ، وسَدَدْتُ الْبَابَ عَلَيْهِمَا ، فَأُحِبُّ أَنْ تَدْعُوَ لِي أَنْ يُسَخِّرَهُما اللهُ لِي . فَقَالَ لأَصْحَابِهِ : ﴿ **قُومُوا مَعَنَا** ﴾ ، فَذَهَبَ حَتَّى أَتَى الْبَابَ ، فَقَالَ : ﴿ **افْتَحْ** ﴾ ، فَأَشْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : ﴿ **افْتَحْ** ﴾ ، فَفَتَحَ الْبَابَ ، فَإِذَا أَحَدُ الْفَحْلَيْنِ قَرِيبٌ مِنَ الْبَابِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ لَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ **ائْتِنِي بِشَيْءٍ أَشُدُّ بِهِ رَأْسَهُ ،**

١- رواه أحمد في مسنده (وهو حديث رقم ١٤١٥٣ في مجمع الزوائد وقال الهيثمي عنه : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخي أنس وهو ثقة) ، وابن كثير في البداية والنهاية (وقال : إسناده جيد) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (وقال عنه : رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد رواته ثقات مشهورون والبزار بنحوه) .

وأُمْكِنُكَ مِنْهُ﴾ ، فَجَاءَ بِخِطَامٍ ، فَشَدَّ بِهِ رَأْسَهُ ، وأَمْكَنَهُ مِنْهُ ، ثُمَّ مَشَيَا إِلَى أَقْصَى الْحَائِطِ ، إِلَى الْفَحْلِ الآخَرِ ، فَلَمَّا رَآهُ ؛ وَقَعَ لَهُ سَاجِدًا ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ : **﴿ ائْتِنِي بِشَيْءٍ أَشُدُّ بِهِ رَأْسَهُ﴾** ، فَشَدَّ رَأْسَهُ ، وأَمْكَنَهُ مِنْهُ ، فَقَالَ : **﴿ اذْهَبْ ، فَإِنَّهُمَا لا يَعْصِيانِكَ﴾** ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ ذَلِكَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَيْنِ فَحْلَيْنِ لا يَعْقِلانِ ، سَجَدَا لَكَ ، أَفَلا نَسْجُدُ لَكَ ؟ . قَالَ : **﴿ لا آمُرُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ﴾** (١) .

فطاعة الكون له ﷺ ، هي طاعة الكون لله ، لظهور الله فيه ﷺ .

وسجود الحيوانات له ﷺ ، هي سجود لله فيه ﷺ ، كسجود الملائكة لآدم عليه السلام . وهي ليست سجود مخلوق لمخلوق ، ولكنه سجود مخلوق ، لخالق ، تجلى على مخلوق ، فأفناه عن نفسه ، وأحياه به ، فكان هو عوضا عنه ، فيه ، ظاهرا في مظهره :

- فقوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ {الأنفال : ١٧} .
  أثبت الله تعالى الرمي للصورة المحمدية ، ثم نفاه عن الصورة ، وأثبته للحقيقة .

١- رواه الطبراني في الكبير (وهو حديث رقم ١٤١٥٣ في مجمع الزوائد وقال الهيثمي عنه : فيه أبو عزة الدباغ وثقه ابن حبان واسمه الحكم بن طهمان وبقية رجاله ثقات) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح : ١٠} . أثبت أنهم يبايعون الصورة المحمدية ، وبدون نفي ، أثبت أن هذه الصورة هي الحقيقة المحمدية ، في نفس الوقت ، بدليل قوله تعالى في الحديث القدسي : ﴿كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا﴾ (١) .

عن بريدة ﷺ ، قال في قصة الأعرابي والشجرة : فقال الأعرابي : يا رسول الله أئذن لي أن أقبل رأسك ورجلك . فأذن له ﷺ . ثم قال : يا رسول الله أئذن لي أن أسجد لك . فقال ﷺ : ﴿لا يَسْجُدُ أَحَدٌ لأَحَدٍ﴾ (٢) .

١- رواه البخاري وابن حبان في صحيحه والبيهقي في السنن عن أبي هريرة ﷺ . ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه . ورواه أبو يعلى عن أم المؤمنين السيدة ميمونة رضي الله عنها . والطبراني في الكبير عن أبي أمامة ﷺ .

٢- رواه ابن المقرئ في جزء تقبيل اليد وابن عساكر في تاريخه وابن الأعرابي في المعانقة وأبو نعيم في الدلائل وأورده الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد عن البزار ، وأورده ابن حجر في الفتح ضمن الأحاديث التي إسنادها جيد في تقبيل اليد عن بريدة ﷺ .

وعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ : أَتَيْتُ الْحِيرَةَ ، فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ ، فَقُلْتُ : رَسُولُ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ . قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقُلْتُ : إِنِّي أَتَيْتُ الْحِيرَةَ ، فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ ، فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ . قَالَ ﷺ : ﴿ **أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي ؛ أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ ؟** ﴾ . قَالَ : قُلْتُ : لَا . قَالَ : ﴿ **فَلَا تَفْعَلُوا** ﴾ (١) .

- سؤال النبي ﷺ : ﴿ **أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي ؛ أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ ؟** ﴾ .

يحمل في طياته معانٍ رقيقة ، وهي أن الجسم للروح كالقبر ، فشبه حجاب جسده الشريف ﷺ ، على حقيقته ﷺ ، بالقبر ، وجواب قيس بالنفي يدل على انحجابه ببشريته ﷺ عن روحانيته ، وإن شئت قلت : انحجابه بخلقيَّته ﷺ عن حقيَّته ، فعندها يصبح السجود له ﷺ شرك .

- **أما البهائم :**

- فقد قال عنها أصحابه ﷺ في الحديث السابق : (يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ بَهِيمَةٌ <u>**لَا تَعْقِلُ**</u> ، تَسْجُدُ لَكَ) ومعنى أنها لاتعقل : أي لا تنحجب بحجاب الخلقية ، فيحق لها السجود .

١- رواه أبو داود والحاكم وصححه (وأقره الذهبي) والبيهقي في السنن والتبريزي في مشكاة المصابيح والمنذري في الترغيب والترهيب عن قيس بن سعد ﷺ .

- وقالوا : (وَنَحْنُ نَعْقِلُ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ !) ونعقل هنا : تحمل في طياتها علة منع السجود ، للانحجاب بالخلقيَّة عن الحقيَّة .
- لذا فقد رد عليهم المصطفى ﷺ في الحديث السابق ، بقوله : ﴿ لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ ﴾ .
- فعين ما احتجوا به ، هو عين الحجة عليهم (١) ! .
- فطالما رأوه بشرا ، فلا يحق لهم السجود له .
- وطالما لم تره البهائم بشراً ، ورأته حقًّا ، حق عليها السجود له ، كما سجدت الملائكة لآدم عليه السلام .
- وهذا السجود من البهائم ، كان تلقائيا ، لشدة ظهور حقيته ، في خلقيته ، ﷺ .
- ولله در من قال :

لَقَدْ ظَهَرْتَ فَلا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ   إِلَّا عَلَى أَكْمَهٍ لا يَعْرِفُ القَمَرَا
ثُمَّ اسْتَتَرْتَ عَنِ الأَبْصَارِ يَا صَمَدُ   وَكَيْفَ يَظْهَرُ مَنْ بِالعِزَّةِ اسْتَتَرَا !

١- وهذا ليس معناه أنه هناك من هو أعلم من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن حدث هذا الحوار ليعلمنا هذه المعاني الجليلة ، التي لولا أنهم سألوا رسول الله ﷺ عنها ما علمناها . فجزاهم الله عنا خير جزاء ، ورضي الله عنهم ، ورضي الله عنا بهم ، وجعلنا الله خير خلف لخير سلف ، آمين .

- وصدق رسول الله ﷺ حيث قال : ﴿ **إِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – إِذَا بَدَا لِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ؛ خَشَعَ لَهُ** ﴾ (١) .

- فلا سجود إلا للحق جل وعلا .

١- رواه النسائي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في السنن والحاكم وصححه وابن خزيمة في صحيحه وابن الأعرابي عن النعمان بن بشير ﷺ . والدارقطني عن أبي بكرة ﷺ . وابن خزيمة في صحيحه والروياني عن قبيصة البجلي ﷺ .

الوحي

الوحي له وجهان : الأول هو وحي القرآن . والثاني هو وحي الفرقان .

- فوحي القرآن : حصل عند رسول الله ﷺ قرآناً مجملاً ، غير مفصل الآيات والسور .
- ولهذا كان ﷺ يعجل به ، حين كان ينزل عليه جبريل عليه السلام بالفرقان ، فقيل له : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ﴾ {طه : ١١٤} . الذي عندك ، فتلقيه مجملاً ، فلا يُفهم عنك : ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ {طه : ١١٤} . فرقاناً مفصلاً : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ {طه : ١١٤} . أي علماً بتفصيل ما أجملته فيّ من المعاني (١) .

١- قال رسول الله ﷺ : «**تمد الأَرْض يَوْم الْقِيَامَة مدّ الأديم ، ولا يكون لبشر مِنْ بني آدم فيها إلا موضع قدمه ، ثُمَّ أدعى أول الناس ، فأخر ساجداً ، ثُمَّ يؤذن لي ، فأقول : يارب ، أخبرنى هَذَا – لجبريل عليه السلام ، وجبريل عَنْ يمين الرحمن ، والله مارآه جبريل قط قبلها – أنك أرسلته إلي – وجبريل عليه السلام ساكت لا يتكلم – حتى يَقُولُ الرب : صدقت.. ثُمَّ يؤذن لي في الشفاعة ، فأقول : أي رب عبادك عبدوك في أطراف الأَرْض ، فذلك : المقام المحمود**» . أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل والحارث في مسنده وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات وابن حجر في المطالب العالية من طريق علي بن حسين رضي الله عنه .

وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ ﴾ {الدُخان : ٣} . ولم يقل بعضه . وهذا هو وحي القرآن . ثم قال : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ {الدُخان : ٤} . وهذا هو وحي الفرقان .

خلق الله تعالى جبريل عليه السلام من نور سيدنا محمد ﷺ ، وهو يتطلع شوقاً لأن يعود إلى ذلك الأصل ، فقال جبريل عليه السلام في الحديث الصحيح : ﴿ وَأَنَا مِنْكُمَا يَا رَسُولَ اللهِ ﴾ (١) .

نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ بالوحي ، هو معراج لجبريل عليه السلام ، حيث سمى الله تعالى النزول من الملائكة إلينا عروجاً . والعروج إنما هو لطالب العلو ، لأن لله في كل موجود تجليًا ، ووجهاً خاصًّا به ، يحفظه ، ولا سيما وقد ذكر أنه سبحانه وسعه قلب عبده المؤمن .

ولما كان للحق سبحانه صفة العلو على الإطلاق ، سواء تجلى في السفل ، أو في العلو ، فالعلو له . والملائكة أعطاهم الله من العلم بجلاله ، بحيث إذا

١- هذا جزء من الحديث المروي عن أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه ، قَالَ : لما قَتَلَ الإمام عَلِيٌّ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - يَوْمَ أُحُدٍ أَصْحَابَ الأَلْوِيَةِ ، قَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَذِهِ لَهِيَ الموَاسَاةُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ إِنَّهُ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُ ﴾ . قَالَ جِبْرِيلُ : وَأَنَا مِنْكُمَا يَا رَسُولَ اللهِ . رواه الطبراني في الكبير وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة والطبري في ذخائر العقبى وفي الرياض النضرة في مناقب العشرة والعصامي في سمط النجوم العوالي .

توجهوا من مقامهم ، لا يتوجهون إلا لله ، لا لغيره ، فلهم نظر إلى الحق ، في كل شيء ينزلون إليه ، فمن حيث نظرهم إلى ما ينزلون إليه ، يقال تتنزل الملائكة ، ومن حيث أنهم ينظرون إلى الحق سبحانه ، عند ذلك الأمر الذي إليه ينزلون – وله سبحانه مرتبة العلو – يقال : تعرج الملائكة . فهم في نزولهم ، أصحاب عروج . فنزولهم إلى الخلق ، عروج إلى الحق ، وإذا رجعوا منا إلى مقاماتهم ، يقال : أنهم عرجوا بالنسبة إلينا .

وعلى هذا ؛ فقد كان نزول الملك على قلبه ﷺ (١) ، كي يُقرئه الفرقان من قلبه ﷺ : ﴿ **فَجَاءَهُ الملَكُ ، فَقَالَ : اقْرَأْ . قَالَ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ** ﴾ (٢) .

١- قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ {البقرة : ٩٧} . وقال : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ {الشعراء : (١٩٣ – ١٩٤)} .

٢- في حديث بدء الوحي عَنْ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ السَّيِّدَة عَائِشَة رضي الله عنها قَالَتْ : ﴿ كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ . ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ ، يَتَحَنَّثُ فِيهِ ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ أُوْلَاتِ الْعَدَدِ ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ الملَكُ ، فَقَالَ : اقْرَأْ . قَالَ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . قَالَ : فَأَخَذَنِي ، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ . قَالَ : قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . قَالَ : فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ . فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِي ، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ {العلق : (١ – ٥)} . =

واختُلِف في تفسير (ما) :

- هل هي (ما) النافية بمعنى : لا أجيد القراءة .
- أو هي (ما) الاستفهامية بمعنى : ما الذي أقرأه ؟ .

وقد نقل التفسيرين الإمام ابن حجر العسقلاني ﷺ ، في كتابه فتح الباري ، في معرض شرحه لهذا الحديث .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ {طه : ١١٤} أي زدني من عطائك وتأديبك لي ؛ ما أزيد به علماً بك .

فإنه ﷺ قد استزاد هنا من العلم ؛ أي العلم بشرف التأني عند الوحي ، أدباً مع المعلم الذي أتاه به من قِبَلِ ربه ، ولهذا أتت هذه الآية بعد قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ {طه : ١١١} . وعنت : أي ذلت . فأراد علوم التجلي ، والتجلي أشرف الطرق إلى تحصيل العلوم ، وهي علوم الأذواق .

اعلم أن المعلم على الحقيقة هو الله تعالى ، والعالم كله مستفيد ، طالب ، مفتقر ، ذو حاجة ، وهو كماله :

= أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي في السنن والدلائل وعبد الرزاق والحاكم وصححه وأبو عوانة وابن حبان وابن راهويه وابن منده والدولابي والآجري في الشريعة وأبو نعيم في الدلائل واللالكائي في الأصول .

- فمن لم تكن هذه أوصافه ؛ فقد جهل نفسه .
- ومن جهل نفسه ؛ فقد جهل ربه .
- ومن جهل أمراً ؛ فما أعطاه حقه .
- ومن لم يعط أمراً حقه ؛ فقد جار عليه في الحكم ، وعرا عن ملابسة العلم .

فقد تبين لك أن الشرف كله ؛ إنما هو في العلم .

وأوّل مَن قَبِلَ العلم ، هو الحقيقة المحمدية ، فعقل عن الله ما علمه ، وأمره أن يكتب ما علمه في اللوح المحفوظ ، بالقلم الذي خلقه منه .

الروح الأمين ؛ جبريل عليه السلام ، مُعَلِّم الرسل .

فلما أوحي إلى سيدنا محمد ﷺ ، كان ﷺ يعجل بالقرآن ، قبل أن يُقضى إليه وحيه ، وذلك لأن الله تولى تعليمه ، من الوجه الخاص الذي لا يشعر به الملك ، وجعل الله الملك النازل بالوحي صورة حجابية .

ثم أمره الله تعالى فيما أوحى إليه : ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ**﴾ {القيامة : ١٦} . أدباً مع الوحي النازل إليه ، فإنه ﷺ يقول : ﴿**إِنَّ اللهَ أَدَّبَنِي فَأَحْسَنَ أَدَبِي**﴾ (١) . وهذا مما يؤيد أن الله تولى تعليمه بنفسه .

١- رواه أبو سعد بن السمعاني في أداب الاستملاء وابن عساكر في تاريخه وجزم به ابن الأثير .

ثم قال مؤيداً أيضاً لذلك : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ {القيامة : (١٧ – ١٩)} . فما ذكر تعالى سوى نفسه ، وما أضافه إلا إليه ، ولم يجر لغير الله في هذا التعريف ذكر ، وبهذا جاء لفظ النبي ﷺ في قوله : ﴿ **إِنَّ اللهَ أَدَّبَنِي فَأَحْسَنَ أَدَبِي** ﴾ . فلم يذكر إلا الله . ما تعرض لواسطة ولا لملك . فإن الله هكذا عرَّفنا .

فرجوع التعليم بالواسطة وبغير الواسطة إلى الرب ، ولذلك قال الملك : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ {مريم : ٦٤} . فتبين لك من هذا صورة التعليم .

صفة الوحي :

قال تعالى : ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾ {المزمل : ٥} . لذا فقد كان رسول الله ﷺ يعاني في الوحي أشد المعاناة .

وقد قصَّ علينا رسول الله ﷺ بعضا من صور هذه المعاناة ، ونقل إلينا الصحابة ﷺ البعض الآخر من المظاهر التي شاهدوها عليه :

- فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أُمِّ المُؤمنين السَّيِّدَة عَائِشَةَ رَضْي اللهُ عنها أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجرَسِ ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ . وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الملَكُ رَجُلًا ، فَيُكَلِّمُنِي ، فَأَعِي مَا يَقُولُ** ﴾ . قَالَتْ أُمِّ المُؤمنين السَّيِّدَة عَائِشَةُ رَضْي اللهُ عنها : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا (١) .
- عن أَبِي سَلَمَة الماجِشُونِ ﷺ قالَ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ يَقُول : ﴿ **كَانَ الْوَحْي يَأْتِينِي عَلَى نَحْوَيْنِ : يَأْتِينِي بِهِ جِبْرِيل ، فَيُلْقِيه عَلَيَّ كَمَا يُلْقِي الرَّجُل عَلَى**

١- رواه البخاري في صحيحه ومالك والترمذي وصححه والنسائي وأحمد وابن حبان والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن والدلائل وابن منده وابن خزيمة واللالكائي والتبريزي .

الرَّجُلِ ، فَذَاكَ يَنْفَلِت مِنِّي . وَيَأْتِينِي فِي بَيْتِي مِثْل صَوْت الجرَس ، حَتَّى يُخَالِط قَلْبِي ، فَذَاكَ الَّذِي لَا يَنْفَلِت مِنِّي﴾ (١) .

- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله هَلْ تُحِسُّ بِالْوَحْيِ ؟ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿نَعَمْ ، أَسْمَعُ صَلَاصِلَ ، ثُمَّ أَسْكُتُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ ؛ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تَفِيضُ﴾ (٢) .

- عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ : ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، ﴿وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ {النساء : ٩٥} . فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَهْوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ ، قَالَ : يَا رَسُولَ الله وَالله لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ - وَكَانَ أَعْمَى - فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ - وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي - فَثَقُلَتْ عَلَيَّ ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ (٣) .

١- رواه ابن سعد في طبقاته وقال ابن حجر في الفتح : وَهَذَا مُرْسَل مَعَ ثِقَة رِجَاله .

٢- رواه أحمد في مسنده .

٣- رواه البخاري في صحيحه والترمذي وصححه والنسائي وابن عساكر وابن سعد في طبقاته والطحاوي في مشكل الآثار .

- عَنْ أُمِّ المؤمِنينَ السَّيِّدَة عَائِشَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : ﴿إنْ كَانَ لَيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَتَضْرِبُ على جِرَانِهَا ، مِنْ ثقل ما يُوحى إلى رسول الله ﷺ ، وإن كان جبينه ليطف بالعرق في اليوم الشاتي ، إذا أوحى الله إليه﴾ (١) . الجران : باطن العنق .

- وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها قَالَتْ : ﴿إِنِّي لَآخِذَةٌ بِزِمَامِ الْعَضْبَاءِ – نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ – إِذْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ المائِدَةُ كُلُّهَا ، فَكَادَتْ مِنْ ثِقَلِهَا تَدُقُّ بِعَضُدِ النَّاقَةِ﴾ (٢) .

- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ : ﴿أُنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سُورَةُ المائِدَةِ ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْمِلَهُ ، فَنَزَلَ عَنْهَا﴾ (٣) .

- عن أبي أروى الدوسي ﷺ قال : ﴿رأيت الوحي ينزل على النبي ﷺ ، وأنه على راحلته ، فترغو ، وتفتل يديها ، حتى أظن أن ذراعها تنقصم ، فربما بركت ، وربما قامت موتدة يديها ، حتى يسرى عنه من ثقل الوحي ، وإنه

١- رواه أحمد (وقال الهيثمي : رواة أحمد رجال الصحيح) والحاكم (واللفظ له) والبيهقي في الدلائل .

٢- رواه أحمد والطبراني في الكبير وابن راهويه .

٣- رواه أحمد في مسنده .

ليتحدر منه مثل الجمان﴾ (١) . الجُمان : هو اللُّؤلؤ الصّغار . وقيل حَبٌّ يُتَّخذ من الفِضَّة أمْثال اللؤلؤ .

- وَعَنْ زَيْدِ بن ثَابِتٍ ﷺ ، قَالَ : ﴿كُنْتُ أَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ الله ﷺ ، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ؛ أَخَذَتْهُ بُرَحَاءٌ شَدِيدَةٌ ، وَعَرِقَ عَرَقًا شَدِيدًا مِثْلَ الْجُمَانِ ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ ، فَكُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ بِقِطْعَةِ الْقَتَبِ أَوْ كِسْرَةٍ ، فَأَكْتُبُ ، وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ ، فَمَا أَفْرَغُ حَتَّى تَكَادَ رِجْلِيَّ تَنْكَسِرُ مِنْ ثِقَلِ الْقُرْآنِ ، حَتَّى أَقُولَ لا أَمْشِي عَلَى رِجْلِيَّ أَبَدًا ، فَإِذَا فَرَغْتُ ، قَالَ ﷺ : ﴿**اقْرَأْهُ**﴾ . فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقْطٌ أَقَامَهُ ، ثُمَّ أَخْرُجُ بِهِ إِلَى النَّاسِ (٢) .

وهذا الحديث يبين أنه ليس فقط رسول الله ﷺ هو الذي يثقل عليه القرآن ، ولكن هذا زيد بن ثابت ﷺ يعلن أن رجله كادت أن تنكسر من ثقل القرآن ، حيث إنه ﷺ كان أول متلقي للقرآن من رسول الله ﷺ ، وكان عليه ﷺ حمل تبليغه للناس بعد ذلك ! .

- وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ : ﴿كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ؛ كُرِبَ لِذَلِكَ ، وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ (٣) . **تربد** : أي تغير وتلون .

١- رواه ابن سعد في طبقاته .

٢- رواه الطبراني في الكبير والأوسط (وقال الهيثمي رجاله موثقون) وابن عساكر في تاريخه .

٣- رواه مسلم في صحيحه والبيهقي في الدلائل والشاشي والتبريزي في المشكاة وابن سعد في طبقاته .

- وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ : ﴿كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ نَكَسَ رَأْسَهُ ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ ، فَلَمَّا أُتْلِيَ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ﴾ (١) .

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : ﴿... وَجَاءَ الْوَحْيُ ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ الْوَحْيُ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا ، فَإِذَا جَاءَ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يَنْقَضِيَ الْوَحْيُ﴾ (٢) .

- وَعن عُمَر بْن الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ؛ سُمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَمَكَثْنَا سَاعَةً ، فَسُرِّيَ عَنْهُ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : ﴿**اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا ، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا ، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَارْضِنَا وَارْضَ عَنَّا**﴾ . ثُمَّ قَالَ ﷺ : ﴿**أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ ، مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الجنَّةَ**﴾ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿**قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ**﴾ {أول سورة المؤمنون} . حَتَّى خَتَمَ عَشْرَ آيَاتٍ (٣) .

١- رواه مسلم في صحيحه والتبريزي في المشكاة .

٢- رواه مسلم في صحيحه والبيهقي والنسائي والحاكم وصححه وابن حبان .

٣- رواه عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل والضياء في المختارة والبزار في البحار الزخار .

- عن الفلتان بن عاصم ﷺ قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، وأُنزل عليه ، وكان إذا أُنزل عليه ؛ دام بصره ، وعيناه مفتوحة ، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل ، فكنا نعرف ذلك منه (١) .

- عن عكرمة ﷺ قال : كان إذا أوحي إلى رسول الله ﷺ وقذ لذلك ساعة كهيئة السكران (٢) . الوقذ : السكن . يقال : وَقَذَه الحِلْمُ إذا سَكَّنَه . والوَقْذ في الأصل : الضرب المُثْخِنُ والكسر .

- عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ ، وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْخَلُوقِ - أَوْ قَالَ صُفْرَةٌ - فَقَالَ : كَيْفَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي عُمْرَتِي ؟ . فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَسُتِرَ بِثَوْبٍ ، وَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ : تَعَالَ ، أَيَسُرُّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى النَّبِيِّ ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الْوَحْيَ ؟ . قُلْتُ : نَعَمْ . فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوْبِ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ غَطِيطٌ ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ : كَغَطِيطِ الْبَكْرِ . فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ : ﴿ **أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ الْعُمْرَةِ ؟** .

١- رواه أبو يعلى الموصلي (بسند صحيح) وأورده ابن كثير في السيرة النبوية وفي البداية والنهاية .

٢- رواه ابن سعد في طبقاته .

اخْلَعْ عَنْكَ الجبَّةَ ، وَاغْسِلْ أَثَرَ الخلُوقِ عَنْكَ ، وَأَنْقِ الصُّفْرَةَ ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ﴾ (١) .

- وَعَنْ أُمِّ الْمُؤمنينَ السَّيِّدَة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : خَرَجَتْ سَوْدَةُ – بَعْدَمَا ضُرِبَ الْحِجَابُ – لِحَاجَتِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَسِيمَةً ، لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا ، فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا ، فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ . قَالَتْ : فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى ، وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ . فَدَخَلَتْ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي ، فَقَالَ لِي عُمَرُ : كَذَا وَكَذَا . قَالَتْ : فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ ، وَإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ ، مَا وَضَعَهُ . فَقَالَ : ﴿إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ﴾ (٢) . قال الإمام ابن كثير : فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يُغَيِّبُ عنه إحساسه بالكلية ، بدليل أنه جالس ، ولم يسقط العرق أيضا من يده ، صلوات الله وسلامه دائما عليه . اهـ .

١- أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي والنسائي والشافعي وأحمد وابن أبي شيبة عن يعلى بن أمية ﷺ .

٢- أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن سعد في طبقاته .

القرآن والسنة

قال النبي ﷺ : ﴿أَيَحْسَبُ امْرُؤٌ مِنْكُمْ ؛ قَدْ شَبِعَ حَتَّى بَطِنَ ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ ، يَقُولُ : إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلا فِي الْقُرْآنِ ، أَلَا وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ وَعَظْتُ وَأَمَرْتُ ، وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ﴾ (١) .

بَطِنَ : من باب طَرِبَ : أي عظم بطنه من الشبع .

فقوله ﷺ (أكثر) هو في رفع المنزلة .

فإن القرآن الكريم ، بينه ﷺ ، وبين الله ، فيه الروح الأمين .

والحديث من الله إليه مباشرة .

ومعلوم أن القرب في الإسناد أعظم رتبة من البعد فيه ، ولو بشخص واحد ينقص من الطريق ، وذلك لأنه ينقص حكمه فيه ، فإنه لا بد أن يكتسب الخبر صورة من المبلغ ، فلا يبقى على ما هو عليه في الأصل الذي ينقل عنه ، ولا يكون في الصدق ، في قول المخبر هذا كلام فلان ، مثل من ينقله عنه ، أو يسمعه منه ، وذلك لتبدل اللغة واللسان فيه .

١- رواه أبو داود والطبراني في الكبير والأوسط ومسند الشاميين والبيهقي في السنن وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني عن العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه .

فإن الترجمان لا ينقل عين ما تكلم به من ينقل عنه ، وإنما يتكلم في نقله بما فهمه منه (١) ، وإذا كنت أنت الذي تنقل عنه ، كنت في طبقته ، وقد تفهم منه ما لم يفهمه منه المترجم لك عنه (٢) .

١- ودليل ما ذهبنا إليه هو قوله ﷺ لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه لما أن حزن عند استشهاد أبوه : ﴿ **أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ** ﴾ ؟ . قَالَ جابر : بَلَى يَا رَسُولَ الله . قَالَ : ﴿ **مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا ، فَقَالَ : يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ** ... ﴾ (كفاحا) أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول . رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم وصححه وابن أبي عاصم في الجهاد . وقال ﷺ : ﴿ **لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ الله ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ، وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ** : ... ﴾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وابن ماجة وأحمد عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه . فلو أنه لا أفضلية للكلام المباشر ، عن الكلام من وراء حجاب الوحي ، أو عن طريق ترجمان ، وغيره ؛ ما صحت المزية في هذه الأحاديث الصحيحة ! .

٢- قال رسول اللهِ ﷺ : ﴿ **رُبَّ حَامِلِ عِلْمٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ** ﴾ . رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن أبي قرصافة جندرة بن خيشنة الليثي رضي الله عنه . وبلفظ : ﴿ **رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ** ﴾ رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد والدارمي وابن حبان عن زيد بن ثابت رضي الله عنه . وابن ماجة وأحمد والدارمي والحاكم وصححه والطبراني عن جبير بن مطعم رضي الله عنه . والترمذي والشافعي في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه . وابن ماجة عن أنس بن مالك رضي الله عنه . والحاكم والطبراني عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

ومن البديهيات أنه ليس أعلم بالله ولا أكثر خشية لله من رسول الله ﷺ ، وهذا العلم وهذه الخشية هي التي جعلته ﷺ يخترق السبع الطباق ، ويدنو من ربه دنواً ليس لأحد ، لا لجبريل عليه السلام ، ولا لغيره . لذا فقد ورد عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : =

فبهذا كان الحديث أكثر من القرآن كما ورد . وغايته أن يكون – إذا نزل عن هذه الطبقة – مثله .

وما عدل رسول الله ﷺ إلى الأكثرية ، إلا والأمر أكثر بلا شك . فإن الرسل لا تقول إلا الصدق .

وإنما قلنا في القرآن إنه بواسطة ، لقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ {الشعراء : (١٩٣ – ١٩٤)} . وقوله : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ {النحل : ١٠٢} .

أما قوله : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ {طه : ١١٤} . أي علما بما يكون من الله إليه ، برفع الواسطة ، وهو الحديث الذي لا يسمى قرآناً ! .

وكلامنا هنا لا يعني تفضيل أحد مصدري التشريع على الآخر ، وإنما لبيان أنهما صدرا عن الله تعالى ، بطريقين مختلفين ، مِنَّةً مِنْهُ تعالى على نبيه ﷺ .

= ﴿لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ، مَرَرْتُ عَلَى جِبْرِيلَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، كَالْحِلْسِ الْبَالِي ، مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ .
رواه ابن أبي عاصم في السنة والطبراني في الأوسط وابن أبي الدنيا وابن مردويه وقال السيوطي في الدر المنثور : (بسند صحيح) . وقال الهيثمي : (رجاله رجال الصحيح) .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ **أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحدِيثُ عَنِّي ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ ، فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ . وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ الله ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللهُ** ﴾ (١) .

ولأن ما حرَّم رسول الله ﷺ ، كما حرَّم الله تماما ، فقد ورد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ ، وَدَعَا لَهَا . وَحَرَّمْتُ المدِينَةَ ، كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ ، وَدَعَوْتُ لَهَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا ، مِثْلَ مَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام **لِمَكَّةَ** ﴾ (٢) . وما ورد قرآن بتحريم المدينة ، واقتصر تحريمها على السُّنَّة الصحيحة ، وذلك تشريفا لقدر النبي ﷺ ، فإنه تعالى قرن الشهادة بنبوّة سيدنا محمد ﷺ ، ورسالته ﷺ ، بشهادة التوحيد ، تشريفاً له ﷺ .

١- رواه الترمذي وحسنه وأبو داود وابن ماجة وأحمد والدارمي والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين والبيهقي في السنن وابن حبان والحاكم والدار قطني عن المقدام بن معديكرب الكندي رضي الله عنه . ورواه البخاري في التاريخ الكبير والترمذي وصححه وأبو داود وابن ماجة وأحمد والحاكم وصححه على شرط الشيخين (وأقره الذهبي) والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في السنن والحميدي والشافعي في مسنده عن أبي رافع رضي الله عنه .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والبيهقي في السنن وعبد بن حميد عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه . ومسلم والبيهقي في السنن والنسائي وعبد بن حميد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . ومسلم والبيهقي في السنن والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . والطبراني في الأوسط عن مالك بن الأشتر عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وأنه لا يكون الإيمان إلا بهما . والله قد حرّم مكة ، فجعل لرسوله ﷺ تحريم المدينة ، تأييداً لشرف الشهادة ، فجعل له أن يحرّم كما حرّم الله ! .

قَالَ حَبِيبُ بن أَبِي فَضَالَةَ الْمَكِّيَّ : لما بنيَ هَذَا الْمَسْجِدُ مَسْجِدُ الجَامِعِ ، وَعِمْرَانُ بن حُصَيْنٍ ﷺ جَالِسٌ ، فَذَكَرُوا عِنْدَهُ الشَّفَاعَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنَّكُم لَتُحَدِّثُونَا بِأَحَادِيثَ مَا نَجِدُ لَهَا أَصْلا فِي الْقُرْآنِ ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ بن حُصَيْنٍ ؛ وَقَالَ لِلرَّجُلِ : قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ؟ .

قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : وَجَدْتَ فِيهِ صَلاةَ الْمغْرِبِ ثَلاثًا ، وَصَلاةَ الْعِشَاءِ أَرْبَعًا ، وَصَلاةَ الْغَدَاةِ رَكْعَتَيْنِ ، وَالأُولَى أَرْبَعًا ، وَالْعَصْرُ أَرْبَعًا ؟ .

قَالَ : لا .

قَالَ : فَعَمَّنْ أَخَذْتُمْ هَذَا الشَّأْنَ ؟ ، أَلَسْتُمْ أَخَذْتُمُوهُ عَنَّا ، وَأَخَذْنَاهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ .

أَوَجَدْتُمْ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا ، دِرْهَمًا ؟ . وَفِي كُلِّ كَذَا وَكَذَا ، شَاةً ؟ . وَفِي كُلِّ كَذَا وَكَذَا بَعِيرًا ، كَذَا ؟ . أَوَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآنِ ؟ .

قَالَ : لا .

قَالَ : فَعَمَّنْ أَخَذْتُمْ هَذَا ؟ . أَخَذْنَاهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ، وَأَخَذْتُمُوهُ عَنَّا .

فَهَلْ وَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآنِ : ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ {الحج : ٢٩} ؟ . وَجَدْتُمْ هَذَا طُوفُوا سَبْعًا ؟ وَارْكَعُوا رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ المقَامِ ، أَوَجَدْتُمْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ ؟ .

عَمَّنْ أَخَذْتُمُوهُ ؟ . أَلَسْتُمْ أَخَذْتُمُوهُ عَنَّا ، وَأَخَذْنَاهُ عَنْ نَبِيِّ الله ﷺ ؟ .

أَوَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآنِ : لا جَلَبَ وَلا جَنَبَ ، وَلا شِغَارَ فِي الإِسْلامِ ؟ .

قَالَ : لا .

قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ : « **لا جَلَبَ وَلا جَنَبَ وَلا شِغَارَ فِي الإِسْلامِ** » أَسَمِعْتُمُ الله ، يَقُولُ لِأَقْوَامٍ فِي كِتَابِهِ : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ {المدَّثر : (٤٢ – ٤٨)} .

قَالَ حَبِيبٌ : أَنَا سَمِعْتُ عمران يَقُولُ : "الشَّفَاعَةُ نَافِعَةٌ" (١) .

١- رواه بطوله الطبراني في الكبير وابن بطة في الإبانة والمروزي في تعظيم قدر الصلاة والروياني في مسنده . ورواه باختصار أبو داود في سننه وابن أبي عاصم في السنة . الشغار : كان نوعاً من النكاح معروفاً في الجاهلية ، كان يقول الرجل للرجل : زوجني أختك أو بنتَك أو من تَلي أمرها ، حتى أزوجك أختي أو بنتي أو من ألي أمرها ، بدون مهر .

قال النبيﷺ : ﴿ مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ (١) .

رغب عن سنتي : معناه من تركها إعراضا عنها ، غير معتقد لها على ما هي عليه . قال ابن حجر في الفتح : من داوم على ترك السنن ، كان نقصا في دينه . فإن كان تركها تهاونا بها ، ورغبة عنها ، كان ذلك فسقا .

وقال النبي ﷺ : ﴿ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ﴾ (٢) .

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ ، وَيَقُولُ : ﴿ لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ ﴾ (٣) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد وابن حبان والبيهقي في الشعب عن أنس بن مالك ﷺ . وأحمد وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو ﷺ . والدارمي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ .

٢- رواه البخاري في صحيحه والدارمي وابن خزيمة وابن حبان والشافعي في مسنده والبيهقي في السنن والدارقطني عن مالك بن الحويرث ﷺ .

٣- رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن والدلائل والطبراني في الكبير وأبو عوانة وأبو يعلى وابن خزيمة والطيالسي عن جابر بن عبد الله ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط عن عبد الله بن عمرو ﷺ . ورواه بلفظ : ﴿ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم ﴾ البيهقي في السنن والطبراني في مسند الشاميين وأورده ابن حجر العسقلاني في تلخيص الحبير .

فالصلاة ، ومناسك الحج ، وكثير من أمور الدين ، ورد مفصلا في السنة ، ولم يرد تفصيله في القرآن .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : ﴿ **أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ الحجَّ ، فَحُجُّوا** ﴾ . فَقَالَ رَجُلٌ : أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **لَوْ قُلْتُ نَعَمْ ، لَوَجَبَتْ ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ **ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ . فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ . فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ . وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ ، فَدَعُوهُ** ﴾ (١) .

هذا حديث جامع ، يوضح بعض الآداب ، التي يجب أن يلتزم بها المسلم ، مع سنة رسوله ﷺ .

وانظر ، وتمعن ، في قول النبي ﷺ : ﴿ **لَوْ قُلْتُ نَعَمْ ، لَوَجَبَتْ** ﴾ لتعلم قدر ما وكله الله إليه ﷺ في التشريع ، وهذا هو الموضوع القادم . ويكفي هذا القدر لتعلم أن السنة كالقرآن أو أكثر ! .

١- رواه مسلم في صحيحه وابن حبان في صحيحه وأحمد في مسنده والبيهقي في السنن وابن راهويه عن أبي هريرة ﷺ .

القدوة ﷺ

قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ {الأحزاب : ٢١} .

سُئِلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ ، فقالت : ﴿كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ﴾ (١) . والخُلُقُ : هو النعت والصفة ، وكمال الاتصاف بالصفة أن يصبح الموصوف عين الصفة (٢) .

١- رواه البخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يزيد بن بابنوس عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن سعد بن هشام عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي الدرداء عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن زينب بنت يزيد بن وسق عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٢- إنما قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ : (كان خلقه القرآن) ، لأنه ﷺ متفرد الخلق ، ولابد أن يكون ذلك الخلق المفرد جامعاً لمكارم الأخلاق كلها . ووصف الله ذلك الخُلُق بالعظمة في قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ {القلم : ٤} . كما وصف القرآن بالعظيم في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ {الحجر : ٨٧} . فكان القرآن خُلُقُهُ ، فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ – ممن لم يدركه من أمته – فلينظر =

لذا قيل عن المصطفى ﷺ أنه : كان قرآنا يمشي بين الناس . فكان ﷺ هو عين القرآن ، الذي وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ {الأنعام : ٣٨} .

فما خرج شيء عن المصطفى ﷺ ، إذ هو حقيقة كل شيء :

- يشهده ذوقا ، يقظة ومناما ، مَنْ سَعِد .
- ويؤمن بذلك ، مَن كان له نصيب من الخير .
- ويُكَذِّب بذلك ، من جهل حقيقة الأمر ، نسأل الله له الهداية .

ولن يكمل اقتداؤك به ﷺ ؛ إلا إذا اتبعته اتباعا لا عوج فيه ، بحيث تنطبع على الأنموذج المحمدي ، وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ {آل عمران : ٣١} . فما أحب الله من لم يتبع رسوله ﷺ . فإنا ما عرفناه تعالى إلا منه ﷺ ، وما علمنا طريقه تعالى إلا منه ﷺ .

= إلى القرآن ، فإذا نظر فيه ، فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ . فكأن القرآن أنتشأ صورة جسدية ، يقال لها محمد بن عبد الله . والقرآن كلام الله وهو صفته ، فكان سيدنا محمد ﷺ صفة الحق تعالى بجملته ، ف ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ {النساء : ٨٠} . لأنه ﷺ قال تعالى فيه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ {النجم : ٣} ، فهو ﷺ لسان حق .

- ولهذا فقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يتعلمون حبه ﷺ ، قبل أن يتعلموا الشرع الذي أتى به .

فَقَدْ رُوي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ السَّاعَةِ ، فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ . قَالَ ﷺ : ﴿ **وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟** ﴾ . قَالَ : لَا شَيْءَ ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ . فَقَالَ : ﴿ **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾ . قَالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾ (١) .

وفي رواية أخرى لما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ للرجل : ﴿ **مَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟** ﴾ . فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ . فقَالَ له ﷺ : ﴿ **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾ . قَالَ أَنَسٌ : فَمَا رَأَيْتُ فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحَهُمْ بِهَذَا (٢) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والبخاري في الأدب المفرد وأحمد وابن حبان والطبراني في الأوسط وأبو يعلى وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب والنسائي وعبد بن حميد وأبو نعيم في الحلية والحميدي عن أنس ﷺ . وابن خزيمة عن شريك ﷺ . والطبراني في الكبير عن أبي سريحة ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط عن أبي قتادة ﷺ .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ومالك والترمذي وصححه وأحمد وابن حبان والطيالسي والطبراني في الأوسط وأبو يعلى عن أنس ﷺ . والدارقطني والبزار عن ابن مسعود ﷺ وفي آخر هذه الرواية لما قال له النبي : ﴿ **فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾ قال فذهب الشيخ فأخذ يبول في المسجد فمر عليه الناس فأقاموه قال رسول الله ﷺ : ﴿ **دَعُوهُ ، عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ** ﴾ . فَصَبُّوا عَلَى بَوْلِهِ الماءَ .

- بل إن حبه ﷺ هو وأهله ، وتفضيله على من سواه ، هو من كمال الإيمان ، بل لا إيمان بدونه :

فعن أَبِي لَيْلَى ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَذَاتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِهِ** ﴾ (١) . وقال ﷺ : ﴿ **لَا يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ** ﴾ (٢) . وهذا معنى قوله ﷺ : ﴿ **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ...** ﴾ (٣) الحديث .

- **ونزل القرآن الكريم معلما للصحابة الأدب معه ﷺ :**

- فعدم الأدب معه ﷺ ، دليل على عدم العقل والسفه ، قال تعالى :

١- رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الشعب عن أبي ليلى .

٢- رواه البخاري (في قرة العينين برفع اليدين في الصلاة) والبيهقي (في المدخل إلى السنن) وابن بطة العكبري في الإبانة والنسوي في أربعينه وابن أبي عاصم في السنة والتبريزي في مشكاة المصابيح وأورده ابن حجر في الفتح (وقال : رجاله ثقات) . وصححه النووي في أربعينه ، عن عبد الله بن عمرو .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والعكبري في الإبانة والطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك . والطبراني في الكبير والأوسط عن أبي أمامة الباهلي .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ ﴾ {الحجرات : (٣ – ٤)} .

- وعدم الرضا بقضائه ﷺ دليل على عدم الإيمان : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ {النساء : ٦٥} .

- وأذيته ﷺ سبب لغضب الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٥٣} .

- وما نراه اليوم ؛ من اهتمام الناس بتعلم الشرع ، دون اهتمامهم بمحبة رسول الله ﷺ ، وأهله ، والأدب معه ومعهم ، هو انحجاب بالفرع عن الأصل ، وسبب :

- للحرمان من بركة العلم .
- بل حرمان من كمال الإيمان وحلاوته ، لنص قوله ﷺ : ﴿ **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، ...** ﴾ (١) .
- بل حرمان من أصل الإيمان ، ويُخشى عليه من سوء العاقبة ، إلا من رحم ربي ، لنص قوله ﷺ : ﴿ **لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ ....** ﴾ (٢) .

١- سبق تخريجه .

٢- سبق تخريجه .

مقدمة

في الطاعة والمعصية

ظهر الحق في صورة الخلق .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ **خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ** ﴾ (١) .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **لا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ تَعَالَى** ﴾ (٢) .

١- رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وعبد بن حميد والدارقطني في الصفات والطبراني وابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ . وعبد بن حميد عن أبي سعيد ﷺ . والدارقطني في الصفات والخطيب عن ابن عمر ﷺ . وعبد بن حميد عن قتادة ﷺ مرسلا . ورفعه أحمد عن قتادة ﷺ عن أبي أيوب ﷺ .

٢- رواه الطبراني (ووثق رجاله الهيثمي) والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر وابن بطة العكبري في الإبانة والدارقطني وابن خزيمة في التوحيد وابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة والحارث في مسنده وابن عساكر عن ابن عمر ﷺ . وبلفظ : ﴿ **إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ** ﴾ رواه البخاري في صحيحه وأحمد وابن بطة العكبري في الإبانة والدارقطني في الصفات وابن أبي عاصم وعبد الرزاق عن أبي هريرة ﷺ . وأورده ابن حجر في الفتح مستعرضا طرقه .

وقال تعالى : ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ {التوبة : ٦} . ورسول الله ﷺ هو المتكلم (١) . وقال تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ {النساء : ٨٠} . كما قال تعالى فيه ﷺ : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ {النَّجم : (٣ – ٤)} .

فلولا حكم النِّسب ، وتحقيق النَّسب ، ما كان للأسباب عين ، ولا ظهر عندها أثر ، واستناد أكثر العالم إلى الأسباب ، فلولا أن الله عندها ، ما استند مخلوق إليها . فإنا لم نشاهد أثراً إلا منها ، ولا عقلناه إلا عندها .

فمن الناس من قال بها ، ولا بد .

ومن الناس من قال عندها ، ولا بد .

ونحن – ومن شاهد ما شاهدنا – نقول بالأمرين معاً :

- عندها عقلاً .
- وبها شهوداً وحساً .

فذلك هو الأصل الذي قال تعالى فيه : ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ

١- هنا كان الكلام كلام الله ، والمتكلم هو رسول الله ﷺ ، أي أن الباطن هو الله ، والظاهر هو رسول الله ﷺ ، أي أن رسول الله ﷺ كان حجاباً على الحق تعالى ، وهو إشارة للحديث القدسي ، المروي في صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي : ﴿كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا﴾ .

وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ {هود : ١٢٣} . فهل طلب منك ما ليس له فيه تعمل ؟ . ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ {هود : ١٢٣} .

فلا بد من حقيقة هنا تعطي الإضافة في العمل إليك ، مع كون هذا العمل خلقاً لله تعالى ، كما قال : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ {الصَّافات : ٩٦} . أي وخلق ما تعملون . وأهل الإشارة جعلوا هنا (ما) نافية . فالعمل لك ، والخلق لله .

فما أضاف إليه تعالى ، عين ما أضافه إليك ، إلا لتعلم أن الأمر الواحد له وجوه :

- فمن حيث ما هو عمل ، أضافه إليك ، ويجازيك عليه .
- ومن حيث ما هو خلق ، هو لله تعالى .
- وبين الخلق والعمل فرقان في المعنى واللفظ ، فلا تحجب عن معرفة هذا ، فإنه لطيف خفي .

ظهر الحق باحتجابه ، فهو الظاهر المحجوب . فهو الباطن للحجاب ، لا لك . وهو الظاهر لك ، وللحجاب . فسبحان من احتجب في ظهوره ، وظهر في حجابه .

فلا تشهد عين سواه ، ولا ترتفع الحجب عنه (١) . ولله در من قال :

تَجَلَّيتَ في الأَشياءِ حينَ خَلَقتَها فَها هِيَ ميطَت عَنكَ فيها البَراقِعُ
قَطَعتَ الوَرى مِن ذاتِ نَفسِكَ قِطعَةً وَلَم تَكُ مَوصولاً وَلا فَصلُ قاطِعُ
وَلَكِنَّها أَحكامُ رُتبَتِكَ اقتَضَت أُلوهِيَّةً لِلضِّدِ فيها التَجامُعُ

١- الحق ليس بمحجوب عنك ، إنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ، ولو كان له ساتر ، لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ {الأنعام : ١٨ ، ٦١} . الحق تعالى محال في حقه الحجاب ، فلا يحجبه شيء ، لأنه ظهر بكل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، فلا ظاهر معه ، ولا موجود في الحقيقة سواه ، فهو ليس بمحجوب عنك ، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، لاعتقادك الغيرية ، وتعلق قلبك بالأمور الحسية ، فلو تعلق قلبك بطلب المولى ، وأعرضت بالكلية عن رؤية السوى ، لنظرت إلى نور الحق ساطعاً في مظاهر الأكوان ، وصار ما كان محجوباً عنك بالوهم في عداد الشهود والعيان ، ولله در القائل :

وما احْتُجِبَتْ إلا برفع حجابها ومن عجب أن الظهور تستر

فكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي أظهر كل شيء ؟ . وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر بكل شيء ؟ . وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر في كل شيء ؟ . وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر لكل شيء ؟ . وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟ . وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو أظهر من كل شيء ؟ . وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟ . وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو أقرب إليك من كل شيء ؟ . وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، ولولاه ما كان وجود كل شيء ؟ . يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم ! ، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم ! .

ولم يزل ربًّا ، ولم نزل عبيداً ، في حال عدمنا ، ووجودنا (١) .

فكل ما أمر : سمعنا وأطعنا ، في حال عدمنا ، وحال وجودنا .

- فمن كان منا مشهوده ما وراء الحجاب ، وهو المثل والرسول ، سمع فأطاع من حينه .
- ومن كان مشهوده المثل ، سمع ضرورة ، ولم يطع للحسد الذي خلق عليه ، من تقدم أمثاله عليه .
- فظهر المطيع والعاصي .
- أي عصى على مثله ، لكونه ما نفذ فيه أمره بالطاعة .
- ما عصى على الله .
- ولهذا قال بعضهم : إنما احتجب الله في الدنيا عن عباده ، لأنه سبق في علمه أنه يكلفهم ويأمرهم وينهاهم . وقد قدر عليهم بمخالفة أمره ، وبموافقته في أوقات ، فلابد من ظهور المخالفة والموافقة ، فخاطبهم

١- قال ابن جميل : (**العَبْدُ ، بِكُلِّ الرَّبِّ ، عَبْدٌ . وَالرَّبُّ ، بِكُلِّ العَبْدِ ، رَبٌّ**) فالعبد بكل تجليات الربوبية عليه سيظل عبداً ، ولن يصبح ربًّا . وأن الرب بكل تنزلاته لعباده مثل تنزله في الربع الأخير من الليل إلى السماء الدنيا ، ومثل قوله مرضت فلم تزرني ، ذلك كله لا يقدح ولا يغير منزلته كرب . فالعبد عبد مهما علا ، والرب رب مهما تنزل لعباده وتدلى لهم . وبين مرتبتي الربوبية والعبودية ؛ توجد مرتبة البرزخ الكلي وهي الحقيقة المحمدية . والله أعلم .

على ألسنة الرسل عليهم السلام ، وحجب ذاته سبحانه عنهم في صورة الرسول ﷺ ، وذلك لأنه قال : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ {النساء : ٨٠} . وقال : ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ {التوبة : ٦} . فلولا أن الرسول ﷺ هو صورته – تعالى – الظاهرة المشهودة ، ما صح هذا القول .

- فوقعت المخالفة من المخالف ؛ بالقدر السابق ، والحكم القضائي .
- ولا يتمكن أن يخالف أمره على الكشف .
- فانحجب بالإرسال ، انحجابه بالأسباب .
- فوقع الذم على الأسباب .
- فهي وقاية الرحمن .
- فما خالف أحد الله تعالى ، وما خولف إلا الله تعالى .

ولله در من قال :

فَسَلَّمتُ نَفسي حَيثُ أَسلَمَني القَضا ... وَما لِيَ مَع فِعلِ الحَبيبِ تَنازُعُ
فَطَوراً تَراني في المَساجِدِ عاكِفاً ... وَأَنّي طَوراً في الكَنائِسِ راتِعُ
أَرانِيَ كَالآلاتِ وَهوَ مُحَرِّكي ... أَنا قَلَمٌ وَالإقتِدارُ الأَصابِعُ
وَلَستُ بِجَبرِيٍّ وَلَكِن مُشاهِدٌ ... فِعالَ مُريدٍ ما لَهُ مَن يُدافِعُ
فَآوِنَة يَقضي عَلَيَّ بِطاعَةٍ ... وَحيناً بِما عَنهُ نَهَتنا الشَرائِعُ
لِذاكَ تَراني كُنتُ أَترُكُ أَمرَهُ ... وَآتي الَّذي يَنهاهُ وَالجَفنُ دامِعُ
وَلي نُكتَةٌ غَرّا هُنا سَأَقولُها ... وَحُقَّ لَها أَن تَرعَويها المَسامِعُ
هِيَ الفَرقُ ما بَينَ الوَلِيِّ وَفاسِقٍ ... تَنَبَّه لَها فَالأَمرُ فيهِ بَدائِعُ
فَما هُوَ إِلّا أَنَّهُ قَبلَ وَقعِهِ ... يُخَبِّرُ قَلبي بِالَّذي هُوَ واقِعُ
فَأَجني الَّذي يَقضيهِ فِيَّ مُرادُها ... وَعَيني لَها قَبلَ الفِعالِ تُطالِعُ
وَكُنتُ أَرى مِنها الإِرادَةَ قَبلَ ما ... أَرى الفِعلَ مِنّي وَالأَسيرُ مُطاوِعُ
فَآتي الَّذي تَهواهُ مِنّي وَمُهجَتي ... لِذَلِكَ في نارٍ حَوَتها الأَضالِعُ
فَإِن كُنتُ في حُكمِ الشَريعَةِ عاصِياً ... فَإِنّيَ في عِلمِ الحَقيقَةِ طائِعُ

- فلا تزال الأسباب للمحجوبين مشهودة .
- ولا يزال الحق للعارفين مشهوداً – مع عقلهم الحجب في حق من حجبته . فكثف اللطيف عندهم ، ولطف الكثيف عند العارفين بالله .
- فجمع العارفون بين العقل والبصر ، فلهم قلوب يفقهون بها ، ولهم أعين يبصرون بها ، ولهم آذان يسمعون بها .
- الحق تعالى هو المخَاطِب والمخَاطَب ، وهو المتكلم السامع .
- قال تعالى : ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ {الأنفال : ٢٤} . فَوَحَّدَ الداعي بعد ذكر الاثنين ، فعلمنا أن الأمر واحد . وما سمعنا متكلماً إلا الرسول بالسماع الحسي . وسمعنا كلام الحق ، بسمع الحق ، بالسمع المعنوي .
- فالله ، والرسول ، اسمان للمتكلم .
- فإن الكلام لله – كما قال الله – والمتكلم المشهود ، عين لسان سيدنا محمد ﷺ .
- قال الله تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ {النساء :٨٠} . لأنه لا ينطق إلا عن الله ، بل لا ينطق إلا بالله ، بل لا ينطق إلا الله منه . فإنه ﷺ صورته .

- وما ورد : (ومن يعص الرسول فقد عصى الله) كما أنزله في الطاعة ، لأن طاعة المخلوق لله ذاتية ، وعصيانه بالواسطة . فلو أنزل هنا الرسول كما أنزله في الطاعة ، لم يكن إلها ، وهو إله ، فلا يُعصى إلا بحجاب ، وليس الحجاب سوى عين الرسول .

- ونحن اليوم ، أبعد في المعصية للرسول ، من أصحابه ، إلى من دونهم ، إلينا .

- فنحن ما عصينا إلا أولي أمرنا ، في وقتنا ، وهم العلماء منا ، بما أمر الله به ، ونهى عنه .

- فنحن أقل مؤاخذة ، وأعظم أجراً . لأن للواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة . يقول النبي ﷺ : ﴿**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الجمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ**﴾ . قِيلَ يَا رَسُولَ الله : أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ . قَالَ ﷺ : ﴿**بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**﴾ (١) .

١- رواه الترمذي وحسنه وأبو داود وابن ماجه وابن جرير والبغوي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه (وأقره الذهبي) والبيهقي في السنن والشعب وأبو نعيم في الحلية عن أبي أمية الشعباني ﷺ . والطبراني في الكبير عن أبي أمامة ﷺ . وابن مردويه عن معاذ بن جبل ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط عن عتبة بن غزوان ﷺ . وابن بطة العكبري عن أنس ﷺ . والبزار عن ابن مسعود ﷺ .

طاعته ومعصيته ﷺ

قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ {النساء :٨٠} . وقال : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٧١} .

- مَنْ بلَّغَ أمر الله ونهيه ، ولم يكن له من نفسه إذن من الله تعالى ، أن يأمر وينهى ، فهو رسول يبلغ رسالات ربه ، قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ {الأعراف : ٦٢} . وقال على لسان هود عليه السلام : ﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ ﴾ {الأعراف : ٦٨} . وقال على لسان شعيب عليه السلام : ﴿ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾ {الأعراف : ٩٣} . وقال في الأنبياء السابقين على سيدنا محمد ﷺ : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩ ﴾ {الأحزاب : (٣٨ – ٣٩)} .

- من كان له التحليل والتحريم ، والأمر والنهي ، فهو الرسول الخليفة ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ {الأعراف : ١٥٧} .

- وبهذا بان لك الفرقان بين الرسول فقط ، والرسول الخليفة . ولهذا جاء بالألف واللام في قوله تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾ {النساء :٨٠} .

- وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ {النساء : ٥٩} .

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أي فيما أمركم به – تعالى – على لسان رسوله ﷺ مما قال فيه ﷺ : إنّ الله يأمركم . وهو كل أمر جاء في كتاب الله تعالى .

- ثم قال : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ . ففصل أمر طاعة الله ، من طاعة رسوله ﷺ . فلو كان يعني بذلك ما بلغ إلينا من أمر الله تعالى ، لم تكن ثم فائدة زائدة . فلا بد أن يوليه رتبة الأمر والنهي ، فيأمر وينهى . فنحن مأمورون بطاعة رسول الله ﷺ عن الله ، بأمره . وقال تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ {النساء :٨٠} . وطاعتنا له فيما أمر به ﷺ ، ونهى عنه ، مما لم يَقُل هو من عند الله ، فيكون قرءآنا . قال الله عز وجل : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ {الحشر : ٧} . فأضاف النهي إليه ﷺ فأتى بالألف واللام في الرسول ، يريد بهما التعريف والعهد . أي الرسول الذي استخلفناه عنا ، فجعلنا له أن يأمر وينهى ، زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا إلى عبادنا .

- ثم قال تعالى في الآية عينها : ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (١) . أي إذا وُلي

١- عند أهل الله العارفون به ، المقصود بأولي الأمر في قوله تعالى : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ {النساء : ٥٩} . أي أصحاب الأمر ، وأصحاب الأمر على الحقيقة هم الذين لا يقف لأمرهم شيء ، لأنهم بالله يأمرون ، كما به يسمعون ، كما به يبصرون . فإذا قالوا لشيء (كن) ، فإنه (يكون) . لأنهم به – تعالى – يتكلمون . فهذا معنى ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ عند أهل الاعتبار .

عليكم خليفة عن رسولي ، أو وليتموه من عندكم ، كما شرع لكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، ولو كان عبدا حبشيا مجدّع الأطراف . فإن في طاعتكم إياه ، طاعة رسوله الله ﷺ . ولهذا لم يستأنف في (أولي الأمر) ، أطيعوا ، واكتفى بقوله : (أطيعوا الرسول) . ولم يكتف بقوله : (أطيعوا الله) عن قوله : (أطيعوا الرسول) ففصل ، لكونه تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ {الشُّورى : ١١} .

- واستأنف القول بقوله : (وأطيعوا الرسول) . فهذا دليل على أنه تعالى قد شرع له ﷺ أن يأمر وينهي .

- وقال تعالى له : ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ { النساء : ١٠٥} . فانظر في حديث الحج حيث قال أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ : خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ : **«أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ الحَجَّ ، فَحُجُّوا»** . فَقَالَ رَجُلٌ : أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ الله ؟ . فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«لَوْ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ لَوَجَبَتْ ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»** . ثُمَّ قَالَ : **«ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ . فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ . فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»** (١) .

١- رواه مسلم في صحيحه والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ .

وفي رواية أنه ﷺ قَالَ : ﴿ **لَا ، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ** ﴾ . فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ {المائدة : ١٠١} (١) .

- وهذا من قبيل رفع الحرج عن الأمة ، ومثال ذلك الأحاديث التي ورد فيها لفظ : (لولا أن أشق على أمتي) . كقوله ﷺ :

▪ ﴿ **لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ، لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَتَخَلَّفَ عَنْ سَرِيَّةٍ تَخْرُجُ فِي سَبِيلِ اللهِ . وَلَكِنِّي لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا يَجِدُونَ مَا يَتَحَمَّلُونَ عَلَيْهِ ، فَيَخْرُجُونَ ، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي . فَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ؛ فَأُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، فَأُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، فَأُقْتَلُ** ﴾ (٢) .

١- رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة وأحمد والحاكم وابن أبي حاتم وأبو يعلى والدارقطني والبزار والمروزي في السنة عن الإمام علي كرم الله وجهه .

٢- رواه مالك في الموطأ والبخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن والشعب وعبد الرزاق وأبو عوانة وابن حبان والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه .

- ﴿لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ﴾ (١) .
- ﴿لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ، لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُؤَخِّرُوا الْعِشَاءَ﴾ (٢) .
- ﴿لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ، لَأَمَرْتُهُمْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ بِوُضُوءٍ﴾ (٣) .

فهذه أحاديث عدة ، تدلنا على أن الأمر وعدمه مرجعه إليه ﷺ . وأنه لو أراد أن يأمر بهذه الأشياء ، أو بغيرها ، أمر إيجاب وفرض ، لَفَعَل ، ولَلَزِمَ ذلك الأمة .

لكنه تركه رفقا بأمته ، وشفقة عليهم ، وهذا مما يدل على تفويض الأمر إليه عموما وخصوصا .

١- رواه مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وعبد الرزاق عن أبي هريرة ﷺ . وأبو داود والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة عن زيد بن خالد الجهني ﷺ . وابن ماجة عن أبي أمامة ﷺ . وأحمد عن أم المؤمنين السيدة أم حبيبة رضي الله عنها .

٢- رواه البخاري في صحيحه والنسائي وأحمد وعبد الرزاق والطبراني عن ابن عباس ﷺ . والترمذي عن زيد بن خالد الجهني ﷺ . والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والحاكم وصححه والطبراني والدارمي وأبو عوانة عن أبي هريرة ﷺ . وأحمد والطبراني عن ابن عمر ﷺ . وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله ﷺ .

٣- رواه أحمد والنسائي والمنذري في الترغيب والترهيب عن أبي هريرة ﷺ .

ومما يدلك على أن الأمر موكل إليه ﷺ :

- تركه الأمر بقتل الكلاب لكونها أمة من الأمم ، فكره إفنائها وإعدامها بالكلية ، لتسبيحها لله عز وجل ، ودلالتها بذواتها عليه سبحانه ، وعلى عجيب صنعه ، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال : ﴿**لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنْ الْأُمَمِ ؛ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا . فَاقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبَهِيمَ**﴾ (١) .

- تركه ﷺ هدم البيت وإعادة بنائه ، خوفا على الناس من الفتنة ، فعَنْ أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قالت : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا : ﴿**يَا عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ ؛ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ ؛ بَابًا شَرْقِيًّا ، وَبَابًا غَرْبِيًّا ، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ**﴾ (٢) .

١- رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والدارمي وابن حبان وعبد بن حميد وأبو نعيم في المعرفة عن عبد الله بن مغفل ﷺ . وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وابن حبان عن جابر ﷺ . والطبراني في الكبير وأبو يعلى عن ابن عباس ﷺ . والطبراني عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والطبراني عن الإمام علي كرم الله وجهه . وعبد بن حميد عن أبي هريرة ﷺ .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن والنسائي والحاكم وصححه والدارمي وابن حبان وابن خزيمة والطيالسي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

- وتركه ﷺ إخبار قريش بما لها عند الله خوفا عليها من البطر ، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال : **﴿النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، خِيَارُهُمْ فِي الجاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا . وَاللهِ لَوْلَا أَنْ تَبْطَرَ قُرَيْشٌ ؛ لَأَخْبَرْتُهَا مَا لِخِيَارِهَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾** (١) .

- وأباح الله تعالى له ﷺ مكة ، يدخلها فاتحا ، وهي البلد الحرام على طول الزمن ، إلى قيام الساعة : فقد ورد عنه ﷺ أنه قال في الغد من يوم الفتح : **﴿إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ؛ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا ، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً . فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا ، فَقُولُوا : إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ . وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ . وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ﴾** (٢) .

١- رواه أحمد وابن أبي شيبة والشافعي والبيهقي وأبو نعيم والبزار وابن أبي عاصم في السنة .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن والطبراني عن أبي شريح رضي الله عنه . والبخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والطبراني والدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنهما . والبخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي في السنن وأبو عوانة وأبو يعلى والدارقطني وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وشرع الله تعالى له ﷺ أن يُشَرِّعَ لمن شاء ، ما شاء . ويُحِلَّ لبعضٍ ، مَا حُرِّمَ عَلى بَعْضٍ ، وشرع تعالى له أن يُجيز في حالات مخصوصة ، ما لا يجيزه في حالات أخرى ، فهو ﷺ كما قال فيه الإمام البوصيري رضي الله عنه :

نَبِيُّنا الآمِرُ النَّاهِي فَلا أَحَدٌ أَبَرَّ في قَوْلِ لا مِنْهُ وَلا نَعَمِ

وذلك كما نستدل عليه فيما يلي من الأحاديث ، التي نورد منها أحد عشرة مسألة على سبيل المثال ، لا الحصر :

١- مسألة رضاع الكبير :

جعل رسول الله ﷺ رضاع سالم مولى أبي حذيفة - وهو كبير - رضاعا يُحَرِّم ، فقد رُوي عَنْ أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قالت : أَنَّ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، كَانَ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ وَأَهْلِهِ فِي بَيْتِهِمْ ، فَأَتَتْ - تَعْنِي ابْنَةَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرو - النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَتْ : إِنَّ سَالِمًا قَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ ، وَعَقَلَ مَا عَقَلُوا ، وَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا ، وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ : «**أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ ، وَيَذْهَبُ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ**» . فَرَجَعَتْ ، فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُهُ ، فَذَهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ . وفي بعض الروايات زيادة أنه لما قال لها النبي ﷺ : أرضعيه . قَالَتْ : وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ ؟ . (وفي رواية : كيف أرضعه وهو ذو لحية ؟) . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَقَالَ : «**قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ**» (١) .

قال القاسم بن محمد : إنما كان ذلك رخصة من رسول الله ﷺ لسالم ، ثم

١- رواه مسلم في صحيحه والنسائي وأحمد وابن ماجة وعبد الرزاق والطبراني في الكبير وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وأبو عوانة وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة وابن راهويه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

لم يرخص رسول الله ﷺ في رضاع على فرق (أي على كِبر) لأحد بعده .

وبديهي أن هذا الرضاع قد تم بطريقة غير مباشرة ، وبدون أن يلمس فاه ثديها ، أي بأن تنزل هي بعضا من اللبن في كوب ، أو ما شابه ذلك ، ثم يشربه هو .

وقد أورد الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري قول أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها : (**أَبَى سَائِر أَزْوَاج النَّبِيّ ﷺ أَنْ يُدْخِلْنَ عَلَيْهِنَّ أَحَدًا بِتِلْكَ الرَّضَاعَة ، وَقُلْنَ لِعَائِشَة : وَالله مَا نَرَى هَذَا إِلَّا رُخْصَة لِسَالِمٍ ، فَمَا هُوَ بِدَاخِلٍ عَلَيْنَا أَحَدٌ بِهَذِهِ الرَّضَاعَة وَلَا رَأَيْتنَا**) (١) .

مع أن الأحاديث الصحيحة ، تدلنا على أن الرضاع المحرم هو ما كان في الصغر ، قبل العامين ، بدليل الأحاديث التالية :

- **﴿ الرَّضَاعَةَ مِنْ المجَاعَةِ ﴾** (٢) .

قال ابن حجر في الفتح : أَيْ الرَّضَاعَة الَّتِي تَثْبُت بِهَا الْحُرْمَة ؛ وَتَحِلّ بِهَا

١- رواه مالك في الموطأ ومسلم في صحيحه والنسائي وأحمد والبيهقي وعبد الرزاق وأبو عوانة وابن حبان والشافعي .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والدارمي وأبو عوانة والطيالسي وابن راهويه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

الْخَلْوَة ؛ هِيَ حَيْثُ يَكُون الرَّضِيع طِفْلًا ، لِسَدِّ اللَّبَن جَوْعَته ، لِأَنَّ مَعِدَته ضَعِيفَة يَكْفِيهَا اللَّبَن ، وَيَنْبُت بِذَلِكَ لَحْمه ، فَيَصِير كَجُزْءٍ مِنْ الْمَرْضِعَة ، فَيَشْتَرِك فِي الْحُرْمَة مَعَ أَوْلَادهَا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَا رَضَاعَة مُعْتَبَرَة إِلَّا الْمغْنِيَة عَنِ المجَاعَة ، أَوْ المطْعِمَة مِنَ المجَاعَة .

- كان رَجُلٌ مَعَهُ امْرَأَتُهُ ، وَهُوَ فِى سَفَرٍ . فَوَلَدَتْ ، فَجَعَلَ الصَّبِىُّ لاَ يَمُصُّ ، فَأَخَذَ زَوْجُهَا يَمُصُّ لَبَنَهَا وَيَمُجُّهُ ، حَتَّى وَجَدَ طَعْمَ لَبَنِهَا فِى حَلْقِهِ ، فَأَتَى أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِىَّ رضي الله عنه ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : حَرُمَتْ عَلَيْكَ امْرَأَتُكَ . فَأَتَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فَقَالَ : أَنْتَ الَّذِى تُفْتِى هَذَا بِكَذَا وَكَذَا ؟ . وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **لاَ رَضَاعَ إِلاَّ مَا شَدَّ الْعَظْمَ ، وَأَنْبَتَ اللَّحْمَ** ﴾ (١) .

- وقوله ﷺ : ﴿ **لاَ رَضَاعَ إِلاَّ مَا كَانَ فِى الحوْلَيْنِ** ﴾ (٢) .

١- رواه أبو داود والبيهقي في السنن والدارقطني و(اللفظ له) عن ابن مسعود رضي الله عنه . وابن المقرئ في معجمه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٢- رواه الدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ، ورواه البيهقي في السنن وفي المعرفة وعبد الرزاق وسعيد بن منصور عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا . وقال البيهقي : الصحيح موقوف . ورواه ابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وسعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفا .

٢- مسألة أمره ﷺ للبراء رضي الله عنه بلبس الذَّهَب :

فقد حدَّث مُحَمَّدُ بْنُ مَالِكٍ مولى البراء رضي الله عنه ، قَالَ : رَأَيْتُ عَلَى الْبَرَاءِ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ لَهُ : لِمَ تَخَتَّمُ بِالذَّهَبِ ، وَقَدْ نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ ؟ . فَقَالَ الْبَرَاءُ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ غَنِيمَةٌ يَقْسِمُهَا : سَبْيٌ وَخُرْثِيٌّ - الخُرْثِيُّ : أَرْدَأُ المَتَاعِ والغَنائِم - فَقَسَمَهَا ، حَتَّى بَقِيَ هَذَا الْخَاتَمُ ، فَرَفَعَ ﷺ طَرْفَهُ ، فَنَظَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ خَفَّضَ ، ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ خَفَّضَ ، ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ ﷺ : ﴿أَيْ بَرَاءُ﴾ . فَجِئْتُهُ ، حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَخَذَ الْخَاتَمَ ، فَقَبَضَ عَلَى كُرْسُوعِي - الكُرْسوعُ : طرفُ الزَنْدِ الذي يلي الخِنْصِر، وهو الناتئ عند الرُسغ - ثُمَّ قَالَ ﷺ : ﴿**خُذْ الْبَسْ مَا كَسَاكَ اللهُ وَرَسُولُهُ**﴾ . وَكَانَ الْبَرَاءُ رضي الله عنه يَقُولُ : كَيْفَ تَأْمُرُونِي أَنْ أَضَعَ مَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿**الْبَسْ مَا كَسَاكَ اللهُ وَرَسُولُهُ**﴾ (١) .

١- رواه أحمد وأبو يعلى عن محمد بن مالك رضي الله عنه . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عن هذا الحديث : [محمد بن مالك مولى البراء وثقه ابن حبان وأبو حاتم ولكن قال ابن حبان لم يسمع من البراء ، قلت : قد وثقه ، وقال : رأيت ، فصرح ، وبقية رجاله ثقات] اهـ . وروى ابن أبي شيبة عن أبي السفر قال : (رأيت على البراء خاتما من ذهب) . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : اسناده صحيح .

٣- مسألة ترخيصه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضي الله عنهما بلبس الحرير :

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : (رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَلِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فِي قُمُصِ الحرِيرِ فِي السَّفَرِ مِنْ حِكَّةٍ كَانَتْ بِهِمَا) (١) .

فهذه خصوصية لهما ، واستثناء من القاعدة العامة ؛ وهي أن الحرير حرام على رجال الأمة حلال لنسائها ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة :

- **فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ : (أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعٍ ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ . أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ المرِيضِ ، وَاتِّبَاعِ الْجِنَازَةِ ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ ، وَنَصْرِ المظْلُومِ ، وَإِبْرَارِ المقْسِمِ . وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمِ الذَّهَبِ ، وَعَنْ الشُّرْبِ فِي الْفِضَّةِ - أَوْ قَالَ آنِيَةِ الْفِضَّةِ - وَعَنْ الميَاثِرِ ، وَالْقَسِّيِّ ، وَعَنْ لُبْسِ الحرِيرِ ، وَالدِّيبَاجِ ، وَالْإِسْتَبْرَقِ) (٢) .**

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي في الشعب وأبو عوانة وابن حبان في صحيحه والتبريزي في المشكاة .

- وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : ﴿**أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالحرِيرُ لِإِنَاثِ أُمَّتِي ، وَحُرِّمَ عَلَى ذُكُورِهَا**﴾ (١) .

١- رواه النسائي وأحمد والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والطبراني والطيالسي وابن المنذر والروياني وابن المقرئ وابن شاهين .

٤- مسألة الذبح قبل صلاة الأضحى :

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ : خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَضْحَى بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا ، وَمَنْ نَحَرَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ ، لَيْسَ مِنْ النُّسْكِ فِي شَيْءٍ** ﴾ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ ، يُقَالُ لَهُ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ : يَا رَسُولَ الله ذَبَحْتُ ، وَعِنْدِي جَذَعَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُسِنَّةٍ ؟ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **اجْعَلْهُ مَكَانَهُ ، وَلَنْ تُوفِيَ - أَوْ تَجْزِيَ - عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ** ﴾ (١) . فاستثناه النبي ﷺ من شرط السن ، وجعلها خصوصية لهذا الرجل في هذ الوقت ، ولا تجوز في وقت آخر ، أو لشخص آخر .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن والطبراني في الكبير والدارمي وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان والطيالسي عن البراء بن عازب ﷺ . وابن ماجة وأحمد وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبراني في الكبير عن أبي زيد الأنصاري ﷺ . وأحمد وأبو يعلى وابن حبان عن جابر بن عبد الله ﷺ .

٥- مسألة إقراره ﷺ شهادة خزيمة بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه بشهادة رجلين :

عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ رضي الله عنه أَنَّ عَمَّهُ حَدَّثَهُ - وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ ، فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ ، فَأَسْرَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَشْيَ ، وَأَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَطَفِقَ رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الْأَعْرَابِيَّ ، فَيُسَاوِمُونَهُ بِالْفَرَسِ ، وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَهُ ، فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسَ وَإِلَّا بِعْتُهُ . فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الْأَعْرَابِيِّ ، فَقَالَ : ﴿**أَوَ لَيْسَ قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ**﴾ ؟ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لَا وَاللهِ مَا بِعْتُكَهُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿**بَلَى قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ**﴾ . فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ : هَلُمَّ شَهِيدًا . فَقَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه : أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ . فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ ، فَقَالَ : ﴿**بِمَ تَشْهَدُ**﴾ ؟ . فَقَالَ : بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللهِ . فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ (١) .

وفي رواية : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَى نَاقَةً مِنْ أَعْرَابِيٍّ ، وَأَوْفَاهُ الثَّمَنَ ، ثُمَّ جَحَدَ

١- رواه أبو داود والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن وفي المعرفة وعبد الرزاق والحاكم في المستدرك وصححه والطبراني في الكبير وابن سعد في طبقاته وابن عساكر في تاريخه .

الْأَعْرَابِيُّ اسْتِيفَاءَ الثَّمَنِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : وَاغَدْرَاهُ ، هَلُمَّ بِهِ شَهِيدًا . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **مَنْ يَشْهَدُ لِي** ﴾ ؟ فَقَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ : أَنَا أَشْهَدُ لَك يَا رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ أَوْفَيْت الْأَعْرَابِيَّ ثَمَنَ النَّاقَةِ . فَقَالَ : ﴿ **كَيْفَ تَشْهَدُ لِي وَلَمْ تَحْضُرْنَا** ﴾ ؟ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نُصَدِّقُكَ فِيمَا تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ ، أَفَلَا نُصَدِّقُك فِيمَا تُخْبِرُ بِهِ مِنْ أَدَاءِ ثَمَنِ النَّاقَةِ ؟ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **مَنْ شَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةُ ؛ فَحَسْبُهُ** ﴾ (١) .

وفي رواية أنه ﷺ قَالَ لَهُ : ﴿ **مَا حَمَلَكَ عَلَى الشَّهَادَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُ حَاضِرًا** ﴾ ؟ ، قَالَ : صَدَّقْتُكَ لما جِئْتَ بِهِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّكَ لا تَقُولُ إِلا حَقًّا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **مَنْ شَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةُ ، أَوْ شَهِدَ عَلَيْهِ فَحَسْبُهُ** ﴾ (٢) .

في حين أنه تعالى قال : ﴿ **وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ** ﴾ {البقرة : ٢٨٢} .

إذاً فقد اختص رسـول الله ﷺ خزيمة ﷺ بهذه الصفة . وهذه الخاصية وضعها

١- رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن النعمان بن بشير ﷺ . وابن سعد في طبقاته عن عمارة بن خزيمة ﷺ .

٢- رواه الحاكم وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والبيهقي في السنن والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة والبخاري في التاريخ وابن عساكر في تاريخه وابن الأثير في أسد الغابة .

الصحابة ﷺ موضع التنفيذ ، في أخطر قضايا هذه الأمة ، ألا وهو جمع القرآن الكريم . قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ : ﴿ **نَسَخْتُ الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ ، فَفَقَدْتُ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ ، كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ الله ﷺ يَقْرَأُ بِهَا ، فَلَمْ أَجِدْهَا إِلَّا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ ، الَّذِي جَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ** : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ {الأحزاب : ٢٣} ﴾ (١) .

وَخُزَيْمَةُ هذا كان قد رَأَى فِي المَنَامِ أَنَّهُ سَجَدَ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ ، فَاضْطَجَعَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ ، وَقَالَ : ﴿ **صَدِّقْ بِذَلِكَ رُؤْيَاكَ** ﴾ فَسَجَدَ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ الله ﷺ . وفي رواية قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ **اجْلِسْ ، وَاسْجُدْ ، وَاصْنَعْ كَمَا رَأَيْتَ** ﴾ (٢) .

وخزيمة استشهد مع الإمام علي كرم الله وجهه بصفين ، بعد استشهاد عمار بن ياسر ﷺ .

١- رواه البخاري في صحيحه وأحمد والبيهقي في السنن وعبد الرزاق وعبد بن حميد والطبراني وأبو نعيم في المعرفة وأبو داود في المصاحف .

٢- رواه أحمد والنسائي وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبراني وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة والحارث في مسنده والتبريزي في مشكاة المصابيح وابن حجر في الإصابة وابن سعد في طبقاته وابن الأثير في أسد الغابة .

٦- مسألة إقطاعه ﷺ تميماً الداري رضي الله عنه أرض قومه بالشام :

قال الحافظ السيوطي رضي الله عنه : كان ﷺ يقطع الأراضي قبل فتحها ، لأن الله ملَّكه الأرض كلها . فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا** ﴾ (١) .

وفي الخبر أن رسول الله ﷺ ، كتب لتميم بن أوس الدارى رضي الله عنه : ﴿ **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ، لِتَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ ، أَنَّ لَهُ قَرْيَةَ حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونَ ، قَرْيَتَهَا كُلَّهَا ، سَهْلَهَا وَجَبَلَهَا وَمَاءَهَا وَحَرْثَهَا وَأَنْبَاطَهَا وَبَقَرَهَا ، وَلِعَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، لَا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَلِجْهُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بِظُلْمٍ ، فَمَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ أَخَذَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ . وكتبه علي كرم الله وجهه (٢) .

قال البكري رضي الله عنه في كتابه : (**معجم ما استعجم**) : (وكان سليمان بن عبد الملك إذا مر بها ، لم يعرج ، ويقول : أخاف أن تمسني دعوة رسول الله ﷺ) .

١- رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والحاكم في المستدرك وصححه وابن حبان والشهاب والداني والأصبهاني والروياني عن ثوبان رضي الله عنه . وأحمد والبزار عن شداد بن أوس رضي الله عنه .

٢- أورده ابن زنجويه في الأموال وابن سعد في الطبقات وابن عساكر في تاريخه .

وهذا الإقطاع لهم من رسول الله ﷺ هو إقطاع جازم ، لا تعليق فيه ، مُلزم لمن خلفه من الصحابة ، فأنفذه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وكان حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه قد أفتى بكفر من عارض أولاد تميم الداري ، فيما أقطعهم رسول الله ﷺ .

٧- مسألة اختصاصه ﷺ سراقة بن مالك رضي الله عنه بسواري كسرى ومنطقه وتاجه :

سراقة هذا أدرك النبي ﷺ ، لما هاجر إلى المدينة ، ودعا النبي ﷺ ، حتى ساخت رجلا فرسه إلى صدرها في أرض صلد ، فوثب عنها ، وقال : يا محمد ، قد علمت أن هذا عملك ، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي ، فخذ منها سهماً : فإنك ستمر بإبلي وغنمي ، في موضع كذا وكذا ، فخذ منها حاجتك . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **لا حَاجَةَ لي فِيهَا** ﴾ .

فأطلق ، فرجع إلى أصحابه ، وجعل لا يلقى أحداً إلا قال : كفيتم ، ما ها هنا . فلا يلقى أحداً إلا رده .

وإن أبا جهل لما سمع قصة سراقة أنشأ هذين البيتين :

بَنِي مُدْلِجٍ إِنِّي أَخَافُ سَفِيْهَكُمْ ... سُرَاقَةَ يَسْتَغْوِي بِنَصْرِ مُحَمَّدِ
عَلَيْكُمْ بِهِ أَلَّا يُفَرِّقَ جَمْعَكُمْ ... فَيُصْبِحَ شَتَّى بَعْدَ عِزٍّ وَسُؤْدَدِ

ولما سمع سراقة شعر أبي جهل قال :

أَبَا حَكَمٍ وَاللهِ لَوْ كُنْتَ شَاهِداً ... لِأَمْرِ جَوَادِي إِذْ تَسُوخُ قَوَائِمُهُ
عَلِمْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنَّ مُحَمَّداً ... رَسُولٌ بِبُرْهَانٍ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهُ
عَلَيْكَ بِكَفِّ القَوْمِ عَنْهُ فَإِنَّنِي ... أَرَى أَمْرَهُ يَوْماً سَتَبْدُو مَعَالِمَهُ
بِأَمْرٍ يَوَدُّ النَّاسُ فِيهِ بِأَسْرِهِمْ ... بِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ طُرًّا يُسَالِمُهُ

قال رسول الله ﷺ لسراقة : ﴿كَيفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَي كِسْرَى﴾ ! . فلما أُتي عمر رضي الله عنه بسواري كسرى ، ومنطقته وتاجه في وقعة القادسية ، وظفر جنده رضي الله عنه بالغنيمة ، دعا سراقة بن مالك هذا ، فألبسه السوارين . وكان سراقة رجلاً أزب الذراعين ، كثير شعرهما ، وقال له عمر : ارفع يديك ، وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز ، الذي كان يقول : أنا رب الناس ، وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم ، أعرابيًّا من بني مدلج . فرفع صوته ، وقال ذلك (١) .

في هذه القصة تنبأ النبي ﷺ بفتح فارس ، ووعد سراقة بسواري كسرى قبل سنوات وسنوات من تحقيق ذلك .

وهنا رخص النبي ﷺ لسراقة بلبس الذهب خصوصية له .

١- قصة سراقة أوردها البيهقي في الدلائل والسنن والمعرفة والطبري في تهذيب الآثار والشافعي في الأم .

٨- مسألة ترخيصه ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في قبول الهدية :

رخص له في ذلك حين بعثه إلى اليمن قاضيا ، ولا يجوز قبولها للقضاة ، ولا لغيرهم من سائر الولاة ، بعده رضي الله عنه .

فقد ورد أن النبي ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن : ﴿ **إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ بَلاءَكَ فِي الدِّينِ ، وَالذي قَدْ رَكِبَكَ مِنَ الدَّينِ ، وَقَدْ طَيَّبْتُ لَكَ الهَدِيَّةُ ، فَإِنْ أُهْدِيَ لَكَ شَيءٌ فَاقْبَلْ** ﴾ . فرجع حين رجع بثلاثين رأساً أهديت له (١) .

مع أنه قد ورد عنه ﷺ أنه اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ ، يُدْعَى ابْنَ اللَّتَبِيَّةِ ، فَلَمَّا جاءَ حَاسَبَهُ ، قَالَ : هَذَا مَالُكُمْ ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا** ﴾ . ثُمَّ خَطَبَ ، فَحَمِدَ اللهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ **أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ ، مِمَّا وَلَّانِي اللهُ ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ : هَذَا مَالُكُمْ ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي . أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ . وَاللهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ ، إِلَّا لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ** ﴾ .

١- رواه الطبري في التهذيب وأبو نعيم في المعرفة وابن قانع في معجمه وابن حجر في الإصابة وابن عساكر في تاريخه .

ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ ، حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ ﷺ ، يَقُولُ : ﴿ **اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ . بَصْرَ عَيْنِي ، وَسَمْعَ أُذُنِي** ﴾ (١) .

وقال ﷺ : ﴿ **هَدَايَا الأُمَرَاءِ غُلُولٌ** ﴾ (٢) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والطبراني في الأوسط والصغير والدارمي وأبو عوانة وابن حبان في صحيحه وابن خزيمة عن أبي حميد الساعدي ﷺ .

٢- رواه ابن أبي شيبة عن أبي سعيد ﷺ . والبيهقي في السنن وأبو عوانة وأبو نعيم في المعرفة عن أبي حميد الساعدي ﷺ . وعبد الرزاق والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية عن جابر بن عبد الله ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط عن أبي هريرة ﷺ .

٩- مسألة إذنه ﷺ للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجمع بين اسمه وكنيته في الولد الذي يولد له بعده ﷺ :

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿سَمُّوا بِاسْمِي ، وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي﴾ (١) . هذه هي القاعدة .

ولكنه ﷺ استثنى الإمام عليًّا كرم الله وجهه منها . فقد ورد أن الإمامَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قال : يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ وُلِدَ لِي بَعْدَكَ وَلَدٌ ؛ أُسَمِّيهِ بِاسْمِكَ ، وَأُكَنِّيهِ بِكُنْيَتِكَ ؟ . قَالَ : ﴿نَعَمْ﴾ . فَكَانَتْ رُخْصَةً مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لِعَلِيٍّ (٢) .

وقال النبي ﷺ للإمام علي كرم الله وجهه : ﴿إِنَّهُ سَيُولَدُ لَك بَعْدِي غُلَامٌ ، فَقَدْ نَحَلْته اسْمِي وَكُنْيَتِي ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَهُ﴾ (٣) . وهو الإمام محمد بن الحنفية ﷺ .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود وابن ماجة وأحمد عن أبي هريرة ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما وابن ماجة وأحمد عن أنس ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود وابن ماجة وأحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ . وغيرهم كثير .

٢- رواه أبو داود وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والمعرفة والبخاري في الأدب وفي التاريخ وابن سعد في طبقاته وابن عساكر في تاريخه والدولابي في الكني والتبريزي في مشكاة المصابيح .

٣- رواه البيهقي في الدلائل وابن سعد في طبقاته وابن عساكر والذهبي في سير أعلام النبلاء عن الإمام علي كرم الله وجهه .

١٠- مسألة إذنه ﷺ للإمام علي كرم الله وجهه بالمكوث في المسجد النبوي جُنُبًا :

قال تعالى : ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ {النساء : ٤٣} . هذه هي القاعدة العامة . ولكنه ﷺ استثنى الإمام عليًّا كرم الله وجهه من هذه القاعدة ؛ فقد ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : **﴿يَا عَلِيُّ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُجْنِبَ فِي هَذَا المسْجِدِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ﴾** (١) .

١- رواه الترمذي وحسنه والبيهقي في السنن والبزار وابن عساكر .

١١- مسألة تحريمه ﷺ على الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن يتزوج على السيدة فاطمة :

ويُستفاد منه تحريم إيذائه ﷺ هو وأهله ، بكل وجه ، وعلى كل حال ، وإن تولَّد هذا الإيذاء مما أصله مباح . ويجب منع هذا الإيذاء ، حتى ولو أدى إلى تحريم حلال أحله الله .

فالأصل هو إباحة تعدد الزوجات ، لقوله تعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ {النساء : ٣} .

ولكن رسول الله ﷺ حرم على الإمام علي كرم الله وجهه ، أن يجمع بين ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وبين غيرها ، فقد ورد عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ﷺ ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ : **﴿ إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ المغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَلَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ . إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي ، وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ . فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي ، يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا ، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا ﴾** (١) .

١- رواه البخاري في صحيحه وأبو داود والترمذي والبيهقي والنسائي وأبو عوانة وابن حبان وابن شاهين وأبو نعيم في الحلية .

وفي رواية لهذا الحديث ؛ قال فيها رسول الله ﷺ : ﴿**وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا ، وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا**﴾ (١) .

ومعناه عندنا أنه ﷺ – في منعه الإمام علي كرم الله وجهه من هذا الزواج – لا يحل حراما ، ولا يحرم حلالا ، ولكن ما يشرعه ﷺ ويحكم به في أي مسألة ؛ هو عين الحلال والحرام ، ليس غيره ! .

١– رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود وأحمد والبيهقي وابن أبي عاصم والطبراني والدارمي وأبو عوانة وابن حبان عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه .

خاتمة :

المراد بنقل كل هذه الأمثلة ؛ هو الإعلام بأنه ﷺ هو الوكيل ، أو هو الموَكَّل من رب العزة سبحانه وتعالى ، وهو المفَوَّضَ عنه في الأحكام الشرعية ، فيحكم باجتهاده ﷺ ، كأنه تعالى قال له : احكم بما تشاء ، فما حكمت به ؛ فهو صوابٌ ، موافق لحكمي ، وهذا له ﷺ خاصة ، وليس لغيره .

وكثير من العارفين لم يرتض قولهم : أنه ﷺ حكم باجتهاده ، لأن ذلك ليس من باب الاجتهاد ، لأنه ليس عن دليل ، وإنما هو ﷺ أراد ذلك ، فحكم به . فليس الأمر اجتهاداً ، وإنما هو كما قالت فيه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : ﴿ **وَاللهِ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ** ﴾ ! (١) .

وليس لأولي الأمر (٢) أن يُشَرِّعُوا شريعة ، إنما لهم الأمر والنهي ، فيما هو مباح لهم ، ولنا . فإذا أمرونا بمباح ، أو نهونا عن مباح ، وأطعناهم في ذلك ، أُجِرنا في ذلك أجر من أطاع الله ، فيما أوجبه عليه ، من أمر ونهي . وهذا من كرم الله بنا . ولا يشعر بذلك أهل الغفلة منا .

١- رواه البخاري في صحيحه والنسائي في السنن وابن ماجة وأحمد في مسنده وأبو عوانة وابن حبان وابن أبي حاتم .

٢- أي في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ {النساء : ٥٩} .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ {الأنفال : ٢٤} . فإن الله ورسوله ما يدعونا إلا لما يحيينا به ، فلتكن منا الإجابة على كل حال ، إذا دعانا . فإنه ما نكون في حال إلا منه ، فلا بدّ أن نجيبه إذا دعانا ، فإنه الذي يقيمنا في أحوالنا ، وإنما فصل هنا بين دعوة الله ، ودعوة الرسول ، لنتحقق من ذلك صورة الحق التي رسول الله ﷺ عليها ، وهو الداعي في الحالتين إيانا :

- فإذا دعانا بالقرآن ، كان مبلغاً وترجماناً ، وكان الدعاء دعاء الله ، فلتكن إجابتنا لله ، والإسماع للرسول .
- وإذا دعانا بغير القرآن ، كان الدعاء دعاء الرسول ﷺ ، فلتكن إجابتنا للرسول ﷺ .
- ولا فرق بين الدعاءين في إجابتنا ، وإن تميز كل دعاء عن الآخر ، بتميز الداعي :

– ورُوي أنه : ﴿ **كَانَ جِبْرِيل يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِالسُّنَّةِ ، كَمَا يَنْزِلُ بِالقُرْآنِ فَيُعَلِّمُهُ إِيْاهَا ، كَمَا يُعَلِّمُهُ القُرْآنَ** ﴾ (١) .

١– أخرجه الدارمي وابن المبارك في الزهد وابن بطة العكبري في الإبانة ومحمد بن نصر المروزي في السنة والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه وفي الكفاية عن حسان بن عطية مرسلا . وقال ابن حجر العسقلاني في الفتح : أخرجه البيهقي بسند صحيح عن حسان بن عطية أحد التابعين من ثقات الشاميين .

- قال رسول الله ﷺ : ﴿ أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحدِيثُ عَنِّي ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ ، فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ . وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللهُ ﴾ (١) .

- وقال رسول الله ﷺ : ﴿ أَيَحْسَبُ امْرُؤٌ مِنْكُمْ ؛ قَدْ شَبِعَ حَتَّى بَطِنَ - بَطِنَ : من باب طَرِبَ : أي عظم بطنه من الشبع - وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ ، يَقُولُ : إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلا فِي الْقُرْآنِ ، أَلَا وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ وَعَظْتُ ، وَأَمَرْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ ، إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ ، أَوْ أَكْثَرُ ﴾ (٢) .

١- رواه الترمذي وحسنه وأبو داود وابن ماجة وأحمد والدارمي والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين والبيهقي في السنن وابن حبان والحاكم والدار قطني عن المقدام بن معديكرب الكندي ﷺ . ورواه البخاري في التاريخ الكبير والترمذي وصححه وأبو داود وابن ماجة وأحمد والحاكم وصححه على شرط الشيخين (وأقره الذهبي) والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في السنن والحميدي والشافعي في مسنده عن أبي رافع ﷺ . ورواه ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ . ورواه الطبراني في الكبير عن خالد بن الوليد ﷺ . ورواه أبو يعلى عن جابر بن عبد الله ﷺ .

٢- رواه أبو داود والطبراني في الكبير والأوسط ومسند الشاميين والبيهقي في السنن وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني عن العرباض بن سارية السلمي ﷺ .

فقوله ﷺ : ﴿أَوْ أَكْثَرُ﴾ يشبهه مقالة أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه : **(بطشي أشد)** (١) .

- فإن كلام الله – سواء سمعناه من الله ، أو من الرسول – هو كلام الله ، فإذا قال الله – على لسان عبده – ما يبلغه الرسول ، فإنه لا ينطق عن الهوى ، فإنه أكثر بلا شك ، لأَنَّا ما سمعناه إلا من عين الكثرة .
- وهو من الرسول أقرب مناسبة لأسماعنا ، للتشاكل .
- كما هو من الله أقرب مناسبة لحقائقنا .
- فإن الله أقرب إلينا من الرسول ، لا بل أقرب إلينا منا ، فإنه أقرب إلينا من حبل الوريد .
- فإذا دعانا الله ، مِنَّا ، فلنجبه ، به ، لا بد من ذلك .
- وإذا دعانا بالرسول ، منا ، فلنجبه ، بالله ، لا ، به .
- فنحن ، في الدعاءين ، به ، وله ، وللرسول .

١- سمع أبو يزيد قارئا يقرأ : ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ {البروج : ١٢} . فقال : (بطشي أشد من بطش الحق) . اعلم أن بطش الحق ووعيده مطلق ، ولكن هو مشوب برحمته ولطفه ، ولولا ذلك لتلاشى العالم ، ولم يبق له وجود ، وأما بطش المخلوق فهو محض نقمة ، لا يشوبه شيء من الرحمة ، وسبب ذلك ضيق المخلوق ، فهو يبطش بغيره ليستريح من الحرج والضيق الذي يجده في نفسه ، فيطلب الرحمة بنفسه ، ولو كان في ذلك هلاك غيره بخلاف بطش الحق ، فإنه لسبق العلم بأخذ هذا المبطوش به ، للسبب الموجب له لا غير ، والمنتقم لغيره ما هو كالمنتقم لنفسه .

- ولينظر المدعوّ فيما دعي به :
  - فإن وجد حياة علمية زائدة على ما عنده ، يحيا بها في نفس الدعاء ، وجبت الإجابة لمن دعاه الله أو دعاه الرسول ، فإنه ما أمر بالإجابة إلا إذا دعاه لما يحييه ، وما يدعوه الله ورسوله لشيء إلا لما يحييه .
  - فلو لم يجد طعم الحياة الغريبة الزائدة ، لم يدر من دعاه ، وليس المطلوب لنا إلا حصول ما نحيا به ، ولهذا سمعنا وأطعنا ، فلا بد من الإحساس لهذا المدعو بهذا الأثر الذي تتعين الإجابة ، له ، به .
- فإذا أجاب مَن هذه صفته ، حصلت له فيما يسمعه حياة أخرى ، يحيا بها قلب هذا السامع .
- فإن اقتضى ما سمعه منه عملا ، وعمل به ، كانت له حياة ثالثة .
- فانظر ما يحرم العبد ، إذا لم يسمع دعاء الله ، ولا دعاء الرسول .
- والوجود كله كلمات الله ، والواردات كلها رسل من عند الله ، هكذا يجدها العارفون بالله . فكل قائل عندهم ؛ فليس إلا الله . وكل قول ؛ علم إلهي .
- وما بقيت الصيغة إلا في صورة السماع من ذلك ، فإنه ثم قول امتثال شرعاً ، وقول ابتلاء ، فما بقي إلا الفهم ، الذي به يقع التفاضل .

- فاقتصر علماء الرسوم على كلام الله المعين ، المسمى : فرقاناً وقرآناً ، وعلى الرسول المعين ، المسمى : محمدا ﷺ .
- والعارفون عمموا السمع في كل كلام ، فسمعوا القرآن قرآناً ، لا فرقاناً ، وعمموا الرسالة . فالألف واللام التي في قوله : (وللرسول) عندهم للجنس والشمول ، لا للعهد .
- فكل داع في العالم ؛ فهو رسول من الله ، باطناً ، ويفترقون في الظاهر .
- ألا ترى إبليس ، وهو أبعد البعداء عن نسبة التقريب ، وكذلك الساحر بعده كيف شهد لهم بالرسالة ، وإن لم يقع التصريح .
- فقال في السحرة : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ {البقرة : ١٠٢} . ولا معنى للرسالة إلا أن يكون حكمها هذا ، وهو إذن الله .
- وقال في إبليس ، في إثبات رسالته : ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ {الإسراء : ٦٣} . ثم عرفنا الله سبحانه ما أرسله به ، فقال : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ﴾ {الإسراء : ٦٤} .

- وهذه الأحوال كلها ، عين ما جاءت به الكمل من الرسل عليهم السلام ، الذين أعطوا السيف .
- فسعد العارف بتلقي رسالة الشيطان ، ويعرف كيف يتلقاها . ويشقى بها آخرون ، وهم القوم الذين ما لهم هذه المعرفة .
- يسعد المؤمنون كلهم – والعارفون معهم – بتلقي رسالة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ويكون العامل بما جاء في تلك الرسالة ، أسعد من المؤمن الذي يؤمن بها عقداً وقولاً ، ويعصي فعلاً وقولاً .
- فكل متحرك في العالم ، منتقل ، فهو رسول إلهي ، كان المتحرك ما كان . فإنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه سبحانه .
- فالعارف ينظر إلى ما جاءت به في تحركها ، فيستفيد بذلك علماً ، لم يكن عنده (١) .

١- هذا دأب من تعلم في مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، أن يستفيدوا علما من كل شيء ، لأنهم يتعاملوا مع الله في كل شيء ، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : ﴿لَقَدْ تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْماً﴾ . بهذا اللفظ رواه أحمد في مسنده والطبراني والطيالسي ووكيع في الزهد وابن سعد في طبقاته وابن عساكر في تاريخه عن أبي ذر رضي الله عنه . ورواه أبو يعلى عن أبي الدرداء رضي الله عنه . وهناك زيادة في لفظه عند ابن جرير فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : انْتَطَحَتْ شَاتَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لي : ﴿**يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي فِيمَا انْتَطَحَتَا**﴾ ؟ . قُلْتُ : لا . قَالَ : ﴿**لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي ، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا**﴾ . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : ﴿لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا يُقَلِّبُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ في السَّمَاءِ إلا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْماً﴾ .

- ولكن يختلف الأخذ من العارفين ، من هؤلاء الرسل ، لاختلاف الرسل ، فليس أخذهم من الرسل أصحاب الدلالات – سلام الله عليهم – كأخذهم من الرسل الذين هم عن الإذن من حيث لا يشعرون . ومن شعر منهم ، وعلم ما يدعو إليه ، كإبليس إذ قال لصاحبه اكفر ، فيتلقاه منه العارف تلقياً إلهياً ، فينظر إلى ما أمره الحق به من الستر ، فيستره . ويكون هذا الرسول هو الشيطان المطرود من الله ، منبهاً عن الله ، فيسعد هذا العارف بما يستره ، وهو غير مقصود الشيطان الذي أوحى إليه .
- والذي هو غير العارف ، يكفر بالذي يقول له اكفر ، فإذا كفر ، يقول له الشيطان : ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الحشر : ١٦} . فشهد الله للشيطان بالخوف من الله ربّ العالمين ، في دار التكليف . وشهد له أيضا بالإيمان برب العالمين . ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ ﴾ {الحشر:١٧} . لأنها موطنهما :
  - الواحد خلق منها ، وهو الشيطان .
  - والآخر خلق لها ، وإن كان فيه منها .
- فَسَكَنَاها بحكم الأهلية ، وعُذِّبا فيها بحكم الجريمة ، ما شاء الله .

- **فالعالم كله – عند العارف – رسول الله ، من الله ، إليه .**

- وهو ، ورسالته – أعني العالَم – في حق هذا العارف – رحمة . لأن الرسل ما بُعثوا إلا رحمة ، ولو بُعثوا بالبلاء ، لكان في طيه رحمة إلهية ، لأن الرحمة الإلهية وسعت كل شيء : ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . فما ثم شيء لا يكون في هذه الرحمة . ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ {النَّجم : ٣٢} . فلا تحجر واسعاً ، فإنه لا يقبل التَّحْجِير .

- قَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا ، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا . فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ : ﴿**لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا**﴾ . يُرِيدُ رَحْمَةَ اللهِ (١) . يعني حجرته قولاً وطلبة .

- فإذا كان عند العارف ، مثل هذا كلام الله ، يأخذه في الرحمة الخاصة ، التي يناسب الله بها بين هذا القائل وبين سيدنا محمد ﷺ . فشارك الرسول هذا الأعرابي في الرحمة ، التي يرحمه الله بها ، والتي لا يرحم بها غيره ، فإن الغير ما له تلك المناسبة الخاصة .

١- رواه البخاري في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والشافعي في مسنده والبيهقي في السنن والحميدي والطبراني في مسند الشاميين عن أبي هريرة ﷺ . وعبد الرزاق عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ﷺ .

- فإن الرسول له مناسبة بكل واحد من الأمة التي بعث إليها ، فآمَنت به ، فهو مع كل مؤمن من أمته ، بمناسبة خاصة ، يعينها ذلك المؤمن .
- فإن المتبوع في نفسه ، لكل تابع إياه ، منزلة ، يتميز بها عنده عن غيره .
- قال الله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ {النساء : ٨٠} . فحلاه باسمه ، وكان ظاهراً ، فستره .
- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ {الفتح : ١٠} . فأظهره بكاف الخطاب ، ثم ستره .
- وقال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ ﴾ {الأنفال : ١٧} . كما أنه مَيَّزَ ، وَعَيَّنَ ، وَفَرَّقَ .
- فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ {النساء : ٥٩} . أي : فردوه إلى الله حكماً ، وإلى الرسول عيناً .

– فمن أهل الله من يقيم مثل هذا – إذا ورد – نشأةً ذات روح وجسد ، فيستر بالحركة المحسوسة فعل الروح ، بصراً . ويستر

بالمحرك فعل الجسد ، بصيرة . وفيها يكون الإنسان خالقاً ، ويكون الحق أحسن الخالقين ، قال تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ {المؤمنون : ١٤} .

- ومن أهل الله من لا يرى إلا الله ، فلا ستر عنده .
- ومن أهل الله من لا يرى إلا الخلق ، فلا ظهور عنده .
- وكُلٌّ مُصيبٌ .
- وأهل الأدب هم الكُمَّل ، فيحكمون في هذا الأمر بما حكم الله ، من ستر وتجلٍّ ، وإخفاء وإظهار .

- يغار رسول الله ﷺ أن يكون واسطة بين الله وخلقه :

- قال رجل للنبي ﷺ : ما شاء الله ، وشئت . فقال له ﷺ : ﴿ **أَجَعَلْتَني لله نِدًا ؟ . قُلْ : مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ** ﴾ وفي رواية : ﴿ **لِيَقُلْ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ شِئْتَ** ﴾ . وفي رواية : ﴿ **قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ** ﴾ (١) .

١- رواه أحمد وابن ماجة والنسائي وابن مردويه والطحاوي وأبو نعيم والبخاري في الأدب المفرد والخطيب في تاريخ بغداد عن ابن عباس رضي الله عنهما .

- وقال ﷺ لمن جمع بينه ، وبين الله تعالى في ضمير واحد : ﴿**بِئْسَ الخطِيبُ أَنْتَ**﴾ (١) .

هذا من حيث التشريع . وله معنى آخر من حيث التحقيق ، وهو أنه ليس من الأدب مع الحق أن يضيفه المتكلم إلا لما أضافه الحق إلى نفسه ، أو أمر به رسوله ﷺ ، أو من آتاه الله علما من لدنه ، كالعبد الصالح المشار إليه باسم الخضر المنصوص عليه ، فهذا من ذلك الباب .

فلما كان هذا الخطيب عريًّا من العلم اللدني ، ولم يكن رسول الله ﷺ تقدم إليه في إباحة مثل هذا ، لهذا ذمَّه ، وقال : ﴿**بِئْسَ الخطِيبُ أَنْتَ**﴾ . فإنه كان ينبغي له أن لا يجمع بين الحق والخلق في ضمير واحد ، إلا بإذن إلهي من رسول ، أو علم لدني ، ولم يكن واحد من هذين الأمرين عنده ، فلهذا ذَمَّهُ رسول الله ﷺ .

وقد قال رسول الله ﷺ في خطبة خطبها ، فذكر الله تعالى فيها ، وذكر نفسه ﷺ ، ثم جمع بين ربه تعالى وبين نفسه ﷺ فيها في ضمير واحد ،

١- روى مسلم في صحيحه (واللفظ له) وأبو داود والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والشعب والأدب عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ : أَنَّ رَجُلا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : مَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿**بِئْسَ الخطِيبُ أَنْتَ . قُلْ : وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوِيَ**﴾ .

فقال : ﴿ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ ؛ فَقَدْ رَشَدَ . وَمَنْ يَعْصِهِمَا ، فَلا يَضُرُّ إِلا نَفْسَهُ ، وَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا ﴾ (١) . وهو ﷺ قال تعالى فيه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ {النَّجم : (٣ – ٤)} .

وكذا قال الخضر : ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ {الكهف : ٨١} . فجمع بين نفسه وبين الحق في ضمير واحد ، ثم قال : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ {الكهف : ٨٢} . يعني جميع ما فعله من الأعمال ، وجميع ما قاله من الأقوال ، في العبارة لموسى ﷺ عن ذلك ، فافهم .

١- روى الطبراني في الكبير والحافظ ابن حجر في فتح الباري عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ الْحَاجَةِ : ﴿ الحمْدُ لله نَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَلا يَضُرُّ إِلا نَفْسَهُ ، وَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئًا ﴾ . ومثاله ما صح عن النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في السنن والشعب وأبو يعلى وابن حبان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا .. ﴾ .

- ويغار الله تعالى أن يعرفه أحد إلا إن دخل عليه من باب رسول الله ﷺ :

فمنع أن يدخل عليه داخل إلا من بابه وعن طريقه ﷺ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ {آل عمران : ٣١} . فخبأ الله تعالى حبه ورضاه ومغفرته في رضا رسول الله ﷺ . وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ {النساء : ٨٠} . فخبأ طاعته تعالى في طاعة رسوله ﷺ .

وقد صح أنه ﷺ قال لمن قدم له معروفا : ﴿ **اللَّهُمَّ ، إِنَّ عَبْدَكَ هَذا يَتَرَضَّاكَ فَارْضَ عَنْهُ** ﴾ (١) . فالثابت أنه فَعَلَ المعروف برسول الله ﷺ ،

١- روى الطبراني في الصغير وأبو نعيم في أخبار أصبهان عن أنس ﷺ ، أن النبي ﷺ قال ذات يوم لغلام من الأنصار : ﴿ **نَاوِلْنِي نَعْلِي** ﴾ . فقال الغلام : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي اتركني حتى أجعلهما أنا في رجليك ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **اللَّهُمَّ ، إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا يَتَرَضَّاكَ ، فَارْضَ عَنْهُ** ﴾ . وروى البزار والبيهقي في الشعب والخطيب البغدادي في الأخلاق عن أنس ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ جالساً في حلقة فأراد القيام ، فقام غلام فتناول نعله ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **أَرَدْتَ رِضَا رَبِّكَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْكَ** ﴾ فكان لذلك الغلام شأن في المدينة حتى استشهد . وروى البيهقي في الشعب عن ثابت البناني ، قال : كان النبي ﷺ يوما يتوضأ ، وبإزاء النبي ﷺ غلام ، فمج النبي ﷺ ، فتلقى الغلام مجة النبي ﷺ ، فشربها . فقال النبي ﷺ : ﴿ **اللَّهُمَّ ، إِنَّ عَبْدَكَ يَتَرَضَّاكَ ، فَارْضَ عَنْهُ** ﴾ . مَج : لَفَظَ الماء ونحوه من فمه ، وطرحه وألقاه .

والحاصل أنه ﷺ نسب هذه الترضية لله تعالى .

فما أعظمها من نسبة بين الله ورسوله ﷺ ، تعجز عن دركها العقول ! .

التشهد

التَّشَهُّدُ على الحقيقة معناه الاستحضار ، فإنه على وزن (تَفَعُّل) من الشهود ، وهو الحضور . والإنسان مأمور بالحضور في صلاته ، فلا بد من التشهد .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا : السَّلَامُ عَلَى اللهِ قَبْلَ عِبَادِهِ ، السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ ، السَّلَامُ عَلَى مِيكَائِيلَ ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ . فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : **﴿إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ ، فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ : التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ . فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ ؛ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ يَتَخَيَّرْ بَعْدُ مِنْ الْكَلَامِ مَا شَاءَ﴾** (١) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وعبد الرزاق والطبراني والدارمي وأبو عوانة وأبو يعلى والدارقطني وابن حبان والبزار عن عبد الله بن مسعود ﷺ .

ولما كان المتشهد مخاطباً بالعلم بما يشهد به ، لم يصح الحضور ولا الاستحضار من غير علم المتشهد بمن يريد شهوده ، فلا يحضر معه من الحق إلا قدر ما يعلمه منه ، وما خوطب بأكثر من ذلك .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللهَ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – قِبَلَ وَجْهِهِ** (أي قبل وجه المصلي) **إِذَا صَلَّى**﴾ (١) . وفي رواية : ﴿**إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ**﴾ (٢) . فلما أعلمك رسول الله ﷺ بذلك ، واستيقنته استيقانا ، كأنك شهدته ، وجب عليك أن تخاطبه – تعالى – وتحييه ، فتقول : ﴿**التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ**﴾ .

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ : السلام هنا بالألف واللام ، للشمول والعموم ، أي بكل سلام ، وهذا يُؤْذِن بأنّ العبد – في تشهده – قد انتقل من مشاهدة ربه – من حيث الإطلاق – أو أمر ما من الأمور التي كان فيها في سجوده (٣)

١- رواه مالك والبخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد وعبد الرزاق وأبو عوانة عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٢- رواه البخاري في صحيحه وأحمد والبيهقي وأبو يعلى والحميدي وابن المنذر وابن الجارود والتبريزي في مشكاة المصابيح عن أنس رضي الله عنه .

٣- حيث ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : ﴿**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**﴾ . رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان وابن المنذر . ورواه البزار عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

إلى مشاهدة الحق في النبيِّ ﷺ ، فلما قدم عليه بالحضور ، سلم عليه – مخاطباً ، مواجهة – بالنبوة ، لم يسلم عليه بالرسالة ، فإن النبوّة في حق ذات النبيّ ﷺ أعمّ وأشرف ، فإنه يدخل فيها ما اخْتُصَّ به في نفسه ، وما أمر بتبليغه لأمته ، الذي هو منه رسول ، فعَمَّ ، وعَرَّفَ ما ينبغي أن يُخاطب به رسول الله ﷺ في ذلك الحضور .

اعلم أنك عندما تسلم على النبي ﷺ في قولك : ﴿**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ**﴾ فإنك تسلم على النبي ﷺ الحي السميع المجيب ، الذي قال : ﴿**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ ، إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي ، حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**﴾ (١) . ولذا فهو يرد عليك ، منك من مرتبة : ﴿**وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ**﴾ {الحجرات : ٧} . عندما أمرك أن تقول نيابة عنه : ﴿**السَّلَامُ عَلَيْنَا**﴾ .

السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ : فشمل الصالحين بالألف واللام ، ليصيب سلامه كل عبد صالح لله في السموات والأرض ، ولا ينوي من الصالحين ما هو المعهود في العرف ، فما ثم إلا صالح . فإن الله يقول : ﴿**وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ**﴾ {الإسراء : ٤٤} . فكل شيء ينزه ربه ، فهو صالح ، فَانْوِ بالصالحين ؛ الذين استُعْمِلُوا فيما صَلحوا له ، وليس سوى

١- رواه أبو داود وأحمد والبيهقي في السنن والشعب والطبراني في الكبير والأوسط وابن راهويه والأصبهاني في أخبار أصبهان والتبريزي في مشكاة المصابيح عن أبي هريرة ﷺ .

التسبيح ، فإن الله أخبر عنهم أنهم بهذه الصفة ، فلم يبق كافر ولا مؤمن ؛ إلا وقد شملت تفاصيله هذه الآية ، ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ {الإسراء : ٤٤} . لأنهم لا يسمعون ولا يشهدون ، وقد عذرهم الله تعالى بجهلهم ، وختم الآية بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ {الإسراء : ٤٤} .

الصلاة على النبي ﷺ

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٥٦} . فعندما نصلي عليه نقول : اللهم صل ... فنحن نعجز من حيث (نحن) أن نصلي عليه من حيث (هو) . والملائكة تصلي عليه وهي لا تعلمه . فنحن نوكل الله تعالى أن يصلي عليه ، لأنَّا لا نقدر على ذلك . والله تعالى دائم الصلاة عليه ، وأتى بالفعل المضارع في ﴿يُصَلُّونَ﴾ ليدلك على ذلك .

- والفرق بين أن يصلي الله تعالى عليه الصلاة الدائمة ، وبين أن يصلي عليه لصلاتنا نحن عليه ، هو انعكاس تلك الصلاة علينا نحن ، وصلاته تعالى علينا ، لقوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ {الحجرات : ٧} . وذلك تفسير قوله ﷺ : ﴿ **صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا** ﴾ (١) .

١- رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي وأحمد والنسائي والبيهقي في السنن وأبو عوانة وعبد بن حميد والطبراني والبزار عن ابن عمرو ﷺ . والترمذي عن ابن مسعود ﷺ . والترمذي عن أبي هريرة ﷺ . والطبراني في الكبير وابن حبان عن أبي طلحة ﷺ . والطبراني في الكبير عن ابن عمر ﷺ . والطبراني في الأوسط وابن السني في عمل اليوم والليلة عن أنس بن مالك ﷺ . والبيهقي في الشعب عن عامر بن ربيعة ﷺ .

- وعندما تطلب له ﷺ مقام الوسيلة الذي لاينبغي إلا لواحد (١) ، فإنك تطلبه لنفسك ، لأنه ﷺ أخبر أنك إذا دعوت بذلك له ، أَمَّنَت الملائكة ، وقالت : ﴿وَلَكَ بِمِثْلٍ﴾ (٢) .

فحقيقة الحال هي أن الصلاة والسلام على النبي ﷺ في الصلاة ، وفي غيرها ، هي دعاء من العبد لسيدنا محمد ﷺ بظهر الغيب ، فشرع ذلك رسول الله ﷺ ، وأمر بها الله تعالى ﷺ ، ليعود هذا الخير على المصَلِّي عليه من أمّته ﷺ . ومن هنا لما قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْب ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿مَا شِئْتَ﴾ . قَالَ أُبَيُّ : الرُّبُعَ ؟ . قَالَ ﷺ : ﴿مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ﴾ قَالَ أُبَيُّ : النِّصْفَ ؟ . قَالَ ﷺ : ﴿مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ﴾ . قَالَ أُبَيُّ : فَالثُّلُثَيْنِ ؟ . قَالَ ﷺ : ﴿مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ﴾ . قَالَ أُبَيُّ : أَجْعَلُ

١- حديث : ﴿سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجنَّةِ ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ﴾ . رواه مسلم في صحيحه والنسائي والبيهقي في السنن وابن خزيمة وأبو عوانة وعبد بن حميد والطبراني والبزار عن ابن عمرو ﷺ . والترمذي عن أبي هريرة ﷺ .

٢- حديث : ﴿مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ؛ قَالَ الْمَلَكُ الموَكَّلُ بِهِ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلٍ﴾ . رواه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والشعب والطبراني في الكبير وعبد بن حميد والبخاري في الأدب عن أم الدرداء عن زوجها ﷺ .

لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ؟ . قَالَ ﷺ : ﴿ إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ ﴾ (١) .

قَالَ عَبْدُ الله ابن مسعود ﷺ : ﴿ إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَحَسِّنُوا الصَّلاةَ عَلَيْهِ – وفي لفظ : فَأَحْسِنُوا الصَّلاةَ عَلَيهِ – فإِنكُمْ لا تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَعَلَّمَنَا ، قَالَ : قُولُوا : اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلاتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ المْرْسَلِينَ ، وَإِمَامِ المتَّقِينَ ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، إِمَامِ الخيْرِ ، وَقَائِدِ الخيْرِ ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (٢) .

وتحسين الصلاة عليه في هذا الحديث الموقوف الوارد عن هذا الصحابي الجليل ، يفتح باب الاجتهاد في الصلاة على النبي ﷺ ، كل حسب علمه في النبي ﷺ ، وكل طبقا لمشهده منه ﷺ . وهذا يفسر لك ورود صيغ كثيرة عن شيوخ الصوفية للصلاة على النبي ﷺ ، فكل منهم له في صلاته هذه سر طريقه إلى الله تعالى ، لأنه لا دخول على الله تعالى إلا من باب

١- رواه الترمذي وصححه والحاكم وصححه وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد وابن شاهين والتبريزي وابن عساكر عن أبي بن كعب ﷺ . وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في المعرفة عن حبان بن منقذ ﷺ .

٢- رواه ابن ماجة والطبراني والبيهقي وأبو يعلى والشاشي والمنذري في الترغيب والترهيب .

النبي ﷺ ، ولا وصول إلا إلى النبي ﷺ ، إذ هو ﷺ الحجاب الأعظم . ومن هنا قال من قال : [اللهم إنه سرك الجامع لكل الأسرار ، ونورك الواسع لجميع الأنوار ، ودليلك الدال بك عليك ، وقائد ركب عوالمك إليك ، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك ، فلا يصل واصل إلا إلى حضرته المانعة] .

لما نزل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾ {الأحزاب : ٥٦} . سأل المؤمنون رسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله أن يصلوها عليه .

فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْد : أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ . قَالَ : فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ **قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** ﴾ (١) .

١- بهذا اللفظ رواه مالك في الموطأ ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد والبيهقي وعبد الرزاق والحاكم وصححه والطبراني وأبو عوانة والدارقطني وابن حبان .

اعلم أن الله تعالى في كتابه الكريم ، أمرنا بالصلاة على رسول الله ﷺ ، ولم يأمرنا بالصلاة على آله ، في القرآن ، وجاء الإعلام بذلك ، في تعليم رسول الله ﷺ إيانا الصلاة عليه ، بزيادة الصلاة على الآل .

فما طلب ﷺ ، الصلاة من الله عليه ، مثل صلاته تعالى على إبراهيم ، من حيث أعيانهما . فإن العناية الإلهية برسول الله ﷺ أتم ، إذ قد خُصَّ بأمور لم يُخَصُّ بها نبيٌّ قبله ، لا إبراهيم ولا غيره ، وذلك من صلاته تعالى عليه ، فكيف يطلب الصلاة من الله عليه ، مثل صلاته على إبراهيم ، من حيث عينه ؟ . وإنما المراد من ذلك ما أبينه إن شاء الله تعالى .

وذلك أن الصلاة على الشخص ، قد تُصلى عليه من حيث عينه ، ومن حيث ما يضاف إليه غيره . فكأن الصلاة – من حيث ما يضاف إليه غيره – هي الصلاة من حيث المجموع ، إذ للمجموع حكم ليس للآحاد إذا انفردوا .

اعلم أن آل الرجل – في لغة العرب – هم خاصته الأقربون إليه .

وخاصة الأنبياء ، وآلهم ، هم الصالحون ، العلماء بالله ، المؤمنون به .

وقد علمنا أن إبراهيم عليه السلام ؛ كان من آله أنبياء ورسل لله ، ومرتبة النبوّة والرسالة قد ارتفعت في الشاهد في الدنيا ، فلا يكون بعد رسول الله ﷺ في أمّته نبيّ ولا رسول ، يشرّع الله له ، خلاف شرع سيدنا محمد ﷺ ، وما منع

المرتبة ، ولا حجرها من حيث لا تشريع ، ولاسيما وقد قال ﷺ فيمن قَرَأَ القرآن أن النبوّة أدرجت بين جنبيه (١) ، وقال في المبشرات أنها هي ما بقي من النبوّة (٢) ، فوصف بعض أمّته بأنهم قد حصل لهم المقام ، وإن لم يكونوا على شرع يخالف شرعه .

ومعلوم أن آل إبراهيم من النبيين والرسل الذين كانوا بعده ، مثل إسحق ويعقوب ويوسف ، ومن انتسل منهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام ، بالشرائع الظاهرة الدالة على أن لهم مرتبة النبوّة عند الله ، أراد رسول الله ﷺ أن يلحق أمّته ، وهم آله العلماء الصالحون من أمته ، بمرتبة النبوّة عند الله ، وإن لم يشرعوا ، ولكن أبقى لهم من شرعه ضرباً من التشريع ، فقال ﷺ : **﴿ قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ .**

١- قال رسول الله ﷺ : **﴿ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ ؛ فَقَدِ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ ، غَيرَ أَنَّهُ لا يُوحَى إِلَيْهِ ﴾** . رواه ابن أبي شيبة والحاكم وصححه والبيهقي وابن المبارك والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه وتمام في فوائده والمروزي في قيام الليل وابن عساكر في تاريخه عن ابن عمرو ﷺ .

٢- قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿ إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ ﴾** . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : **﴿ لَكِنْ المُبَشِّرَاتُ ﴾** . قَالُوا : يَا رَسُولَ الله وَمَا المُبَشِّرَاتُ ؟ . قَالَ : **﴿ رُؤْيَا المُسْلِمِ ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ ﴾** . رواه البخاري في صحيحه وابن أبي شيبة والنسائي عن أبي هريرة ﷺ . والترمذي وأحمد والحاكم وصححه عن أنس بن مالك ﷺ . وابن ماجة وأحمد عن أم كرز الكعبية رضي الله عنها . والطبراني عن حذيفة بن أسيد ﷺ .

وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (١) .

أي قولوا : (اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد) ، أي صل عليه من حيث ما له من آل ، (كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) ، أي من حيث أنك أعطيت آل إبراهيم النبوّة ، تشريفاً لإبراهيم ، فظهرت نبوّتهم بالتشريع ، وقد قضيت أن لا شرع بعدي ، فصل عليّ ، وعلى آلي ، بأن تجعل لهم مرتبة النبوّة عندك ، وإن لم يشرعوا .

فكأن من كمال رسول الله ﷺ ؛ أن ألحق آله بالأنبياء في المرتبة ، وزاد على إبراهيم عليه السلام بأنّ شرعه لا يُنسخ ، وبعض شرع إبراهيم ومن بعده نسخت الشرائع بعضها بعضاً .

وما علَّمنا رسول الله ﷺ ، الصلاة عليه على هذه الصورة ، إلا بوحي من الله ، وبما أراه الله ، وأن الدعوة في ذلك مجابة ، فقطعنا أن في هذه الأمّة من لحقت درجته درجة الأنبياء في النبوة عند الله ، لا في التشريع .

ولهذا بَيَّنَ رسول الله ﷺ ، وأكد بقوله : ﴿**فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ**﴾(٢) .

فأكد بالرسالة ، من أجل التشريع .

١- بهذا اللفظ رواه مالك في الموطأ ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد والبيهقي وعبد الرزاق والحاكم وصححه والطبراني وأبو عوانة والدارقطني وابن حبان .

٢- رواه الترمذي وصححه وأحمد والحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ {البقرة : ١٤٣} . فأكرم الله رسوله ﷺ ، بأن جعل آله شهداء على أمم الأنبياء ، كما جعل الأنبياء شهداء على أممهم ، ثم أنه خص هذه الأمّة – أعني علماءها – بأن شرع لهم الاجتهاد في الأحكام ، وقرّر حكم ما أدّاه إليه اجتهادهم ، وتعبدهم به ، وتعبد من قلدهم به ، كما كان حكم الشرائع للأنبياء ومقلديهم ، ولم يكن مثل هذا لأمّة نبيٍّ ، ما لم يكن نبيًّا بوحيٍّ منزَّلٍ .

فجعل الله وحي علماء هذه الأمة في اجتهادهم ، كما قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ {النساء : ١٠٥} . فالمجتهد ما حكم إلا بما أراه الله في اجتهاده ، فهذه نفحات من نفحات التشريع ، ما هو عين التشريع .

فلآل سيدنا محمد ﷺ – وهم المؤمنون من أمته ، العلماء – مرتبة النبوّة عند الله ، تظهر في الآخرة ، وما لها حكم في الدنيا إلا هذا القدر من الاجتهاد المشروع لهم ، فلم يجتهدوا في الدين والأحكام إلا بأمر مشروع من عند الله .

حياة النبي ﷺ بعد انتقاله :

- قَالَ ﷺ : ﴿إِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَكًا ، أَعْطَاهُ أَسْمَاءَ الخلَائِقِ ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا أَبْلَغَنِي بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ ، قَالَ : صَلَّى عَلَيْك فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، كَذَا وَكَذَا ، فَيُصَلِّي الرَّبُّ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ بِكُلِّ وَاحِدٍ عَشْرًا﴾ (١) .
- وقال ﷺ : ﴿أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الزَّهْرَاءِ وَالْيَوْمِ الأَزْهَرِ ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ﴾ (٢) . الليلة الزهراء واليوم الأزهر : أي ليلة الجمعة ويومها .
- وَقَالَ ﷺ : ﴿مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ ، إِلَّا رَدَّ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيَّ رُوحِي ، حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَام﴾ (٣) .
- وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ،

١- رواه البزار والطبراني في الكبير وأبو الشيخ في العظمة وابن المقرئ في معجمه وابن عساكر والبخاري في التاريخ عن عمار بن ياسر رضي الله عنه .

٢- رواه الطبراني في الكبير عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٣- رواه أبو داود (وقال الحافظ ابن حجر في الفتح عن رواته أنهم ثقات) وأحمد والبيهقي في السنن والشعب وابن راهويه والتبريزي في مشكاة المصابيح وأبو نعيم في أخبار أصبهان وابن عساكر في تاريخه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فِيهِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ﴾ . قَالُوا : يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ ؟ . يَقُولُونَ : بَلِيتَ . فَقَالَ : **﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ﴾** (١) .

- ورواية أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الجمُعَةِ ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ ، تَشْهَدُهُ الملَائِكَةُ ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا﴾** . قُلْتُ : وَبَعْدَ الموْتِ ؟ . قَالَ : **﴿وَبَعْدَ الموْتِ ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَنَبِيُّ اللهِ حَيٌّ يُرْزَقُ﴾** (٢) .

١- رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في السنن والشعب وابن أبي عاصم والحاكم في المستدرك وصححه والطبراني في الكبير والدارمي وابن حبان وابن خزيمة والبزار عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه .

٢- رواه ابن ماجة وصححه في زوائده والتبريزي في مشكاة المصابيح والمزي في تهذيب الكمال . قال السندي في حاشيته على ابن ماجة : [قَوْله : **﴿فَنَبِيُّ اللهِ حَيٌّ يُرْزَق﴾** : صَلَوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِ ؛ يَحْتَمِل الْإِضَافَة فِي قَوْله نَبِيّ الله ، لِلِاسْتِغْرَاقِ . وَيَحْتَمِل أَنَّهَا لِلْعَهْدِ ، وَالمرَاد نَفْسه ، وَهُوَ الظَّاهِر . ثُمَّ هَذَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُشَكَّ فِيهِ ، فَقَدْ جَاءَ مِثْله فِي حَقِّ الشُّهَدَاء ، فَكَيْف الْأَنْبِيَاء ! . وَقَدْ جَاءَ فِي حَيَاة الْأَنْبِيَاء أَحَادِيث مِنْ جُمْلَتهَا ، أَنَّهُ ﷺ رَأَى مُوسَى يُصَلِّي فِي قَبْره ، وَغَيْر ذَلِكَ] اهـ .

فهذا الإحياء له ﷺ ، قد تم بصلاتك وتسليمك عليه ؛ ولا يخلو الكون كله – في أي لحظة – من صلاة وتسليم عليه ، فلذلك فهو ﷺ حي على الدوام . هذا في الظاهر ، وبالدليل النقلي والعقلي .

أما عندنا فالمعنى الظاهر على ما هو عليه ، ويزيد عليه المعنى الباطن ، وهو أنك بجثمانيتك قبره ﷺ ، وأنك بصلاتك وتسليمك عليه تحييه في داخلك ، فإذا ظهر هو فيك ؛ تفنى أنت عنك ، ويكون هو فيك نيابة عنك ، فتستقبل من الله تعالى بقابليته هو ، وليس بقابليتك أنت ، وعلى قدره هو ، ليس على قدرك أنت ، ومن هنا كنت أنت – بصلاتك عليه – أولى الناس به ، كما ورد في الحديث : ﴿**أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً**﴾ (١) . ولفظ أولى الناس بي تحتمل معان كثيرة ، والمعنى المقصود بها هنا : أن تصبح أنت منه ، وهو منك .

وهذا يشرح قول بعض السادة ﷺ : (**لو حُجِبَ عَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرْفَةَ عَينٍ ، ما عَدَدْتُ نَفْسِي مِنَ المُسْلِمِين**) على ما بيناه في مواضع كثيرة من هذا الكتاب .

ونلقي الضوء في الصفحات التالية على بعضٍ من معاني صلاة الفاتح وجوهرة الكمال ، وهما أساس الطريق التجاني المبارك .

١- رواه الترمذي وحسنه وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وأبو يعلى وابن حبان والشاشي والتبريزي والبخاري في التاريخ عن ابن مسعود ﷺ .

صلاة الفاتح :

﴿ اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، الفَاتِحُ لِمَا أُغْلِقَ ،

وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ ، نَاصِرِ الحَقِّ بِالحَقِّ ،

وَالهَادِي إلى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ ، وَعَلى آلِهِ ،

حَقَ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ العَظِيمِ ﴾

- ﴿ اللهم صل على سيدنا محمد ﴾ :

لما أمر الله – سبحانه – عبيده بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٥٦} . توجه العبيد إليه تعالى – استجابةً وتنفيذاً لأمره – رافعين أكُفَّ الفقر والضراعة ، لأنه – سبحانه – سألهم من أنفسهم ما لا يملكونه إلا به تعالى ، وقال الحق عنهم على لسانهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾ {يوسف : ٨٨} . فنطقت ألسنة الصوامت منهم قائلة :

اللهم إنا قد عجزنا من حيث إحاطة عقولنا ، وغاية أفهامنا ، ومنتهى إرادتنا ، وسوابق هممنا ، أن نصلي عليه من حيث هو ، وكيف نقدر على ذلك ، وقد جعلت كلامك خلقه ، وأسماءك مظهره ، ومنشأ كونك منه ، وأنت ملجؤه وركنه ، وملؤك الأعلى عصابته ونصرته ، فصل اللهم عليه من حيث تعلق قدرتك بمصنوعاتك ، وتحقق أسمائك بإرادتك ، منه ابتدأت المعلومات ، وإليه جعلت غاية الغايات ، وبه أقيمت الحجج على المخلوقات ، فهو أمينك ، خازن علمك ، حامل لواء حمدك ، معدن سرك ، مظهر عزك ، نقطة دائرة ملكك ، ومحيطه ومركبه وبسيطه .

فالكون – كله – شغله الشاغل ؛ هو الصلاة على النبي ﷺ ، لأنه ﷺ هو إنسان عين الكل في حضرة الوحدانية ، وجمع جمع الأحدية ، من حيث إحاطة قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾ {الأحزاب : (٤٥ – ٤٧)} . فكان المُبَشِّرُ عين المُبَشَّرِ به .

- **﴿ الفاتح لما أغلق ﴾ :**

وهو على عدة معان ، نذكر منها :

أولا – أنه ﷺ هو الفاتح لما أغلق من صور الأكوان ، فإنها كانت مغلقة

في حجاب البطون وصورة العدم ، وفُتحت مغاليقها بوجوده ﷺ ، وخرجت من صورة العدم إلى صورة الوجود ، ومن حجابية البطون إلى عالم الظهور . إذ لولاه ﷺ ما خلق الله موجودا ، ولا أخرجه من العدم إلى الوجود .

ثانيا – أنه تعالى فتح بسببه ﷺ على الخلق ، مغاليق الرحمة الإلهية ، ولولا أن الله تعالى خلق سيدنا محمد ﷺ ؛ ما رحم مخلوقا ، فالرحمة من الله تعالى لخلقه بسبب نبيه ﷺ .

ثالثا – أنه تعالى فتح بسببه ﷺ على الخلق أنواع الخيرات ، وأبواب السعادات الدنيوية والأخروية ، وبين لأمته ما أوحي إليه ، أو فتح بحكمته ما انغلق عليهم فهمه من أمورهم ودينهم .

رابعا – وهو ﷺ الفاتح ، لأنه افتتح النبوة ، فكان ﷺ نبيا وآدم عليه السلام منجدل في طينته (١) .

١- عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : ﴿**إِنِّي عَبْدُ اللهِ ، فِي أُمِّ الْكِتَابِ ، لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ . وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ : دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ : أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ**﴾ . رواه أحمد والحاكم وصححه والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين والبيهقي في الدلائل وابن حبان في صحيحه وابن بشران في أماليه والتبريزي في المشكاة والبخاري في التاريخ والقاضي عياض في الشفا وابن سعد في الطبقات الكبرى وابن عساكر في تاريخه والذهبي في تاريخ الإسلام (وقال : إسناده حسن إن شاء الله) .

خامسا – وهو ﷺ الفاتح للأنوار ، لأن أول ما خلق الله نور النبي ﷺ (١) .

سادسا – وهو ﷺ أول من يفتح باب الجنة ، لأنه ﷺ أمر خازن الجنة أن لا يفتح لأحد قبله (٢) .

فهو سيد السادات ، ومراد الإرادات ، وحبيبه تعالى المكرم بالكرامات ، والمؤيَّد بالنصر والسعادات ، السر الظاهر ، والنور الباهر ، الجامع لجميع الحضرات ، صاحب لواء الحمد ، الذي هو مفتاح أقفال الأعطية الإلهيات .

وهو الفاتح لكل شاهد حضرة المشاهد ، الذي أسري بجسمه الشريف الحاوي لجميع الكمالات ، وعُرِجَ بروحه الأقدس العالي إلى أعلى المقامات ، وخاطبه ربه وأكرمه بأعظم التحيات ، فهو النور الأبهر ، والسراج المنير الأزهر ، القائم بكمال العبودية في حضرة المعبود مع أتم العبادات .

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء ؟ . فقال ﷺ : ﴿ **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورُ نَبِيُّكَ يَا جَابِرُ** ﴾ . رواه عبد الرزاق الصنعاني بسنده عن معمر عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الخازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ . فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ . فَيَقُولُ . بكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ** ﴾ رواه مسلم في صحيحه وأحمد والبيهقي في الدلائل وأبو عوانة وعبد بن حميد وابن بشران في أماليه وابن منده في الإيمان وابن المبارك في الزهد والآجري في الشريعة والتبريزي في مشكاة المصابيح .

وهو ﷺ نور الأسماء ، المتشعع بالأسماء في حضرة المسَمَّى ، فكان هو :

- عين مظاهرها الوجودية ، من حيث إحاطة علمه تعالى .
- وعين أسرارها الجودية ، من حيث إحاطة كرمه .
- وعين اختراعاتها الكلية الكونية ، من حيث إحاطة إرادته .
- وعين مقدوراتها الجبروتية ، من حيث إحاطة قدرته وقهره .
- وعين إنشاءاتها الإحسانية ، من حيث إحاطة سعة رحمته .

فأَنِلنا اللهم من بركاته ، وافتح اللهم أقفال قلوبنا بمفاتيح حبه ، وكحل أبصار بصائرنا بإثمد نوره ، وطهر أسرار سرائرنا بمشاهدته وقربه ، حتى لا نرى في الوجود إلا أنت ، بِهِ ، ومن نوم غفلتنا ننتبه .

- **﴿ والخاتم لما سبق ﴾ :**

وهو على عدة معان :

- فهو ﷺ الخاتم لما سبق من النبوة والرسالة ، لأنه ختمها وأغلق بابها ، فلا مطمع لأحد فيها بعده .
- وكذا فهو ﷺ الخاتم لما سبق ، من صور التجليات الإلهية ، التي تجلى الحق سبحانه وتعالى بصورها في عالم الظهور ، لأنه ﷺ أول موجود

أوجده الله تعالى في العالم ، من حجاب البطون وصور العماء الرباني ، ثم مازال يبسط صور العالم بعدها ، في ظهور أجناسها ، بالترتيب القائم على المشيئة الربانية ، جنسا بعد جنس ، إلى أن كان آخر ما تجلى به في عالم الظهور ؛ الصورة الآدمية على صورته ﷺ ، وهو المراد بالصورة الآدمية ، فكما افتتح به ظهور الوجود ؛ كذلك أغلق به ظهور صور الموجودات ﷺ .

- وبعبارة أخرى أن أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب هو روح سيدنا محمد ﷺ ، ثم أخرج الله تعالى أرواح العالم من روحه ﷺ ، والروح هنا هي الكيفية التي بها مادة الحياة في الأجسام ، وخلق من روحه ﷺ النورانية والظلمانية ، لأنه ﷺ له نسبتين أفاضهما على الوجود كله ، فالنسبة الأولى نسبة النور المحض ، ومنه خلقت الأجسام النورانية والجنة وجميع درجاتها . والنسبة الثانية هي نسبة الظلام ، ومن هذه النسبة خلقت الأجسام الظلمانية والجحيم ودركاتها . فهذه نسبة العالم كله إلى روحه ﷺ .

فهو ﷺ السيد الكامل ، الفاتح الخاتم ، الحبيب الشفيع ، الرؤوف الرحيم ، الصادق الأمين ، السابق للخلق نوره ، والرحمة للعالمين ظهوره ، وهو الأول في الإيجاد والوجود ، ومن به ختم الله النبوة والرسالة والسؤدد ، نور عين العنايات ، وسيد أهل الأرضين والسماوات .

- ﴿ناصر الحق بالحق﴾ :

وهذا على معنيين :

- أن يكون الحق في اللفظين هو الله تعالى ، كقوله : ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ {محمد : ٧} .
- أو أن يكون الحق الأول هو الله تعالى ، والحق الثاني هو سيدنا محمد ﷺ ، فهو ﷺ القائل : ﴿وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ﴾ (١) .

فاللهم صل على حقيقة حقك ، وصفوتك من خلقك . الذي بنوره حُمِلَت حَمَلَةُ عرشك ، وبسره رُفعت سماواتك ، وبُسطت أرضك ، فهو سماء سمائك ، وعناية عيون إحسانك ، ومظهر عزك وسلطانك ، فأنت العليم به من حيث الحق والحقيقة ، فصل رب عليه من حيث حقيقة علمك بذلك ، وتحققه لما هنالك .

١- هذا جزء من الحديث المروي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أنه كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ : ﴿اللَّهُمَّ لَكَ الحمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحمْدُ أَنْتَ الحقُّ ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالجنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ﴾ . رواه البخاري في صحيحه والنسائي وابن ماجة وعبد الرزاق والدارمي وأبو عوانة والحميدي وابن خزيمة وابن منده وأبو نعيم في الحلية .

اللهم صل على المتخلق بصفاتك ، المستغرق في مشاهدة ذاتك ، الحق المتخلق بالحق ، حقيقة الحق : ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ ﴾ {يونس : ٥٣} . ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ {الذاريات : ٢٣} .

- **﴿ والهادي إلى صراطك المستقيم ﴾ :**

- ومعناه أنه ﷺ هو الذي يهدي جميع العباد إلى دين الله القويم ، الذي لا تبديل فيه ولا تغيير ، ولا زيادة ولا نقصان ، كما قال تعالى في حقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ {الشورى : (٥٢ – ٥٣)} .

- والمعنى الثاني من قوله تعالى : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ {النور : ٣٥} . يهدي الله لنوره (سيدنا محمد ﷺ) من يشاء من خلقه ، فالصراط المستقيم هو النبي ﷺ ، وسُمِّي به لكونه طريقاً موروداً إلى الحق ، فلا وصول لأحد إلى الحضرة القدسية ، وذوق أسرارها ، والابتهاج بأنوارها ، إلا بالسلوك عليه ، وهو باب الله الأعظم ، وهو الصراط المستقيم إلى الله تعالى ، فمن رام من السالكين الوصول إلى الله تعالى ،

في حضرة جلاله وقدسه ، معرضا عن حبيبه ﷺ ؛ طُرِدَ ولُعِنَ ، وسُدَّت عليه الطرق والأبواب ، ورُدَّ بعصا الأدب إلى اسطبل الدواب .

قال تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ {التوبة : ٦} .

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ : المشركون هنا : هم المقصودون في قوله تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ {يوسف : ١٠٦} . فالمشركون هنا هم عوام المؤمنين ، وهم من يرى في الوجود غير الله .

﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ : أي طلب جوارك يا محمد ، والجوار المطلوب هنا هو الفناء في الله ورسوله .

﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ : أي فأعلمه أنك مظهر الله ، الذي يسمع منه من الله تعالى .

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ : ولا مأمن إلا عندما يكون الحق تعالى هو سمعه وبصره ، ويده ولسانه ، وكله ، وجزءه : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ {الحجرات : ٧} . وقوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ {الحديد : ٤} .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ : أي محجوبون عنَّا فيك ، أو حَجَبتهم بشريتك عن ربوبيتك ، أو حجبتهم عبوديتك عن ألوهيتك ، أو حجبهم قول الله : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ عن قوله تعالى : ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ {الكهف : ١١٠} . وقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ عن قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح : ١٠} .

فاللهم صل على سرك الجامع الدال عليك ، سيدنا محمد المصطفى ، كما هو لائق ، بك منك إليه ، وسر بنا في سبيله القويم ، وصراطه المستقيم ، إلى حضرته المتصلة بحضرتك القدسية ، واجعل اللهم روحه سر حقيقتي ذوقا وحالا ، وحقيقته جامع عوالمي في مجامع معالمي حالا ومآلا . لأنه السر المصون ، والجوهر الفرد المكنون .

فهو الياقوتة المنطوية عليها أصداف مكنوناتك ، والغيهوبة المنتخب منها معلوماتك ، فكان غيبا من غيبك ، وبدلا من سر ربوبيتك ، حتى صار بذلك مظهرا نستدل به عليك ، فكيف لا يكون كذلك ؛ وقد أخبرتنا بذلك في محكم كتابك ، بقولك : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ {الفتح : ١٠} . فزال عنا بذلك الريب ، وحصل الانتباه ، فاجعل اللهم دلالتنا عليك به ، ومعاملتنا معك من أنوار متابعته .

- ﴿ وعلى آله ﴾ :

سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مَن آل محمد ؟ . فقال : ﴿ كُلُّ تَقِيٍّ ﴾ . وتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ {الأنفال : ٣٤} (١) .

- ﴿ حق قدره ومقداره العظيم ﴾ :

قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ {الأنعام : ٩١} . أي صل اللهم عليه ، على قدر ما منحته من عظيم إفضالك ، في قولك : ﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ {النساء : ١١٣} . وقولك : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ {الضحى : ٥} .

فصل اللهم عليه على قدر مقامه العظيم لديك ، ومقداره الرفيع عندك . كيف لا ! وهو ﷺ السبب في وجود كل موجود (٢) ، ومن نوره كان كل نور موهوب .

١- رواه البيهقي في السنن والطبراني في الأوسط والصغير وتمام في فوائده عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

٢- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ لما اقْتَرَفَ آدَم الخطِيئَةَ ، قَالَ : يَا رَبِّ أَسْأَلُك بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَا غَفَرْتَ لِي ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : وَكَيْفَ عَرَفْت مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟ . قَالَ : يَا رَبِّ لِأَنَّك لما خَلَقْتَنِي ، وَنَفَخْت فِي مِنْ رُوحِك ، رَفَعْتُ رَأْسِي ، فَرَأَيْتُ فِي قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ، فَعَرَفْت أَنَّك لَمْ تُضِفْ إِلَى نَفْسِك إِلَّا أَحَبَّ الخلْقِ إِلَيْك ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : صَدَقْت =

فاللهم صل عليه حتى لا تبقى صلاة ، وبارك عليه حتى لا تبقى بركة ، وسلم عليه حتى لا يبقى سلام ، وارحمه حتى لا تبقى رحمة ، وكما هو أهله ومستحقه ، صلاةً أنت لها أهل ، وهو لها أهل ، فصل على سيدنا محمد كما هو أهله ومستحقه .

فضل صلاة الفاتح :

قال القطب المكتوم ، والختم المحمدي المعلوم ، سيدي أحمد التجاني ، رضي الله عنه وعنا به :

[كل أعمار الناس ذهبت مجانا ، إلا أعمار أصحاب الفاتح لما أغلق ، فإنها فازت بالربح دنيا وأخرى ، ولا يتصل بها إلا سعيد ، وخاصية صلاة الفاتح أمر إلهي ، لا مدخل فيه للعقل ، فلو قدرت مائة ألف أمة ، في كل أمة مائة ألف قبيلة ، في كل قبيلة مائة ألف رجل ، وعاش كل رجل منهم مائة ألف سنة ، يذكر كل واحد منهم مائة ألف صلاة على النبي ﷺ ، من غير صلاة الفاتح ، وجمعت ثواب هذه الأمم كلها ، في هذه السنين كلها ، في هذه الأذكار كلها ، ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح] .

= **يَا آدَم : إِنَّهُ لَأَحَبُّ الخلْقِ إِلَيَّ ، إِذْ سَأَلْتَنِي بِهِ فَقَدْ غَفَرْت لَك ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُك** ﴾ . رواه الحاكم في المستدرك وصححه والطبراني في الأوسط والصغير والبيهقي في الدلائل والآجري في الشريعة وابن عساكر في تاريخه عن عمر بن الخطاب ﷺ .

وقد ذكر الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ ؛ أن الاسم الأعظم الكبير ، قد اشتملت عليه صلاة الفاتح ، بجميع حروفه .

صلاة الفاتح هي الصلاة الوحيدة ، والصيغة الفريدة التي لم يرد فيها التسليم على رسول الله ﷺ ، فهي الصلاة التي اختصها الله تعالى ، فصلى بها في أزله القديم ، على رسوله الكريم ، كما في الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ ولم يأت بلفظ السلام ، فلم يقل ويسلمون .

ولكن السلام على رسول الله ﷺ ؛ أمر به المؤمنين في عجز الآية ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٥٦} . أما الله والملائكة فيصلون فقط بهذه الصلاة الكافية الشافية .

وإن استكثرت أن يكون كل هذا الفضل ، لصيغة من صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ ؛ فقد ورد في الحديث عَنْ سيدنا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ ، قَالَ : كُنْت مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَأَطْلَقَ وَجْهَهُ ، وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ وَنَهَضَ ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا الرَّجُلُ يُرْفَعُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ كَعَمَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ** ﴾ . قُلْت : وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ . قَالَ : ﴿ **إِنَّهُ كُلَّمَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى ؛ صَلَّى عَلَيَّ**

كَصَلَاةِ الخلْقِ أَجْمَعَ ، يَقُولُ عَشْرَ مَرَّاتٍ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ، عَدَدَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِك ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ، كَمَا أَمَرْتنَا أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ، كَمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ﴾ (١) .

وورد عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أنه قَالَ : ﴿مَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ سَبْعِينَ صَلَاةً . فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ لِيُكْثِرْ﴾ (٢) . فانظر كم عدد الملائكة ، ثم اضرب ذلك في سبعين ، وانظر فضل الله الواسع الذي يعطيه للمصلي على رسول الله ﷺ .

واعلم أن فضل الله أوسع من ذلك بكثير والله أعلم .

فمن كان له إذن صحيح ، بقراءة صلاة الفاتح مرة ، يعطي الله له مثل ما أعطى لأصناف الخلق ، من النشأة إلى وقت تلفظه بها ، وزيادة ٦٠٠٠٠ ألف ضعف ، وفي المرة الثانية كذلك ، مجموع لها الـ ٦٠٠٠٠ ضعف لصلاة الفاتح في المرة الأولى ، وكذلك يسري التضعيف في الثالثة ، مجموع له ثواب صلاة الفاتح في المرتين الأولى والثانية ، وهذا التضعيف من يوم أخذ العهد بالدخول في الطريق ، إلى آخر عمره ، بلا انقطاع

١- رواه الدار قطني في الأفراد وابن النجار في تاريخه .

٢- رواه أحمد في مسنده وقال الهيثمي : إسناده حسن والتبريزي في مشكاة المصابيح وابن عساكر في تاريخه .

للتضعيف ، وذلك إن قرأها بغير نية الاسم ، أما إذا قرأها بنية الاسم ؛ ضوعفت تلك التضاعيف ٧٠٠٠٠ مرة من صلاة الفاتح ، وفضل الله واسع : ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ {يونس : ١٠٧} .

بعض فوائد صلاة الفاتح :

١- **جبر صلاة الفريضة** : تقرأ **صلاة الفاتح** مرة واحدة بعد الفريضة ، بنية جبر ما فاته من الخشوع في الصلاة ، وذلك قبل أن يتكلم ، أو يغير جلسته .

٢- **التوسل** : مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة ، فصل على رسول الله ﷺ **بصلاة الفاتح** ، مائة مرة ، واهد ثوابها لرسول الله ﷺ ، بنية الحاجة التي تريدها ، ثم تقول : يارب توسلت إليك بحبيبك ورسولك ، وعظيم القدر عندك ، سيدنا محمد ﷺ في قضاء الحاجة التي أريدها (مائة مرة) ، ثم تقول : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك ، بجاه القطب الكامل ، سيدي أحمد التجاني ، وجاهه عندك ، أن تعطيني كذا وكذا (تسمي حاجتك بعينها) عشرا . ثم تصلي على رسول الله ﷺ **بصلاة الفاتح** لما أغلق (ثلاثا) .

٣- **توجه صلاة الفاتح** : وهي أن تقرأ كل يوم **صلاة الفاتح** لما أغلق ، اثنتي عشرة مرة ، ثم تقول : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك ، بحبيبك ورسولك ، ورفيع القدر عندك ، سيدنا محمد ﷺ ، أن ترزقني محبة خاصة ، خالصة فيك وفي حبيبك ، سيدنا محمد ﷺ ، واجعلني في الدنيا والآخرة من أهل ولايتك الخاصة الكاملة ، والصرفة التي لا شائبة فيها لغيرك ، إنك على كل شيء قدير . اثنتي عشرة مرة .

٤- **فائدة** : وجد بخط سيدنا رضي الله عنه ، أن من قال يوم الاثنين والجمعة ، بعد صلاة الصبح ، وقبل الانصراف من موضع الصلاة ، وقبل التكلم مع أحد من الخلق ، **صلاة الفاتح** عشر مرات ، ثم وضع يده اليمنى على عينيه ، وقال : إلهي اجعل حبيبي سيدنا محمد ﷺ راضيا عني ، ولا تجعله ساخطا علي ، وشفعه في وفي كل من يراني في هذا اليوم من المسلمين . ثم يرفع يده ، ويردها ، ويقرأ الدعاء ثانيا ، ثم يرفعها ويعيدها ويقرأ ذلك ثالثا ، ثم يقول سبحان الله المحيط بالكل ، الذي يعلم كلية الكل . فكل من رآه في هذين اليومين يدخل الجنة ، وراثة محمدية .

ومعنى قولنا عن هذا المقام أنه (وراثة محمدية) ؛ أن صاحب هذا المقام ، وارث عن رسول الله ﷺ المقام الذي أُخبرنا عنه ، في الأحاديث المروية عنه ﷺ أنه :

- قال : ﴿ طوبَى لِمَنْ رَآنِي ، وَلِمَنْ رَأى مَنْ رَآنِي ، ولِمَنْ رَأى مَنْ رَأى مَنْ رَآنِي ﴾ (١) .

- وقال : ﴿ لَا تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِمًا رَآنِي ، أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي ﴾ (٢) .

- وقال مجيبا الرجل الذي سأله : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَنْ أَوْلِيَاءُ اللهِ ؟ . قَالَ : ﴿ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴾ (٣) .

١- رواه الحاكم عن عبد الله بن بسر ﷺ . والطبراني في الأوسط والعراقي في الأربعين العشارية وأبو نعيم في أخبار أصبهان وابن أبي طاهر في أماليه وتمام في فوائده وابن عساكر والخطيب البغدادي كلاهما في التاريخ عن أنس بن مالك ﷺ . والطبراني في الكبير عن علقمة بن وائل عن أبيه ﷺ . والبخاري في تاريخه وعبد بن حميد عن أبي سعيد ﷺ . وتمام في فوائده عن أبي أمامة ﷺ . وابن عساكر في تاريخه عن واثلة بن الأسقع ﷺ . والخطيب البغدادي في تاريخه عن الإمام علي كرم الله وجهه . وأبو نعيم في المعرفة عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن جده نفير ﷺ .

٢- رواه الترمذي وحسنه وأبو نعيم في المعرفة والضياء المقدسي في المختارة والتبريزي في مشكاة المصابيح والمزي في تهذيب الكمال عن جابر بن عبد الله ﷺ . وقال طلحة بن خراش ابن عم جابر ، لراوي الحديث : يا ابن أخي ، وقد رأى جابر رسول الله ﷺ ، وقد رأيتُ جابرا ، وقد رأيتني ! .

٣- رواه ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المبارك في الزهد والدولابي في الكنى وابن أبي الدنيا عن سعيد بن جبير ﷺ . وابن أبي حاتم وابن جرير والنسائي والطبراني في الكبير وأبو نعيم في أخبار أصبهان وابن المبارك في الزهد والحكيم الترمذي عن ابن عباس ﷺ مرفوعا وموقوفا . والبغوي في تفسيره عن أبي مالك الأشعري ﷺ .

جوهرة الكمال :

اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية ، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ، ونور الأكوان المتكونة ، الآدمي صاحب الحق الرباني . البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني ، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكان . اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم . اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق ، الكنز الأعظم ، إفاضتك منك إليك ، إحاطة النور المطلسم ، صلى الله عليه وعلى آله ، صلاة تعرفنا بها إياه

- ﴿**اللهم صل وسلم**﴾ : الصلاة من الله تعالى على النبي ﷺ فوق ما يدركه العقل ، ولا يحيط بها مخلوق . والسلام منا على رسول الله ﷺ هو طلب للسلام والأمان علينا من الله ، لأنه ﷺ يرد السلام على من سلم عليه (١) ، لندخل في قوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ {يونس : ٦٢} .

- ﴿**عين الرحمة**﴾ : الذي قال تعالى فيه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} . وهو ﷺ الرحمة المهداة للخلق ، وهو هداية الأولين والآخرين ، ورحمة الخلق أجمعين ، فإفاضة الوجود على وجود جميع الأكوان مفاضة من ذاته الكريمة ﷺ ، فهو ﷺ المستفيض الأول ، والمفيض الثاني ، ومن هنا يتبين لك أن الفيض من ذاته الشريفة ينقسم إلى رحمتين :

الرحمة الأولى : إفاضة الوجود على جميع الأكوان ، حتى خرجت من العدم إلى الوجود .

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : ﴿**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ ؛ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي ، حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**﴾ . رواه أبو داود وأحمد والبيهقي في السنن والشعب والطبراني في الكبير والأوسط وابن راهويه وأبو نعيم في أخبار أصبهان .

الرحمة الثانية : إفاضة فيض الرحمة الإلهية ، على جميع الموجودات ، من جملة الأرزاق والمواهب والمنافع والمنح ، من العلم بصفات الله تعالى وأسمائه ، وكمالات ألوهيته ، وبأحوال الكون وأسراره ، ومنافعه ومضاره ، وبالأحكام الإلهية أمرا ونهيا ، فبذلك يدوم تمتعها بالوجود (١) .

- ﴿**الياقوتة**﴾ : وصفه ﷺ لرسول الله ﷺ بالياقوتة ، هو مما يعظمه به في عيون الناس ، تقريبا للأفهام ، وإن كان هو ﷺ أشرف من ذلك .
- ﴿**المتحققة**﴾ : أي المتصفة بجميع الصفات والأسماء الإلهية ، التي يتوقف عليها وجود الكون .

١- قال رسول الله ﷺ : ﴿**إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي**﴾ وقال : ﴿**إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللهُ**﴾ . رواه البخاري في صحيحه والطبراني في الكبير والأوسط وفي مسند الشاميين والتبريزي في مشكاة المصابيح عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ . وأبو يعلى وأحمد والنسائي عن أبي هريرة ﷺ . وفي رواية عنه ﷺ أنه قَالَ : ﴿**مَا أُعْطِيكُمْ وَلَا أَمْنَعُكُمْ ، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْت**﴾ . بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه والتبريزي في مشكاة المصابيح عن أبي هريرة ﷺ . وبلفظ : ﴿**مَا أُوتِيكُمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا أَمْنَعُكُمُوهُ ، إِنْ أَنَا إِلَّا خَازِنٌ ، أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ**﴾ . رواه أبو داود وأحمد وابن راهويه والطبراني في مسند الشاميين عن أبي هريرة ﷺ .

- ﴿الحائطة بمركز الفهوم والمعاني﴾ : أي أنه ﷺ المحيط بالفهوم التي قسمها الله تعالى لخلقه ، في إدراك معاني كلامه تعالى ، في جميع كتبه ، وفي إدراك معاني الأحكام الإلهية ، وفي إدراك معاني أسمائه وصفاته ومعارفه ، عناية ربانية به لقوله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ {طه : ١١٤} . فكان ﷺ يقول عن نفسه : ﴿إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا﴾ (١) . وذلك تحدثا بنعمة الله تعالى عليه ، كما أُمر بذلك في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ {الضحى : ١١} .

- ﴿نور الأكوان المتكونة﴾ : أي أنه ﷺ هو نور الله المفاض على الخلق المخلوق في الظلمة ، ليخرجه من العدم للوجود ، وهو قوله ﷺ في الحديث : ﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ﴾ . فَلِذَلِكَ أَقُولُ : جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ (٢) .

١- بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه وأحمد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٢- رواه الترمذي (وحسنه) وأحمد والبيهقي وابن بطة في الإبانة والحاكم وصححه وابن حبان في صحيحه والطيالسي وابن بشران في أماليه وابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة واللالكائي والفريابي في القدر والتبريزي في المشكاة وابن عساكر في تاريخه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

- ﴿**الآدمي صاحب الحق الرباني**﴾ : لأنه ﷺ القائل : ﴿**مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحقَّ**﴾ (١) .

- ﴿**البرق الأسطع**﴾ : هو وصف للحقيقة المحمدية : بالبرق من حيث ظهورها ، لأن البرق لا يخفى إلا على الأعمى . والأسطع معناه أنه له اليد العليا بالعطاء ، والكل له اليد السفلى بالاستعطاء . فهو كما قلنا المستفيض الأول من الله تعالى ، والمفيض الثاني على الخلق كلهم .

- ﴿**بمزون الأرباح**﴾ : م ز ن : المُزْنة : السَّحَابة البَيْضاء ، والجَمْع مُزْن . والمُزْنة أيضاً : المَطْرة . والمراد بمزن هنا هو الرحمات الإلهية . والأرباح : جمع ربح . وقرن بين البرق والمزن ؛ لأن البرق في معظم الأحيان مقارن للمطر ، كما أن الحقيقة المحمدية ملازمة للرحمة الإلهية ، والحاصل أن مزون الأرباح ؛ هي الرحمة الفائضة من حضرة الحق على خلقه ، وهي فيوضات العلوم والمعارف ، والأسرار والتجليات والأنوار ، ودقائق الحكم ، وما لا ساحل له من بحور المنح والمواهب ، وصفاء الأحوال ، والصفات القدسية المنصبة على قلوب العارفين .

- ﴿**المالئة**﴾ : نعت لمزون .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن عساكر والتبريزي عن أبي قتادة ﷺ . ورواه البخاري والخطيب عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

- ﴿لكل متعرض﴾ : التعرض تارة يكون بالتوجه إلى الله تعالى والتهيوء والاستعداد ، وتارة يكون بالجذبة الإلهية ، وكل ذلك من قبيل قوله ﷺ : ﴿إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٌ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا ، فَلا تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبَدًا﴾ (١) . وفي رواية : ﴿افْعَلُوا الخيْرَ دَهْرَكُمْ ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ ، فَإِنَّ للهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (٢) .
- ﴿من البحور﴾ : أي قلوب أكابر العارفين .
- ﴿والأواني﴾ : الأواني هي قلوب الأولياء . وهذه الاستعارة مستوحاة من قول رسول الله ﷺ : ﴿إِنَّ للهِ آنِيَةً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، وَآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِين ، وَأَحَبّها إِلَيهِ أَلْيَنها وَأَرَقّها﴾ (٣) .

١- رواه الطبراني في الكبير والأوسط والرامهرمزي والحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه . والدولابي في الكنى عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٢- رواه الطبراني في الكبير وفي الدعاء والبيهقي في الشعب وفي الأسماء والصفات وأبو نعيم في المعرفة والشهاب القضاعي في مسنده وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه عن أنس بن مالك رضي الله عنه . وابن أبي شيبة وأبو نعيم في الحلية عن أبي الدرداء رضي الله عنه . وابن أبي الدنيا وابن عساكر في تاريخه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٣- رواه الطبراني بإسناد جيد عن أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه .

- ﴿ **نورك اللامع ، الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني** ﴾ :

هذا وصف للحقيقة المحمدية أنها تملأ الوجود كله .

وقد رُوي عن الشيخ أبو الحسن الطنجي رضي الله عنه أنه قال : وردتُ على سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه فقال لي ما أنا شيخك ، إنما شيخك عبد الرحيم بقنا ، رُحْ إليه ، فسافرت إلى قنا ، فدخلت على الشيخ عبد الرحيم رضي الله عنه ، فقال : أعرفت رسول الله ﷺ ؟ . قلت : لا . قال لي : رُحْ إلى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله ﷺ . فَرُحْتُ إلى بيت المقدس ، وحين وضعت رجلي ؛ وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ .

- ﴿ **اللهم صل وسلم على عين الحق** ﴾ : لفظة الحق تطلق ويراد بها معنيان :

عين الذات : وهذا هو الحق المحض ، الذي هو الذات العلية المقدسة ، وما عداها كله باطل ، وهو معنى قول رسول الله ﷺ : ﴿ **أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ ؛ كَلِمَةُ لَبِيدٍ : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ** ﴾ (١) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي في السنن والشمائل وأحمد وابن ماجة وابن حبان وأبو يعلى وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب والسنن وابن راهويه والحميدي وأبو نعيم في المعرفة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

صفة الذات : وهي الحقيقة المحمدية ، القائمة بصورة العلم الأزلي ، النافذ في كل شيء ، وهذا هو السر الساري في جميع الأسماء والصفات .

فَصَلِّ اللهم على من جعلته سببا لانشقاق أسرارك الجبروتية ، وانفلاقاً لأنوارك الرحمانية ، فصار نائباً عن الحضرة الربانية ، وخليفةً لأسرارك الذاتية ، فهو ياقوتة أحدية ذاتك الصمدية ، وعين مظهر صفاتك الأزلية ، فبك منك صار حجاباً عنك ، وسراً من أسرار غيبك ، حُجبت به عن كثير من خلقك ، فهو الكنز المطلسم ، والبحر الزاخر المطمطم ، فنسألك اللهم بجاهه لديك ، وبكرامته عليك ، أن تعمر قوالبنا بأفعاله ، وأسماعنا بأقواله ، وقلوبنا بأنواره ، وأرواحنا بأسراره ، وأشباحنا بأحواله ، وسرائرنا بمعاملته ، وبواطننا بمشاهدته ، وأبصارنا بأنوار محيا جماله ، وخواتم أعمالنا في مرضاته ، حتى نشهدك به ، وهو بك .

- ﴿ **التي تتجلى منها عروش الحقائق** ﴾ : أي أن هذه الحقيقة المحمدية ، الموصوفة بعين الحق ، هي التي تتجلى منها الحقائق ، التي هي كالعروش ، حيث أن كل حقيقة منطوية على ما لا غاية له من العلوم والمعارف ، والأسرار والمواهب والفيوضات . وشبهت بالعروش ، لأن العرش محيط بما في جوفه من جميع المخلوقات ، وأيضا لما كان العرش هو غاية الرفعة

والشرف من المخلوقات في علم الخلق ، وكانت الحقائق في غاية العلو والرفعة والشرف ، لأنها صدرت من حضرة الحق ، الذي لا غاية لعلوه وشرفه ، فهو غاية الغايات ، وكانت الحقائق الصادرة من حضرته سبحانه وتعالى ، مكسوة بهذه الصفة العلية ، لذا فقد أطلق عليها اسم العرش من هذا الباب .

ولما كانت المعارف الإلهية ، المفاضة على جميع الأكابر من النبيين والمرسلين والأقطاب ، كلها فائضة من الحقيقة المحمدية ، وليس شيء من المعارف يُفاض من حضرة الحق خارجاً عن الحقيقة المحمدية . ولا يفاض شيء منها على أحد من الخلائق ، إلا وهو بارز من هذه الحقيقة ، لذا فقد وصفه الشيخ رضي الله عنه بأنه :

- ﴿**عين المعارف**﴾ : لأنه ﷺ هو خزانة هذه المعارف التي لا تنفد ، وينبوعها الذي لا ينضب .
- ﴿**الأقوم**﴾ : أي الجاري في مجاري العدل الإلهي ، الذي لا يعوج بوجه ، ولا يخرج عن الجادة المستقيمة ، ومن هنا كان اسمه ﷺ بـ (أحمد) ، لأنه ﷺ أكمل من وَفَّى مقام الحمد ، لأنه أحمد الحامدين ، فهو الموفي أداب الحضرة الإلهية ، علما وحالا ، وذوقا ومنازلة ، وتخلقا وتحققا .

- ﴿**صراطك التام**﴾ : معلوم أن الصراط هو الجسر الذي يُعبر عليه ، فما عبر أحد إلى حضرة الحق جل جلاله إلا عليه ﷺ ، فمن خرج عنه انقطع وانفصل وطرد ولعن . ومن هنا قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ في صلاته : (إذ هو بابك ، الذي من لم يقصدك منه ، سُدَّت عليه الطرق والأبواب ، ورُدَّ بعصا الأدب إلى اسطبل الدواب) .

- ﴿**الأسقم**﴾ (١) : هو وصف للصراط ، أي الكامل الاستقامة .

- ﴿**اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق**﴾ : أي أن الحقيقة المحمدية هي الجامعة لمطالع الأسماء والصفات الإلهية ، التي مسماها عين الحق الكلي ، بجميع ما ظهر عنه من الأحكام الإلهية والمقادير الربانية . وبهذا الاعتبار كان الحق تعالى هو الواحد ، ورسول الله ﷺ هو الواحد الثاني . والواحد له من الحروف الألف ومرتبتها في حساب الجمل (١) ، والواحد الثاني له من الحروف الباء ، ومرتبته في حساب الجمل (٢ = ١+١) ولهذا قلنا بأنه الواحد الثاني ، ولم نقل

١- الأسقم : أفعل تفضيل من [استقام] السداسي ، الذي أصله [قام] الثلاثي ، زيد على بنائه ثلاثة أحرف ، فصار استفعل ، فلما أريد بناء أفعل التفضيل منه ؛ حذفت الألف والتاء والألف المنقلبة من الواو مع أنها عين الكلمة ، وأبقيت السين مع أنها زائدة ، لتدل بأنه مصوغ من [استقام] السداسي . لا من [قام] .

اثنين ، لأن الحقيقة المحمدية هي الواحد الكثير ، أو الواحد المتعدد ، أو ظهور الواحد في الكثرة ، أو إن شئت قلت هي ظهور الحق في الخلق : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ {الحديد : ٣} .

- ﴿ **الكنز الأعظم** ﴾ : وصفه ﷺ للنبي ﷺ بالكنز ، أي أنه ﷺ سبب تحصيل الفوائد والمطالب والمنافع ، لطالبي المنح والفيوضات الربانية ، الدنيوية والأخروية ، والعلوم والمعارف والأسرار والأنوار ، والأعمال والأحوال والمشاهدات ، والتوحيد واليقين والإيمان ، وآداب الحضرة الإلهية ، إذ هو ﷺ المفيض لجميعها على جميع الوجود ، جملة وتفصيلا .

- ﴿ **إفاضتك منك إليك** ﴾ : أي أنك أظهرت هذه الحقيقة المحمدية منك ، ثم سلخت منها العالم كله .

اعلم أنه لما اقتضت إرادته تعالى إيجاد خلقه ؛ أبرز الحقيقة المحمدية وذلك عندما تجلى بنفسه لنفسه ، وكان العالم كله انسلاخا من تلك الحقيقة ، ومن هنا قلنا أن الحقيقة المحمدية جامعة لكل شيء . والحاصل أن سيدنا محمد ﷺ أول الموجودات وأصلها ونورها ، وببركته أُوجدت ، ومنه استمدت .

- ﴿ إحاطة النور المطلسم ﴾ : أتى بوصف الإحاطة على صيغة المصدر ، ليصف به عظم هذه الإحاطة وشمولها . والمطلسم هنا بمعنى الغامض المكتوم المجهول . أي أن سر الألوهية الغامض المكتوم قسمه الله تعالى قسمين :

- قسم قدر الله تعالى أن يكتمه ، ولا يطلع عليه غيره ، فهذا لا مدخل لأحد فيه .
- وقسم تعرَّف الله تعالى به إلى خلقه ، فبثه في الحقيقة المحمدية ، وقد كتم ﷺ منه ما كتم بينه وبين ربه ، وقسم منه ما قسم على ورثته ، وهذا هو المراد بقول رسول الله ﷺ : ﴿ **إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ ، وَاللهُ يُعْطِي** ﴾ (١) .

وبعبارة أخرى ؛ فإن المراد بالنور المطلسم ؛ هي الكمالات الإلهية ، التي سبق في سابق علمه تعالى أن يظهرها لخلقه ، ويطلعهم عليها ، كل حسب ما يناسبه ، وعلى قدر قابليته التي يطيقها ، فأفاض الله تعالى على نبيه ﷺ الذي قابليته تسع قابلية الخلق أجمع ، ومنه ﷺ أفيضت هذه المعارف والعلوم والأسرار على مستحقيها ، بحسب قوابلهم الجزئية .

١- رواه البخاري في صحيحه والطبراني في الكبير والأوسط وفي مسند الشاميين والتبريزي في مشكاة المصابيح عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ . وأبو يعلى وأحمد والنسائي عن أبي هريرة ﷺ .

- ﴿**صلاة تعرفنا بها إياه**﴾ : أي تعرفنا بها نبيك محمداً ﷺ في مراتب بطونه . فقد طلب المصلي من الله تعالى أن يعرفه بحقيقة رسوله ﷺ ؛ إما بالوصول إلى معرفة حقيقة روحه ، أو حقيقة عقله ، أو قلبه أو نفسه :

- أما حقيقة روحه ﷺ ، فلا يصل إليها إلا الأكابر من الأنبياء والمرسلين والأقطاب ومن ضاهاهم من الأفراد .
- ومن العارفين من يصل إلى مقام عقله ﷺ ، فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك ، إذ ليس مقام العقل وعلومه كمقام الروح وعلومه .
- ومنهم من يصل إلى مقام قلبه ﷺ فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك .
- ومنهم من يصل إلى مقام نفسه ﷺ فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك .
- وأما مقام سره ﷺ ، فلا مطمع لأحد في دركه .
- والفرق بين مقام سره ﷺ وبين مقامات عقله وقلبه ونفسه ؛ أن مقام سره ﷺ هي مقام الحقيقة المحمدية التي هي محض النور الإلهي ، التي عجزت العقول والإدراكات من كل مخلوق عن إدراكها وفهمها .
- ثم ألبست هذه الحقيقة المحمدية لباسا من الأنوار الإلهية ، واحتجبت بها عن الوجود ، فسميت روحا .

- ثم تنزلت بإلباس آخر من الأنوار الإلهية ، واحتجبت بها ، فسميت عقلا .

- ثم تنزلت بإلباس آخر من الأنوار الإلهية ، واحتجبت بها ، فسميت نفسا .

فاللهم صل وسلم بجميع الشؤون ، في الظهور والبطون ، على من منه انشقت الأسرار الكامنة في ذاته العلية ظهورا ، وانفلقت الأنوار المنطوية في سماء صفاته السنية بدورا ، وفيه ارتقت الحقائق منه إليه ، وتنزلت علوم آدم به فيه عليه ، فأعجز كلا من الخلائق فهم ما أودع من السر فيه ، وله تضاءلت الفهوم ، وكل عجزه يكفيه ، فذلك السر المصون لم يدركه منا سابق في وجوده ، ولا يبلغه لاحق على سوابق شهوده ، فأعظم به من نبي رياض الملك والملكوت بزهر جماله الزاهر مونقة ، وحياض معالم الجبروت بفيض أنوار سره الباهر متدفقة ، ولا شيء إلا وهو به منوط ، وبسره الساري محوط ، إذ لولا الواسطة في كل صعود وهبوط ؛ لذهب كما قيل الموسوط . فاللهم ألحقنا بنسبه الروحي ، وحققنا بحسبه السبوحي ، وعرفنا إياه معرفة نشهد بها محياه ، ونصير بها مجلاه ، كما يحبه ويرضاه ، ونَسْلَمُ بها من ورود موارد الجهل بعوارفه ، ونكرع بها من موارد الفضل بمعارفه . آمين يا رب العالمين .

بعض خواص جوهرة الكمال :

١- هذه الصلاة المسماة جوهرة الكمال ، هي من إملاء سيدنا رسول الله ﷺ ، على شيخنا القطب الرباني مولانا أبي العباس التجاني رضي الله عنه ، يقظة ، لا مناما .

٢- هذه الصلاة هي تفسير للفظ الحقيقة المحمدية .

بعض فوائد جوهرة الكمال :

١- المرة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات .

٢- من قرأها سبعا فأكثر تحضره روح النبي ﷺ والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم مادام يذكرها .

٣- ومن داوم عليها سبع مرات ، قبل النوم ، على فراش طاهر ووضوء ، يرى النبي ﷺ .

٤- من لازمها كل يوم أزيد من سبع مرات أحبه رسول الله ﷺ محبة خاصة ، ولا يموت حتما حتى يكون من الأولياء .

٥- كل من ذكرها اثنتي عشرة مرة ، وقال : هذه هدية مني إليك يا رسول الله . فكأنما زاره ﷺ في قبره ، يعني روضته الشريفة ، وكأنما زار جميع الأنبياء والأولياء والصالحين ، من أول الوجود إلى وقته ذلك .

٦- قراءتها بعد أي عبادة ثلاث مرات ، بنية جبر ما فاته من الخشوع فيها ، فإنه يجبر ما فاته من ذلك .

رؤية النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ : ﴿مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ﴾ (١) ، وفي رواية أخرى : ﴿مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي الحَقَّ﴾ (٢) هذا الحديث يخبر أن المصطفى ﷺ قد انتهت في حقه الدورة الخلقية الكبرى ، وأن نقطته قد التحقت ببحر الأحدية ، وهذا هو ما يشرح قوله ﷺ : ﴿مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ﴾ (٣) ، وقوله ﷺ : ﴿مَنْ رَآنِي فِي المَنَام فَقَدْ رَآنِي ، فَإِنِّي أُرَى فِي كُلِّ صُورَةٍ﴾ (٤) . وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم . لكن بين النوم والكشف فرق . وهو أن الصورة التي يرى فيها

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن عساكر والتبريزي عن أبي قتادة ﷺ . ورواه البخاري والخطيب عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

٢- رواه أحمد عن أبي هريرة ﷺ . وأحمد عن أبي قتادة ﷺ (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) . وأحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ . والطبراني في مسند الشاميين عن ابن عمرو ﷺ .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود وأحمد والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين والخطيب في تاريخه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة ﷺ .

٤- رواه ابن أبي عاصم وأبو نعيم عن أبي هريرة ﷺ . وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح والحافظ جلال الدين السيوطي في الديباج على مسلم .

سيدنا محمد ﷺ في النوم ، لا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية ، لأن عالم المثال يقع التعبير فيه ، فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة .

بخلاف الكشف ، فإنه إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين ، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية ، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع سيدنا محمد ﷺ ، لما أعطاك الكشف أن سيدنا محمد ﷺ متصور بتلك الصورة ، فلا يجوز ذلك بعد شهود سيدنا محمد ﷺ فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها من قبل ، ثم إياك أن تتوهم شيئا في قولي من مذهب التناسخ ، حاشا الله وحاشا رسول الله ﷺ ، أن يكون ذلك مرادي . بل إن رسول الله ﷺ له من التمكين في التصور بكل صورة حي ، يتجلى في هذه الصورة .

وقد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ، وهو **الإنسان الكامل** ليعلي شأنهم ، ويقيم مَيَلانِهم . فهم خلفاؤه في الظاهر ، وهو حقيقتهم في الباطن . وكان بعض السادة إذا سُئِل عن شيء ، قال : حتى أعرضه عليه ﷺ ، ثم يطرق ، ثم يقول : قال ﷺ كذا ، فيكون كما أخبر ، لا يتخلف .

وقد وقع لكثير من أكابر الصوفية ، أنه ارتقى إلى دوام مشاهدته ﷺ ؛ فقد قال العارف أبو العباس المرسي رضي الله عنه : (والله لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ، ما عددت نفسي من المسلمين) اهـ . وقال له رجل : ياسيدي صافحني ، فقد لقيتَ عبادا وبلادا ، فلما خرج ، قال : ما الذي أراد بعبادا وبلادا ؟ . قالوا : يريد أنك صافحت عبادا ، وسلكت بلادا ، اكتسبت بركاتها ، وإذا صافحته حصل له منك بركة . فضحك الشيخ وقال : (والله ما صافحت بهذه اليد إلا رسول الله ﷺ) اهـ . وتحقيق ذلك : أن الشيخ أبو العباس – حين جلس للناس – بعد انتقال شيخه أبو الحسن الشاذلي – كان يقول : قال الشيخ ... قال الشيخ ... فقيل له : لم تقول : قال الشيخ : ...قال الشيخ : .... ولا تقول : قلتُ ؟ . فكان يرد عليهم قائلا : (لو أردت على عدد الأنفاس أن أقول : قال الله ، لقلت : قال الله . ولو أردت على عدد الأنفاس أن أقول : قال رسول الله ﷺ لقلت : قال رسول الله ﷺ . ولو أردت على عدد الأنفاس أن أقول : أنا ، قلت : أنا . ولكن أقول : قال الشيخ ، وأترك نفسي ، أدباً) اهـ .

وإذا ظن البعض أن ما يراه هؤلاء السادة ، خيالات يمثلها لهم الشيطان ، فقد أخطأ في حق رسول الله ﷺ ، لأنه ﷺ قد ضمن العصمة من الشيطان ، للرائي له ﷺ ، فقال ﷺ :

- في رواية : ﴿ إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَخَيَّلُ بي ﴾ (١) .
- وفي رواية : ﴿ إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَشَبَّهُ بي ﴾ (٢) .
- وفي رواية : ﴿ إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَصَوَّرُ بِصُورَتي ﴾ (٣) .
- وفي رواية : ﴿ إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَصَوَّرُ بي ﴾ (٤) .
- وفي رواية : ﴿ إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَكَوَّنُني ﴾ (٥) .
- وفي رواية : ﴿ إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بمِثْلِي ﴾ (٦) .
- وفي رواية : ﴿ إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَمَثَّلُ على صُورَتي ﴾ (٧) .

١- رواه البخاري في صحيحه والترمذي في الشمائل عن أنس ﷺ . ورواه أحمد عن عبد الله ابن مسعود ﷺ .

٢- رواه أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ . وابن حبان والطبراني في الكبير وابن عساكر عن أبي جحيفة ﷺ . وابن عساكر عن أبي بكرة ﷺ .

٣- رواه ابن النجار عن البراء ﷺ ، حديث رقم ٤١٤٧٩ في كنز العمال .

٤- رواه أحمد عن أبي هريرة ﷺ . والمزي في تهذيب الكمال وابن عساكر في تاريخه عن البراء بن عازب ﷺ .

٥- رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

٦- رواه أحمد في مسنده عن كل من أبي هريرة وعبد الله بن مسعود ﷺ .

٧- رواه ابن ماجة عن عبد الله بن مسعود ﷺ . وأحمد عن أبي هريرة ﷺ .

- وفي رواية : ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَمَثَلُ بي﴾ (١) .
- وفي رواية : ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَمَثَّلُ في صُورَتي﴾ (٢) .
- وفي رواية : ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَتَمَثَّلُني﴾ (٣) .
- وفي رواية : ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بي﴾ (٤) .
- وفي رواية : ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَمَثَّلَ بي﴾ (٥) .

وهو ﷺ عندما يراه الرائي في المنام ، فإن الرائي يكون نائما ، مغمض العينين

١- رواه مسلم في صحيحه وابن ماجة وأحمد والحاكم وصححه والطبراني في الأوسط وابن راهويه عن أبي هريرة رضي الله عنه . والترمذي وصححه والطبراني في الأوسط وأبو يعلى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . وابن ماجة والطبراني في الأوسط والصغير وابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وابن ماجة والطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما . وأحمد والطبراني في الأوسط وأبو يعلى وابن أبي شيبة عن أنس بن مالك رضي الله عنه . والطبراني في الأوسط عن ابن عمرو رضي الله عنهما .

٢- رواه البخاري في صحيحه والطيالسي وابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه . وابن أبي شيبة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

٣- رواه الترمذي في الشمائل عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٤- رواه الطبراني في الكبير عن أبي جحيفة رضي الله عنه . وابن أبي شيبة والترمذي في الشمائل وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٥- رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى والمزي في تهذيب الكمال والبخاري في التاريخ الكبير عن أبي جحيفة رضي الله عنه .

وعلى هذا ؛ فإن هذا الرائي يراه في خياله (١) من داخله . وقد صح عنه ﷺ أن رؤيته في المنام لا تختلف عن رؤيته حقيقة ، أو كرؤيته في اليقظة .

- فقد ورد عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ : ﴿مَنْ رَآنِي فِي المنَامِ فَقَدْ رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ﴾(٢) .
- وورد عَنْه ﷺ أنه قَالَ : ﴿مَنْ رَآنِي فِي المنَامِ فَقَدْ رَآنِي﴾ (٣) .
- وورد عَنْه ﷺ أنه قَالَ : ﴿مَنْ رَآنِي فِي المنَامِ فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ﴾(٤) .

١- راجع كتابنا (مواكب الحب – باب عوالم الإنسان) للتوسع في معرفة عالم الخيال في الإنسان .

٢- رواه ابن ماجة عن ابن مسعود ﷺ . وأحمد والطيالسي عن أبي هريرة ﷺ .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن ماجة وأحمد وابن حبان والحاكم وصححه والطيالسي والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﷺ . والبخاري وأحمد عن أنس ﷺ . والترمذي وصححه وابن ماجة وأحمد والدارمي والطبراني في الأوسط عن ابن مسعود ﷺ . وابن ماجة عن جابر بن عبد الله ﷺ . وابن ماجة عن أبي سعيد ﷺ . وابن ماجة والطبراني في الكبير عن ابن عباس ﷺ . وأحمد والطبراني في الكبير عن الأشجعي ﷺ . والدارمي عن أبي قتادة ﷺ .

٤- رواه ابن ماجة وابن حبان والطبراني في الكبير وأبو يعلى والبخاري في تاريخه الكبير عن أبي جحيفة ﷺ . وابن عساكر في تاريخ دمشق والذهبي في تاريخ الإسلام عن عبد الله بن عمرو ﷺ .

- وورد عَنْه ﷺ أنه قَالَ : ﴿مَنْ زَارَنِي (رَآني) فِي المَنَامِ فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي الْيَقَظَةِ﴾ (١) .

- وورد عَنْه ﷺ أنه قَالَ : ﴿مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ﴾ (٢) .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ {التوبة : ١٢٨}

فهذه الآية معناها عند أهل الظاهر : أنه ﷺ عربي من قريش منكم ، وعندنا كذلك ، ولكن يزيد على ذلك المعنى ، ما ذهبنا إليه : من أنه ﷺ من نفس كل واحد فينا ، وهذا معنى الحديث الذي رواه عَبْدُ الله بْنُ هِشَامٍ ﷺ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَر بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ الله ؛ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، إِلَّا مِنْ نَفْسِي . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿لَا ، وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ﴾ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿الْآنَ يَا عُمَرُ﴾ (٣) .

١- رواه الطبراني عن عبد الله بن عمرو ﷺ .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود وأحمد والطبراني في مسند الشاميين والخطيب البغدادي عن أبي هريرة ﷺ . والطبراني في الكبير عن مالك بن عبد الله الخثعمي ﷺ .

٣- رواه البخاري في صحيحه وأحمد والحاكم وصححه والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن عبد الله بن هشام ﷺ .

وفي رواية أخرى عن أَبِي لَيْلَى ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَذَاتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِهِ** ﴾ (١) . فلن يحبه ﷺ أحدٌ أكثر من نفسه ، إلا إذا كان هو ﷺ نفسه ! .

وقال ﷺ : ﴿ **لَا يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ** ﴾ (٢) . وهذا معنى قوله ﷺ : ﴿ **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ...** ﴾ (٣) .

وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ {آل عمران : ٣١} .

١- رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الشعب وابن الشجري في أماليه وأبو الشيخ في الثواب والديلمي عن أبي ليلى ﷺ .

٢- رواه البخاري في قرة العينين برفع اليدين في الصلاة والبيهقي في المدخل إلى السنن وابن بطة العكبري في الإبانة والنسوي في أربعينه وابن أبي عاصم في السنة والتبريزي في مشكاة المصابيح وأورده ابن حجر في الفتح وقال رجاله ثقات . وصححه النووي في أربعينه ، عن عبد الله بن عمرو ﷺ .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والعكبري في الإبانة والطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط عن أبي أمامة الباهلي ﷺ .

ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ {الحجرات : ٧} .

فكلمة (**فِيكُمْ**) :

- معناها أيام بعثته ﷺ بالنسبة للصحابة : بين ظهرانيكم ، ومعكم .
- ومعناها لنا الآن : في داخلكم (١) .

فهو ﷺ في الجهة الحقية من النفس ، المقابلة للروح ، في كل منا — سواء كان كافرا أو مسلما — ولكن لا يسقط الحجاب ، بين المرء ، ونفسه الحقية ، إلا بإذن الله تعالى ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ {الإسراء : ٤٥} . وهو ما سيكشف له عنه عند الموت ، وهو قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ {ق : ٢٢} .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ : قالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا ؛ نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي ، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ** ﴾ (٢) . فهذا الحب عندنا

١- وهذا هو معنى قولنا فيما سبق أنه ﷺ زمان بعثته كان لكافة الخلق ، وبعد انتقاله ﷺ هو مرسل للخاصة فقط .

٢- رواه مسلم في صحيحه وأحمد وابن حبان في صحيحه والتبريزي في مشكاة المصابيح عن أبي هريرة ؓ .

نحن الغير معاصرين له ﷺ حسيا ؛ هو الذي يدفعنا للعمل على كشف الستر بيننا وبينه ، والفناء فيه ﷺ ، وهو قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ {آل عمران : ٣١} .

وهذا هو المقصود بلفظ الطريق في مصطلح الطائفة الصوفية ، لقول الحق في الحديث القدسي : ﴿ **فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا** ﴾ (١) . وهذا معنى قوله ﷺ لغير واحد ، هو : مني وأنا منه (٢) .

١- رواه البخاري في صحيحه وابن حبان في صحيحه والبيهقي في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه أحمد والحكيم الترمذي وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه رضي الله عنه . ورواه أبو يعلى عن أم المؤمنين السيدة ميمونة رضي الله عنها . والطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه .

٢- قالها رسول الله ﷺ في حق جليبيب رضي الله عنه . فيما رواه مسلم في صحيحه وأحمد والبيهقي عن أبي برزة رضي الله عنه . وقالها ﷺ في حق من لم يعن الظالمين على ظلمهم . فيما رواه عنه الترمذي وحسنه والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي والحاكم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه . وأحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وأحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه . وأحمد والطبراني في الكبير عن حذيفة رضي الله عنه . وقالها ﷺ في حق سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . فيما رواه الترمذي وحسنه وأحمد والحاكم عن عمران بن حصين رضي الله عنه . وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير عن حبشي بن جنادة رضي الله عنه . =

وهذا الوصف معناه في التحقيق : أن صاحبه اتبع النبي ﷺ اتباعا دقيقا ، حتى انطبع على الأنموذج المحمدي ، فأصبح صورة من الرسول ﷺ في مرآة الحق ، كل يرى نفسه فيه عين الآخر ، أي أنه أصبح تعددا للرسول ﷺ . ولو كان هذا الحديث مقتصرا فقط على الاتباع ، دون الطبع على الأنموذج ، لاقتصر الحديث على كلمة ﴿ **مِنِّي** ﴾ ، ولم يزد ﴿ **وَأَنَا مِنْهُ** ﴾ ! .

- فقوله ﷺ : هو مني : يصبح هو الباطن فينا .
- وقوله ﷺ : وأنا منه : يصبح هو الظاهر فينا بدلا منا ، أو عوضا لنا عنا .
- ومن هنا كان التسلسل في قول النبي ﷺ : ﴿ **لا تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِماً رَآني ،**

= وأحمد والحاكم والطبراني في الكبير عن ابن عباس ﷺ . وأحمد عن يحيى بن آدم السلولي ﷺ . وأحمد عن بريدة ﷺ . وقالها ﷺ في حق العباس ﷺ . فيما رواه الترمذي وصححه وأحمد والنسائي والطبراني في الكبير عن ابن عباس ﷺ . وقالها ﷺ في حق الحسين بن علي ﷺ . فيما رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه وابن حبان والطبراني في الكبير وأبو نعيم في المعرفة عن يعلى بن مرة ﷺ . وقالها ﷺ في حق درة بنت أبي لهب رضي الله عنها . فيما رواه أحمد (وقال الهيثمي : رجاله ثقات) والطحاوي في مشكل الآثار عن درة رضي الله عنها .

أَوْ رَأَى مَنْ رَآني﴾ (١) . فمن رأى من رآه ، يأخذ حكم من رآه ، لانطباعه على الأنموذج .

قال الله تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ {النساء : ٨٠} . وقال :

١- رواه بهذا اللفظ الترمذي والضياء المقدسي عن جابر بن عبد الله ﷺ ، وقال الترمذي حسن غريب . ورواه الطبراني في الكبير والأوسط عن عبد الرحمن بن عقبة بلفظ : ﴿لا يَدْخُلِ النَّارَ مُسْلِمٌ رَآني ، أَوْ رَأَى مَنْ رَآني ، وَلَا رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآني﴾ . وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه والخطيب في تاريخه ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، عن رسول الله ﷺ : أن رجلا قال : يَا رَسُولَ الله طُوبَى لِمَنْ رَآكَ وَآمَنَ بِكَ . قَالَ : ﴿طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ، ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي﴾ قَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَمَا طُوبَى ؟ قَالَ : ﴿شَجَرَةٌ فِي الجنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ ، ثِيَابُ أَهْلِ الجنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ . وأخرج الطيالسي وأحمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ﴿طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ، وَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي سَبْعَ مِرَارٍ﴾ . وأخرج الطيالسي وعبد بن حميد عن نافع قال : جاء رجل إلى ابن عمر ﷺ فقال : يا أبا عبد الرحمن رأيتم رسول الله ﷺ بأعينكم هذه ؟ قال : نعم . قال : طوبى لكم . فقال ابن عمر : ألا أخبرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : بلى . قال : سمعته يقول : ﴿طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ، وَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي ثلاث مَرَّات﴾ . وأخرج الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن بسر ﷺ : ﴿طُوبَى لِمَنْ رَآنِي ، وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي ، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي﴾ . وأخرج عبد بن حميد عن أبي سعيد ﷺ ، وابن عساكر عن واثلة ﷺ : ﴿طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي ، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح : ١٠} .

وفي الخبر : ﴿**قَالَ اللهُ : مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي ، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ ؛ النَّقِيِّ التَّقِيِّ ، الْوَادِعِ اللَّيِّنِ**﴾ (١) .

فالأمر حق ، ظاهره صورة خلق .

فهو من وراء ما بدا ، كما أن المرتدي من وراء ردائه .

١- ذكره في الإحياء بلفظ : (**قال الله : لم يسعني سمائي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع**) . وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن وهب بن منبه : " **إِنَّ اللهَ فَتَحَ السَّمَاوَاتِ لِحِزْقِيلَ ، حَتَّى نَظَرَ إِلى الْعَرْشِ ، فَقَالَ حِزْقِيلُ : سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ يَا رَبِّ ! . فَقَالَ اللهُ : إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ضَعُفْنَ عَنْ أَنْ يَسَعْنَنِي ، وَوَسِعَنِي قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الْوَادِعِ اللَّيِّنِ** " . وقد روى الطبراني عن أبي عنبة الخولاني رفعه ، ورواه ابن ماجة عن أبي عنبسة : (**إن لله آنية من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ، وأحبها إليه : ألينها وأرقها**) . وفي مسند الفردوس للديلمي حديث رقم ٤٤٦٦ عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال الله عز وجل : (**لا يسعني شيء ، ووسعني قلب عبدي المؤمن إذا ألبسته لبسة أحبائي**) . وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الْكَلِمِ الطَّيِّبِ : وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : (**لَسْت أَسْكُنُ الْبُيُوتَ وَلَا تَسَعُنِي ، وَأَيُّ شَيْءٍ يَسَعُنِي وَأَيُّ بَيْتٍ يَسَعُنِي وَالسَّمَوَاتُ حَشْوُ كُرْسِيِّ . وَلَكِنْ أَنَا فِي قَلْبِ الْوَادِعِ التَّارِكِ لِكُلِّ شَيْءٍ سِوَايَ**) . وفي الرسالة القشيرية قال : في بعض الكتب : أن موسى عليه السلام قال يارب : أين تسكن ؟ . فأوحى الله تعالى إليه : (**في قلب عبدي المؤمن**) .

فالعبد هو كبرياء الحق ، وعظمته . فإنه تعالى قال : ﴿الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي﴾(١) .

ولهذا كان المخلوق محل عظمة الله ، لأنّ العظمة صفة في المعظِّم ، لا في المعظَّم . ولو كانت في المعظَّم ؛ لمِا تعوّذ منه من لا يعرفه (٢) .

قال الله تعالى لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه لما خلع عليه أسماءه : (اخرج إلى عبادي بصورتي ، فمن رآك رآني ، فلما خطا خطوة غُشي عليه ، فقال :

١- رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة وأحمد وابن حبان والطبراني في الأوسط وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب وابن راهويه والحميدي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن ماجة وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنه . والطبراني في الأوسط والصغير عن الإمام علي كرم الله وجهه .

٢- هَذَا اقْتِبَاسٌ مِنَ الحَدِيثِ المَرْوِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ أُنَاسٌ : يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ . فَقَالَ : ﴿هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ﴾ ؟ . قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : ﴿هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ﴾ ؟ . قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : ﴿فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ . وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بالله مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا . فَيَتْبَعُونَهُ ...﴾ الحديث . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وصححه وأحمد وابن حبان وعبد الرزاق والطبراني في مسند الشاميين وابن المبارك في الزهد والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

ردّوا عليّ حبيبي ، فإنه لا صبر له عني) (١) .

فمن عرف نفسه ، عرف الله .

ومن عرف الله ، لم يعرف نفسه .

والعلم بالله تعالى ، جهلك بك .

والعلم بك ، علمك بالله .

فإنك منه داخل في مجمل : (جميعا منه) الوارد في الآية : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ {الجاثية : ١٣} . ما هو منك .

فمن رآه ﷺ على ما بَيَّناه ، فقد انتهت في حقه الدورة الخلقية الكبرى ، وذاب ثلج بشريته ، ورجع ثلج خِلقيته إلى ماء حقيته ، غارقا في بحر الأحدية ، على ما أوضحناه بفصيح العبارة ، وغامض الإشارة ، في غير ما موضع من هذا الكتاب .

١- كان أبو يزيد لا يرغب في الخروج إلى الناس لأنه صاحب حال . أمّا العالي من الرجال وهم الأكابر ، وهم ورثة رسول الله ﷺ - فإن أمروا بالتبليغ - فيحتالون في ستر مقامهم عن أعين الناس ، ليظهروا عند الناس بما لا يعلمون في العادة أنهم من أهل الاختصاص الإلهيّ ، فيجمعون بين الدعوة إلى الله ، وبين ستر المقام . فيدعونهم بقراءة الحديث وكتب الرقائق وحكايات كلام المشايخ ، حتى لا تعرفهم العامّة إلا أنهم نقلة ، لا أنهم يتكلمون عن أحوالهم من مقام القربة .

دعوني ما تركتكم

اعلم أن الشريعة أتت بلسان ما تواطأت عليه الأمة ، التي شرع الله لها ما شرع ، فمنه ما كان عن طلب من الأمة ، ومنه ما شرعه ابتداء من الأحكام ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول : **﴿دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾** (١) .

فإن كثيراً من الشريعة نزل بسؤال من الأمة ، لو لم يسألوه ما نزل .

فكانت الأحكام تحدث بحدوث السؤال عن النوازل ، فكان غرض النبي ﷺ ، حين علم ذلك ؛ أن يمتنع الناس عن السؤال ، ويجرون مع طبعهم ،

١- بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه والدارقطني والبيهقي في القضاء والقدر عن أبي هريرة رضي الله عنه . وبلفظ : **﴿ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ﴾** رواه مسلم والنسائي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في السنن والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى والحميدي وابن حبان وابن خزيمة والشافعي عن أبي هريرة رضي الله عنه . والطبراني في الأوسط عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه . وبلفظ : **﴿اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ﴾** رواه الترمذي وعبد الرزاق في مصنفه والطبراني في الأوسط وأبو يعلى وابن حبان والشافعي عن أبي هريرة رضي الله عنه . والطبراني في الأوسط عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

حتى يكون الحق هو الذي يتولى من تنزيل الأحكام ما شاء ، فكانت الواجبات والمحظورات تقل ، وتبقى الكثرة في قبيل المباحات ، التي لا يتعلق بها أجر ولا وزر .

فأبت النفوس قبول ذلك ، وأن تقف عند الأحكام المنصوص عليها ، فأثبتت لها عللا ، وجعلتها مقصودة للشارع ، وألحقت المسكوت عنه في الحكم بالمنطوق به .

قال الله تعالى لنبيه ﷺ آمراً : ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ {طه : ١١٤} . يريد من العلم به ، من حيث ماله تعالى من الوجوه في كل مخلوق ومبدع ، وهو علم الحقيقة .

فما طلب الاستزادة من علم الشريعة ، بل كان يقول : ﴿ **دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ** ﴾ (١) . وعلم الشريعة علم محجة ، وطريق لا بد له من سالك ، والسلوك تعب ، فكان النبي ﷺ يريد التقليل من ذلك .

انظر أي تجل يعدمك ، فلا تسأل الله أن يعطيكه ، فيعطيكه .

فلا يجد ، فيك ، من يأخذه منه ! .

ولله در من قال :

١- سبق تخريجه .

لا تَطْلُبَــنَّ تَجَلِّيــاً ... يُفْنِيكَ عَنْــكَ فَإِنَنِي
أُعْطِي وَلَسْتُ بِآخِــذٍ ... لِفَنَاءِ عَينِــكَ فَانْثَنِي
عَنْ مِثْلِ هَذَا وَاطْلُبَنَّ ... أَمْراً عَلَيــــهِ يَنْبَنِي
عَينُ البَقَا وَلا تَكُــنْ ... بِمَا تُسَمَّى تَكْنَنِــــي

اعلم أن البقاء والفناء ، لا يعقلان في هذا الطريق ، إلا مضافين . الفناء عن كذا ، والبقاء مع كذا . ولا يصح الفناء عن الله أصلاً ، فإنه ما ثمّ إلا هو ، فإن الاضطرار يردّك إليه ، ولهذا تسمى تعالى لنا بالصمد ، لأن الكون يلجأ إليه في جميع أموره : ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ {هود : ١٢٣} .

فلم يبق أن يكون فناؤك إلا عنك .

ولا تفنى عنك ، حتى تفنى عن جميع الأكوان والأعيان ، أعني فناء أهل الله .

فإن أتحفك الحق بتحفة منه تعالى ، فَتُحَفُهُ من جملة أكوانه ، فهي محدثة ، فتطلبك التحفة ، لتقبلها ، فتجدك فانياً عنها ، فعادت إلى معطيها ، فكان ذلك سوء أدب منك في الأصل ، حيث سألت ما قادك إلى مثل هذا ، فإن الله يعطي دائماً ، فينبغي للعبد أن يكون قابلاً دائماً ، فلا تسأل – إن كنت من أهل الله – إلا عن أمر إلهي أعني على التعيين ، وإلا فاسأل الله من فضله ، من غير تعيين .

واعلم أن تجليات الحق على نوعين :

- تجلٍّ يفنيك عنك ، وعن أحكامك .
- وتجلٍّ يبقيك معك ، ومع أحكامك .

ومن أحكامك : ملازمة الأدب في الأخذ والعطاء .

فمثل هذا التجلي ، فاسأل ، ما دمت في دار التكليف .

فإذا انتقلت إلى غير هذا الموطن ، فكن بحسب ذلك الموطن .

ولولا التكليف ، ما وقعت من الله وصية لأحد من عباد الله .

فما أوصى العليم بالأمور ، إلا وقد علم أن للوصية أثراً في الأمور .

بعض الناس يرى أموراً قد أباحها الشرع ، يجد في نفسه أن لو كان له الحكم فيها لحجرها وحرَّمها ، فكأنه يرجح نظره في مثل هذا على ما أباح الله فعله ، وكأنه يرى أنه في رأيه أرجح من الله ميزاناً ، ومن رسوله ﷺ ، في هذا الذي خطر له ، وربما يغتاظ حتى يقول : أيُّ شيء أصنع ؟ . هذا شيء قد أباحه الله ، فلنصبر على ذلك ، فيصبر على كره ، وقد ظهر مثل هذا في الزمان الأوّل في آحاد الناس ، وأمَّا اليوم فهو فاش في كثير منهم .

فنحن نعلم أن الشارع هو الله تعالى ، وأن الرسول ﷺ شخص مبلغ عن الله حكمه فيما أراه الله ، وقال تعالى فيه : ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا**

﴿وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ {النجم : (٣-٤)} . والله يقول عن نفسه : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ {مريم : ٦٤} . والله أشدّ غيرة من عباده ، وما قرّر من الشرائع إلا ما تقع به المصلحة في العالم ، فلا يزاد فيها ولا ينقص منها ، ومهما زاد فيها أو نقص منها ، أو لم يعمل بما قرّره ، فقد اختل نظام المصلحة المقصودة لله ، فيما نزله من الشرائع ، وقرّره من الأحكام ، قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ {النساء : ٦٥} . ففي مسئلة المرأة أنها لا تستر وجهها في الإحرام ، والغيرة يعطي حكمها الستر ، وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال في سعد بن عبادة رضي الله عنه : **﴿أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ، وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي ، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ؛ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** (١) .

فجعل ذلك الأمر الذي هو عند الله ليس بممنوع ، في حكم الممنوع ، إذ لو كان عند الله ممنوعا ، لحرّمها ، فإن الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فعم الحكم ، فما أحسن قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والدارمي وأبو عوانة وابن حبان وعبد بن حميد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه . ومسلم وأحمد والبيهقي والطبراني في الأوسط وأبو عوانة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ {النساء : ٦٥} . فلو عرض الإنسان نفسه ، وأدخلها في هذا الميزان ، لرأى نفسه وكأنه قد دخل في هذه الآية الكريمة : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ {النساء : ٦٥} .

فلو كان الستر لها أصلاً ؛ لما قيل لها في الإحرام : لا تستري وجهك .

ألا ترى آية الحجاب (١) ما نزلت ابتداء ، وإنما نزلت – هي وغيرها – باستدعاء بعض الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين . فكثير من أحكام الشرع ، نزل بأسباب كونية ، لولا تلك الأسباب ؛ ما أنزل الله فيها ما أنزل .

فَعَنْ أُمِّ الْمُؤمنينَ السَّيِّدَة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَمَا ضُرِبَ الْحِجَابُ ، لِحَاجَتِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَسِيمَةً ، لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا ، فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا ، فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ . قَالَتْ : فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى ، وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ . فَدَخَلَتْ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي خَرَجْتُ

١- روى البخاري وأحمد والبيهقي في السنن والنسائي والطبراني والطيالسي والبزار وابن أبي عاصم في السنة عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾ {الأحزاب : ٥٣} .

لِبَعْضِ حَاجَتِي ، فَقَالَ لِي عُمَرُ : كَذَا وَكَذَا . قَالَتْ : فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ ، وَإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ ، مَا وَضَعَهُ . فَقَالَ : ﴿**إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ**﴾ (١) . وهنا لم يلزمهم رسول الله ﷺ بما أشار به سيدنا عمر رضي الله عنه ، ونزل الوحي مخالفا لرأيه رضي الله عنه . ولم يوافقه الحكم كما وافقه في الحجاب .

ولذلك يفرّق أهل الله :

- بين الحكم الإلهيّ ابتداء .
- وبين الحكم الإلهيّ إذا كان مطلوباً لبعض عباد الله ، فيكون ذلك الطلب سبباً لنزول ذلك الحكم ، فكأن الحق كان مكلفا في تنزيله ، إذ لولا هذا ما أنزله . بخلاف ما أنزله ابتداء .

فالمحقق يأخذ الحكم الإلهيّ المنزل ابتداء ، بغير الوجه الذي يأخذ به الحكم الإلهيّ الذي لم ينزل ابتداء .

فلا يغرّنك أيها السائل ؛ كون الحق أنزل الأشياء بحكم سؤالات السائلين ، فبادر إلى قبول حكمه – أيّ نوع كان – مشروح الصدر ، طيب النفس ، إن أردت أن تكون مؤمناً .

١– أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده وابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما وابن سعد في طبقاته .

عَنْ الإِمَامِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ : لما نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ {آل عمران : ٩٧} . قَالُوا : يَا رَسُولَ الله أَفِي كُلِّ عَامٍ ؟ . فَسَكَتَ ﷺ . فَقَالُوا : أَفِي كُلِّ عَامٍ ؟ . فَسَكَتَ ﷺ . قَالَ : ثُمَّ قَالُوا : أَفِي كُلِّ عَامٍ ؟ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **لَا ، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ ؛ لَوَجَبَتْ** ﴾ . فنزل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ {المائدة : ١٠١} (١) . وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال : ﴿ **لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ (٢) .

فالله تعالى يفَهِّمُنا وإياك مقاصد الشرع ، فلا يحجبنا ما ظهر منها عما بطن .

وعبادة الحج شبيهة بالناس في أحوالهم يوم القيامة ، شعثاً غبراً متضرّعين ، مهطعين إلى الداعي ، تاركين للزينة ، يرمون بالأحجار ، من يراهم ولا يعرفهم يظنهم مجانين ، لأنهم في عبادة – لو علموا ما فيها – لذهلت عقولهم ، فكانوا كالمجانين يرمون بالحجارة . فجعله الله تنبيهاً لهم في رمي

١– أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة وابن أبي حاتم والحاكم وأبو يعلى والدار قطني والبزار عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

٢– أخرجه مسلم وأحمد والبيهقي في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الجمار ، إن المشهد عظيم ، يذهب بالعقول عن أماكنها ، وما ثم عبادة هي تعبد محض في أكثر أفعالها إلا الحج . وكذلك النساء في الدار الآخرة في القيامة ؛ عاريات ، ولسن مكشفات الوجوه فقط ، كما هو في حال الإحرام ، ولولا تعلق الأغراض النفسية في إنزال الحجاب ؛ ما نزلت آية الحجاب ، فإن الله تعالى ما أخرها لهذا السبب ، هي وغيرها من الأحكام الموقوفة على مثل هذا ، إلا ذخيرة لحساب هذا الشخص ، الذي كان سبباً في تكليف الناس بها .

التجلي الذاتي

والتجلي الأسمائي والصفاتي

اعلم أن الله تعالى إذا تجلى – بذاته – لعبده ، أفناه عن نفسه ، وكان الله عوضا ، عنه ، له ، فيه ، فخلص هيكله من رق الحدثان ، وفك قيده من قيد الأكوان ، فهو أحدي الذات ، وأحدي الصفات ، لا يعرف الآباء والأمهات ، فمن ذكر الله فقد ذكره ، ومن نظر الله فقد نظره ، وحينئذ أنشد لسان حاله بغريب عجيب مقاله :

خَبَتْنِي فَكَانَتْ فِيَّ عَنِّي نِيَابَةً ... أَجَلْ عِوَضاً بَلْ عَينُ مَا أَنَا وَاقِعُ

فَكُنْتُ أَنَا هِيَ وَهْيَ كَانَتْ أَنَا وَمَا ... لها في وُجُودٍ مُفْرَدٍ مَنْ يُنَازِعُ ؟

بَقِيتُ بِهَا فِيهَا وَلا تَاءَ بَيْنَنَا ... وَحَالي بِهَا مَاضٍ كَذَا وَمُضَارِعُ

وَلَكِنْ رُفِعْتُ النَّفْسَ فَارْتَفَعَ الحِجَا ... وَنُبِّهْتُ مِنْ نَومِي فَمَا أَنَا ضَاجِعُ

وَشَاهَدْتُني حَقًّا بِعَينِ حَقِيقَتِي ... فَلي في جَبِينِ الحُسْنِ تِلْكَ الطَّلائِعُ

جَلَوْتُ جَمَالي فَاجْتَلَيْتُ مِرآتي ... لِيُطْبَعَ فِيهَا لِلْكَمَالِ مَطَابِعُ

فَأَوْصَافُهَا وَصْفِي وَذَاتي ذَاتُها ... وَأَخْلاقُهَا لي في الجَمَالِ مَطَالِعُ

وَإِسْمِي حَقًّا إِسْمُهَا وَاسْمُ ذَاتِهَا ... لِيَ اسْمٌ وَلي تِلْكَ النُّعُوتُ تَوَابِعُ

فلمَّا كان الحق عوضا ، عنه ، فيه ، قامت في المسمى إنسانا ؛ لطيفة إلهية .

هذه اللطيفة هي إما ذاتية ، وإما صفاتية .

- فإذا كانت ذاتية ؛ لم يكن ذلك الهيكل الإنساني إلا سيدنا محمد ﷺ .
- وإذا كانت صفاتية ؛ فهذه اللطيفة لم تكن إلا الحقيقة المحمدية ، قامت بذلك الهيكل الإنساني لذلك الرسول أو النبي أو الولي . وهو قوله تعالى : ﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ {البقرة : ١٥١} . ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ {التوبة : ١٢٨} . ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ {الشعراء : ٢١٩} . ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ {الحجرات : ٧} .

تجلى الله بأسمائه وصفاته على خلقه كلهم ، وما تجلى بذاته إلا على رسول الله ﷺ .

- قال رسول الله ﷺ : ﴿**إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي**﴾ وقال : ﴿**إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللهُ**﴾ (١) .

١- رواه البخاري في صحيحه والطبراني في الكبير والأوسط وفي مسند الشاميين والتبريزي في مشكاة المصابيح عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه . وأبو يعلى وأحمد والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

- وفي رواية عنه ﷺ أنه قال : ﴿ **مَا أُعْطِيكُمْ وَلَا أَمْنَعُكُمْ ، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْت** ﴾ (١) .
- فلما أعطى الله نبيه ﷺ التجلي الذاتي ، قسمه على أمته ، يمنح ويمنع كما يشاء (٢) : ﴿ **هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ {ص : ٣٩} .
- فتجلى الله تعالى بذاته على الكمل من أفراد أمته ﷺ من خلال حجاب رسول الله ﷺ . فمن فني في رسول الله ﷺ قامت به الحقيقة المحمدية ، عوضا ، له ، عنه فيه ، عند ذلك يستقبل عن الله بقابلية رسول الله ﷺ . فيتمتع بالتجلي الذاتي عليه .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إِنَّكُمْ حَظِّي مِنْ الْأُمَمِ ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنْ النَّبِيِّينَ** ﴾(٣) فبربك قل لي : أَيُّنا أوفر حظا ؟ . هو ﷺ ؟ . أم أمته ﷺ ؟ .

١- بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه والتبريزي في مشكاة المصابيح عن أبي هريرة ﷺ . وبلفظ : ﴿ **مَا أُوتِيكُمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا أَمْنَعُكُمُوهُ ، إِنْ أَنَا إِلَّا خَازِنٌ ، أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ** ﴾ رواه أبو داود وأحمد وابن راهويه والطبراني في مسند الشاميين عن أبي هريرة ﷺ .

٢- لأنه ﷺ لا يشاء إلا أن يشاء الله ، لأنه متحقق بقوله تعالى : ﴿ **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ** ﴾ {الإنسان : ٣٠ ، التكوير : ٢٩} .

٣- رواه أحمد وابن حبان في صحيحه وعبد الرزاق والبيهقي في الشعب والخطيب في الأخلاق عن عبد الله بن ثابت ﷺ . وأبو نعيم في أخبار أصبهان عن أبي الدرداء ﷺ . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد حديث رقم ١٦٧٠٥ عن أبي الدرداء ﷺ وقال عنه : (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أبي حبيبة الطائي وقد صحح له الترمذي حديثا وذكره ابن حبان في الثقات) .

- فإن قلنا – لأنه ﷺ حظنا – فنحن أوفر حظا منه ﷺ . فقد أسأنا الأدب معه .
- وإن قلنا أنه أوفر حظا ، مطلقا ، فهو صدق ، وهذا ما يمليه الأدب معه ﷺ .
- وإن قلنا – لأنه حظنا – فنحن ، من حيث هو ﷺ ، كما قال الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه : (ما ثم مرتبة بين النبي وأمته) فنحن أوفر حظا ، فقد صدقنا . وما تعدينا الأدب .

– التجلي الأسمائي والصفاتي ، من التلوين ، لذا تجد له لذة وحلاوة ، ترتاح لها النفس .

– التجلي الذاتي ، ثقيل ، يشق على النفس ، لأنه يفنيها ، لذا فقد كان رسول الله ﷺ يعاني في الوحي أشد المعاناة ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ {المزمل : ٥} .

التجلي الذاتي لرسول الله ﷺ بالأصالة ، ولكُمَّل الورثة من أمته بالتبعية ، من حيث أنهم منه ، وهو منهم .

فالتجلي الذاتي مباشر على رسول الله ﷺ ، وغير مباشر من خلال حجاب رسول الله ﷺ في الموت والمرض والبلاء .

التجلي الذاتي في الموت :

الموت هو محراب الحياة .

فبوقوعه تثبت الحياة الأبدية السرمدية ، وهو سور عظيم ، وبرزخ قديم ، له باب مستور ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب . يفصل بين الحياة ، والحيوان . فالحياة : نهايتها الموت ، والحيوان : حياة لا نهاية لها : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ {العنكبوت : ٦٤} أتى الله تعالى بـ ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ في آخر الآية لأن كثيرا من الناس لا يعلمون ذلك .

وفي الموت قال النبي ﷺ : ﴿ **لَنْ تَرَوا رَبَّكُمْ حتى تَمُوتُوا** ﴾ (١) . وهو قوله تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ {ق : ٢٢} .

الموت هو صفة سيدنا محمد ﷺ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾ {الزمر : ٣٠} . لذا فقد

١- رواه أحمد في مسنده وعبد الله بن أحمد في السنة ونعيم بن حماد المروزي في الفتن والآجري في الشريعة والنسائي في السنن وفي الأسماء والصفات والطبراني في مسند الشاميين والدارمي في الرد على الجهمية وأبو نعيم في الحلية عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه . وابن ماجة والحاكم (وصححه وأقره الذهبي) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والمروزي في الفتن وتمام في فوائده وابن عساكر في تاريخه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

قال النبي ﷺ : ﴿ **الموْتُ تُحْفَةُ المؤْمِنِ** ﴾ (١) .

قال تعالى : ﴿ **وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ** ﴾ {ق : ١٩} . تلك السكرة التي تأتي بالحق تعالى ، وتجمعك به ، فتشاهده كما تشاهد القمر ليلة البدر ، ليس دونه سحاب ، فقد رُوي في الصحاح أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا : يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ . فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ **نَعَمْ . هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ** ﴾ ؟ . قَالُوا : لَا . قَالَ : ﴿ **وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ** ﴾ ؟ . قَالُوا : لَا . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ **مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا** ﴾ (٢) .

ومازال العارفون ينتظرون الموت ، لأن فيه كمال التجلي .

١- رواه بهذا اللفظ الديلمي والدارقطني عن جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعا . وبلفظ : ﴿ **الموْتُ تُحْفَةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ** ﴾ رواه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفا . وبلفظ : ﴿ **الموْتُ تُحْفَةٌ لكُلِّ مُسلم** ﴾ رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفا .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والحاكم وصححه وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان والطيالسي والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي سعيد الخدري ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي وأحمد وأبو عوانة وعبد الرزاق والنسائي وأبو يعلى والحميدي وابن حبان والطيالسي عن أبي هريرة ﷺ .

وهناك تشبيه جميل ، فكانوا يشبهون كمال التجلي ؛ بالبئر العميق . والحياة ؛ بالحبل المثبت فيه الدلو ، والذي لا يبلغ قاع البئر ، كذلك لا يبلغ العارف كمال التجلي إلا بعد الموت ، والانتقال إلى الحيوان .

لذا فقد روي عن الحلاج ﷺ أنه كان ينشد :

اقْتلوني يا ثِقاتي ... إِنَّ في قَتلي حَياتي
وَمَماتي في حَياتي ... وَحَياتي في مَماتي
أَنا عِندي مَحوُ ذاتي ... مِن أَجَلِّ المَكرُماتِ
وَبَقائي في صِفاتي ... مِن قَبيحِ السَّيِّئاتِ
سَئِمَت روحي حَياتي ... في الرُسومِ البالِياتِ
فَاقتُلوني وَاحرِقوني ... بِعِظامي الفانِياتِ
ثُمَّ مُروا بِرُفاتي ... في القُبورِ الدارِساتِ
تَجِدوا سِرَّ حَبيبي ... في طَوايا الباقِياتِ

التجلي الذاتي في المرض :

في الحديث القدسي : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ :

- يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي . قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ .
- يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي . قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي .
- يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي . قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ﴾ (١) .

انظر إلى قوله تعالى في المرض : ﴿ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ﴾ : أي بذاتي ، أي كنت

١- رواه مسلم في صحيحه (واللفظ له) وابن راهويه والبيهقي في الأسماء والصفات والطبراني في مكارم الأخلاق والتبريزي في مشكاة المصابيح والمنذري في الترغيب والترهيب .

أنا جزاءك . وقوله في الجوع والعطش : ﴿لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي﴾ : أي بأسمائي وصفاتي ، أي أجزيك من حسناتي . وشتان بين من كان هو تعالى جزاؤه بنفسه ، وبين من كان جزاؤه منه الحسنات !

عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ! . قَالَ : ﴿أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ﴾ (١) .

ولا يخفى على أحد مرض أيوب عليه السلام ، فقد روى وهب بن منبه أن الشيطان قال لرب العالمين : فهل أنت مسلِّطي على جسده ؟ . فأنا لك زعيم ، لئن ابتليته في جسده لينسينك ، وليكفرنّ بك ، وليَجْحَدنَّكَ نعمتك ، قال الله : انطلق فقد سلطتك على جسده ، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ، ولا على عقله . فانقضّ عدوّ الله جوادا ، فوجد أيوب ساجدا ، فعجَّل قبل أن يرفع رأسه ، فأتاه من قِبَل الأرض في موضع وجهه ، فنفخ في منخره نفخه اشتعل منها جسده ، فترهل ، ونبتت به : ثآليل مثل أليات الغنم ، ووقعت فيه حكة لا يملكها ، فحكّ بأظفاره حتى سقطت كلها ، ثم حكّ بالعظام ، وحكّ بالحجارة الخشنة ،

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والشعب والنسائي والدارمي وأبو يعلى وابن حبان والطيالسي والبزار .

وبقطع الممسوح الخشنة ، فلم يزل يحكه حتى نَفِد لحمه وتقطع ، ولما نَغِلَ جلد أيوب وتغير وأنتن ، أخرجه أهل القرية ، فجعلوه على تلّ وجعلوا له عريشا ، ورفضه خلق الله غير امرأته ، فكانت تختلف إليه بما يُصلحه ويلزمه ، وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه ، فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه ، من غير أن يتركوا دينه ، واتهموه .

قال الحسن : ومرّ به رجلان ، وهو على تلك الحال – ولا والله ما على ظهر الأرض يومئذ أكرم على الله من أيوب – فقال أحد الرجلين لصاحبه : لو كان لله في هذا حاجة ، ما بلغ به هذا ، فلم يسمع أيوب شيئا كان أشدّ عليه من هذه الكلمة .

وهذا البلاء يحكيه قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ {ص : (٤١ – ٤٤)} .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ {الأنبياء : (٨٣ – ٨٤)} .

التجلي الذاتي في البلاء :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ . فَقَالَ : ﴿ **انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ** ﴾ . قَالَ : وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ . فَقَالَ : ﴿ **انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ** ﴾ . قَالَ : وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ . (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) . فَقَالَ : ﴿ **إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي ؛ فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا ، فَإِنَّ الْفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنْ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ** ﴾ (١) .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّكُمْ أَهْلَ البَيْتَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ **آللهِ** ﴾ ؟ . قَالَ : آللهِ ، فَقَالَ ﷺ : ﴿ **فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا ، فَإِنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إِلى مَنْ يُحِبُّنَا ، مِنَ السَّيْلِ مِنْ أَعْلَى الأَكْمَةِ إِلى أَسْفَلِهَا** ﴾ (٢) .

التجفاف : ما يجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح .

الأكمة : ما ارتفع من الأرض دون الجبل .

عَنْ كَعْبِ بْنِ عَجْرَة ﷺ قَالَ : أَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ يَومًا ، فَرَأَيْتُهُ مُتَغَيراً . فَقُلْتُ لَهُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا لِي أَرَاكَ مُتَغَيراً ؟ . قَالَ ﷺ : ﴿ **مَا دَخَلَ جَوفِي مَا يَدْخُلُ**

١- رواه الترمذي وحسنه والطبري في تهذيب الآثار والبيهقي في الشعب والروياني والتبريزي في مشكاة المصابيح عن عبد الله بن مغفل ﷺ .

٢- رواه الحاكم وصححه .

جَوفَ ذَاتِ كَبِدٍ مُنْذُ ثَلاث﴾ . قَالَ : فَذَهَبْتُ ، فَإِذَا يَهُودِي يَسْقِي إِبِلاً لَهُ ، فَسَقَيتُ لَهُ ، عَلَى كُلِّ دَلْوٍ تَمْرَةٌ ، فَجَمَعْتُ تَمْراً ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَ ﷺ ، فَقَالَ : ﴿مِنْ أَيْنَ لَكَ يَا كَعْبُ﴾ ؟ . فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿أَتُحِبُّنِي يَا كَعْبُ﴾ ؟ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ ، نَعَمْ . فقال ﷺ : ﴿إِنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إِلى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيلِ إِلى مَعَادِنِهِ ، وَإِنَّهُ سَيُصِيبُكَ بَلاءٌ ، فَأَعِدَّ لَهُ تِجْفَافاً﴾ . فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ ﷺ : ﴿مَا فَعَلَ كَعْبُ﴾ ؟ . قَالُوا : مَرِيضٌ ، فَخَرَجَ ﷺ يَمْشِي ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ﷺ لَهُ : ﴿أَبْشِرْ يَا كَعْبُ﴾ (١) .

وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ أن رجلا من الأنصار أبصر في وجه رسول الله ﷺ الجهد ، فقال : ما لك يا رسول الله ؟ . قال ﷺ : ﴿الخمص﴾ – أي الجوع – قال : فطلب – الأنصاري – في بيته فلم يجد شيئا ، فمر على يهودي وهو يسقي حيطانه ، قال : أستقي لك ؟ قال : نعم ، فاستقى له ، كل دلو بتمرة ، ليس فيها خدرة ولا يابسة ولا تارزة ، قال : فعمل حتى أكمل صاعين ، قال : فأتى بهما رسول الله ﷺ ، قال : فأرسل إلى أزواجه ﷺ بصاع وأكل ، ثم قال ﷺ للأنصاري : ﴿تحبني﴾ ؟ ، قال : نعم ، قال : ﴿اتخذ للفقر تجفافا﴾ ،

١– رواه الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : إسناده جيد . ورواه ابن عساكر في تاريخه .

ثم قال ﷺ : ﴿ اللَّهُمَّ مَنْ أَحَبَّنِي فَامْنَعْهُ المَالَ وَالوَلَدَ ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَارْزُقْهُ المَالَ وَالوَلَدَ ﴾ ثم قال : ﴿ لَلْفَقْرُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي ؛ أَسْرَعُ مِنَ المَاءِ مِنْ أَعْلَى الجَبَلِ إِلَى الحَضِيضِ ﴾ (١) .

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ حَاجَتَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ اصْبِرْ أَبَا سَعِيدٍ ؛ فَإِنَّ الْفَقْرَ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنْكُمْ أَسْرَعُ مِنْ السَّيْلِ عَلَى أَعْلَى الْوَادِي ، وَمِنْ أَعْلَى الجبَلِ ، إِلَى أَسْفَلِهِ ﴾ (٢) .

وَقِيلَ : يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ . قَالَ : ﴿ الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ . فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا ؛ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ؛ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ . فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ ؛ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ ، مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ﴾ (٣) .

ولما علم أصحاب رسول الله ﷺ أن التجلي الذاتي لله تبارك وتعالى في البلاء ، استعذبوا البلاء ، فجاهدوا في سبيل الله ، غير مكترثين بالقتل ، وإذهاب المهج والأرواح . فالصحابة ﷺ وأمثالهم من أحباب الله تعالى ،

١- رواه الطبري في تهذيب الآثار والبيهقي في الشعب وابن عساكر . وروى بعضه ابن ماجة .

٢- رواه أحمد في مسنده والبيهقي في الشعب .

٣- رواه الترمذي وصححه وابن ماجة والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن والشعب والدارمي وابن حبان والحاكم وصححه وعبد بن حميد والطيالسي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ .

فرحوا بأسباب يتعوذ الناس منها ، فكانوا إذا نزل بهم البلاء ، شكروا وحمدوا ، وحزنوا بأسباب فرح الناس لها ، من رغد العيش ، وزيادة المال والصحة ، فكان رسول الله ﷺ لا يستطيع أن يبيت ، وفي بيته درهمان ، ويظل محزونا حتى ينفقها ، فكان هو ﷺ وصحابته ﷺ يصبرون على الرخاء ، الذي يشكر الناس عليه ، ويشكرون على البلاء ، الذي يصبر الناس عليه ، وذلك لسعة معرفتهم بالله تعالى .

وقد كان السلف يستوحشون ، إذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ {البقرة : (١٥٥ – ١٥٧)} .

اسم الله الأعظم

قال العارف بالله تعالى : الشيخ إبراهيم الدسوقي ﷺ : (الله رب العزة ، كتب اسمه على كل شيء أعزه) . وليس ثم شيء أخرجه تعالى من العدم إلى الوجود لم يعزه ، لأنه لم يصبح موجودا إلا بظهور الحق فيه . فاسمه تعالى على كل شيء .

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي ، قَالَ ﷺ : ﴿ **إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ** ﴾ . فَقَالَ : ادْعُهُ . فَأَمَرَهُ ﷺ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ ، فَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ : ﴿ **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ** ﴾ . فدعا بهذا الدعاء ، فقام وقد أبصر (١) .

عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ **لما اقْتَرَفَ آدم الخطِيئَةَ ، قَالَ : يَا رَبِّ أَسْأَلُك بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَا غَفَرْتَ لِي ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟ .**

١- رواه الترمذي وصححه وأحمد والحاكم وصححه وأقره الذهبي وابن خزيمة والنسائي وعبد بن حميد وابن عساكر .

قَالَ : يَا رَبِّ لِأَنَّك لما خَلَقْتَنِي ، وَنَفَخْت فِي مِنْ رُوحِك ، رَفَعْتُ رَأْسِي ، فَرَأَيْتُ فِي قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ، فَعَرَفْت أَنَّك لَمْ تُضِفْ إِلَى نَفْسِك إِلَّا أَحَبَّ الخلْقِ إِلَيْك ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : صَدَقْت يَا آدَم ، إِنَّهُ لَأَحَبُّ الخلْقِ إِلَيَّ ، إِذْ سَأَلْتَنِي بِهِ ؛ فَقَدْ غَفَرْت لَك ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُك﴾ (١) .

وليس هناك مَن جَمَع جميع أسماء الله وصفاته – حتى الذاتية منها – إلا رسول الله ﷺ . ليس هذا فقط . بل إنه ﷺ هو النور الذاتي ، والسر الساري في سائر الأسماء والصفات . أي أنه ﷺ سر اسم الله الأعظم .

رُوي أنه خطر ببال الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ أن يسأل شيخه عبد السلام بن مشيش ﷺ عن اسم الله الأعظم . فأُجيب بدون أن ينطق بالسؤال : ليس الأمر أن تعلم اسم الله الأعظم ، ولكن الأمر أن تكون أنت اسم الله الأعظم . فكان الشيخ أبو الحسن عندما جلس على كرسي القطبانية العظمى يقول : من كانت له إلى الله حاجة فليقسم عليه بي ! .

١- رواه الحاكم وصححه والطبراني في الأوسط والصغير وفي الدعاء والبيهقي في الدلائل والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي والآجري في الشريعة وابن عساكر في تاريخه عن عمر بن الخطاب ﷺ .

روى القشيري ﷺ عن معروف الكرخي ﷺ أنه قال لتلامذته : إذا كان لكم إلى الله حاجة ، فأقسموا عليه بي ، فإني الواسطة بينكم وبينه الآن . وذلك بحكم الوراثة له عن المصطفى ﷺ .

فالوارثون الكمل يرثون الاسم الأعظم ، ولكن سر الاسم الأعظم هو سيدنا محمد ﷺ .

ومن هنا قال الشيخ أبو يزيد البسطامي ﷺ ، حينما سأله بعض الناس عن اسم الله الأعظم ، فقال : أروني الأصغر حتى أريكم الأعظم . أسماء الله كلها عظيمة ، فاصدق ، وخذ أي اسم إلهي شئت . اهـ .

الأسماء النبوية

له ﷺ نوعان من الأسماء :

١- أسماء وكنى عُرِفَ ﷺ بها في الظاهر ، كالاسم : (محمد – أحمد – يس – طه – أبو القاسم – الحاشر – ....) .

٢- أسماء عُرف ﷺ بها في الباطن ، وهي من الأسماء الحسنى ، كالاسم : (النور – الحق – الرؤوف – الرحيم – الهادي – الشهيد – ....) . وهي ما يطلق عليه السادة الصوفية مصطلح : **الكمالات المحمدية في الصفات والأسماء الإلهية** .

محمد ﷺ

اللهم صل على ميم ملكك ، وحاء حكمتك ، وميم ملكوتك ، ودال ديموميتك صلاة تستغرق العد ، وتحيط بالحد .

اللهم صل على ميم المجد ، وحاء الرحمة ، وميم الملك ، ودال الدوام ، السيد الكامل الفاضل الفاتح الخاتم ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسلم .

أحمد ﷺ

اللهم صل على ألف أحديتك ، وحاء وحدانيتك ، وميم ملكك ، ودال دينك : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾ {الزمر : ٣} . فقد أخلصت الخالص ، القائم بالدين الخالص ، وأضفته إليك . فصل رب على من قام إليك ، بما أضفت على التحقيق إليك ، فأتم دينك ، وبلغ رسالتك ، وأوضح سبيلك ، وأدى أمانتك ، وأقام البرهان على وحدانيتك ، وأثبت في القلوب أحديتك ، فهو سرك المصون بهيبتك وجلالك ، المتوج بنور أسرارك وجمالك .

الواحد ﷺ

اللهم صل على الواحد الثاني ، المخصوص بالسبع المثاني ، السر الساري في منازل الأفق الرحماني ، القلم الجاري بمداد مدد المدد الرباني ، على طور العقل الإنساني ، صلاة تتجدد بتجدد رحمتك عليه ، وانتهاء نورك وسرك إليه يارب العالمين .

المحمود ﷺ

اللهم صل على نورك ، موضع نظرك ، ومظهر منظرك ، ومُظهر خزائن كرمك ، عقدة عزك ، ومفتاح قدرتك ، محل رحمتك ، ومجد عظمتك . خلاصتك من كنه كونك ، وصفوتك ممن خصصته باصطفائيتك ، النبي

الأمي ، الرسول العربي الأبطحي القرشي ، أحمد الحامدين في سرادقات جلالك ، ومحمد المحمودين في بساط جمالك .

أبو القاسم ﷺ

اللهم صل على ألف إبداعك ، وباء بداية اختراعاتك ، وواو ودك في إنشاءاتك ، وألف إبرازك لمخلوقاتك ، ولام لطفك في تدبيراتك ، وقاف إحاطة قدرتك على خلق أرضك وسماواتك ، وسين سرك بين جميع أضداد مبدوعاتك ، وميم مملكتك المحيطة بمعلوماتك .

كهيعص ﷺ

اللهم صل على كاف كفايتك ، وهاء هدايتك ، وياء يمنك ، وعين عظمتك ، وصاد صراطك : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ {الفاتحة : ٧} . ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلأَرضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلأُمُورُ ﴾ {الشورى : ٥٣} .

النور ﷺ

اللهم صل على شجرة الأصل النورانية ، ولمعة القبضة الرحمانية ، وأفضل الخليقة الإنسانية ، وأشرف الصورة الجسمانية ، ومعدن الأسرار الربانية ، وخزائن العلوم الاصطفائية ، صاحب القبضة الأصلية ، والبهجة السنية ،

والرتبة العلية ، من اندرجت النبيون تحت لوائه ، فهم منه ، وإليه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ {الفتح : ٢٩} .

صلاة وسلاما ، ينزلان من أفق كنه باطن الذات ، إلى فلك سماء مظاهر الأسماء والصفات ، ويرتقيان من سدرة منتهى العارفين ، إلى مركز جلال النور المبين ، مولانا محمد عبدك ونبيك ورسولك ؛ علم يقين العلماء الربانيين ، وعين يقين الخلفاء الصديقين ، وحق يقين الأنبياء المكرمين ، الذي تاهت في أنوار جلاله أولو العزم من المرسلين ، وتحيرت في درك حقائقه عظماء الملائكة المهيمين ، المنزل عليه بلسان عربي مبين : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ {آل عمران : ١٦٤} .

أسماءه ﷺ توقيفية ، أي يُراعى فيها الكتاب والسنة والإجماع ، فكل اسم ورد في هذه الأصول جاز إطلاقه عليه ﷺ ، وما لم يرد فيها لا يجوز إطلاقه ، وإن صح معناه ، إلا إذا كان إلهاما وتعليما من الله تعالى ، قياسا على قوله ﷺ في دعائه : ﴿...**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ : سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ**...﴾ (١) . فهذه الأسماء التي يعلِّمها الحق لخلقه هي صحيحة ، ويجب الاعتقاد فيها على من قام الحق بتعليمها له ، أو على أتباعه ممن يعتقدون ولايته . ولا يجب اعتقاد صحتها على من دونهم .

والتسمي بأسماء الأنبياء – عامة – مندوب لقوله ﷺ : ﴿**تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ**﴾ (٢) .

والتسمي باسمه ﷺ – خصوصية من دون الأنبياء – هو مبارك ميمون لما ورد في فضيلة ذلك :

١- رواه أحمد في مسنده وابن أبي شيبة والحاكم وصححه وابن حبان في صحيحه والبيهقي في الأسماء والصفات والخطيب البغدادي والشاشي وابن السني عن عبد الله بن مسعود ﷺ . وابن السني عن أبي موسى ﷺ .

٢- رواه أبو داود والنسائي وأحمد والبيهقي وأبو نعيم في المعرفة والبخاري في الأدب وابن عبد البر في الاستيعاب عن أبي وهب الجشمي ﷺ .

- قال رسول الله ﷺ : ﴿سَمُّوا بِاسْمِي﴾ . وفي رواية : ﴿تَسَمَّوْا بِاسْمِي﴾ (١) .

- وقال رسول الله ﷺ : ﴿مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِي ، يَرْجُو بَرَكَتِي ، غَدَتْ عَلَيْهِ البَرَكَةُ وَرَاحَتْ ، إلى يومِ القِيَامَةِ﴾ (٢) .

- وقال رسول الله ﷺ : ﴿إِذَا سَمَّيْتُمْ مُحَمَّداً فَلَا تَجْبَهُوهُ ، وَلَا تَحْرِمُوهُ ، وَلَا تُقَبِّحُوهُ . بُورِكَ فِي مُحَمَّدٍ ، وفِي بَيْتٍ فِيهِ مُحَمَّدٌ ، وَبِمَجْلِسٍ فِيهِ مُحَمَّدٌ﴾(٣) . الجَبْه : هو الإذلال والاستقبال بالأذى .

- وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿مَنْ وُلِدَ لَهُ ثَلاثَةٌ فَلَمْ يُسَمِّ أَحَدَهُمْ مُحَمَّدًا فَقَدْ جَهِلَ﴾ (٤) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وأبو يعلى وعبد بن حميد وابن ماجة عن أنس بن مالك ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وعبد بن حميد والطيالسي وابن ماجة عن جابر بن عبد الله ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود وابن ماجة وأحمد والطبراني في الكبير والأوسط والطيالسي وابن راهويه وابن أبي شيبة عن أبي هريرة ﷺ .

٢- رواه ابن أبي عاصم وأبو نعيم في المعرفة وأورده ابن حجر في الإصابة عن جشيب ﷺ .

٣- رواه البزار عن أبي رافع ﷺ . والديلمي عن جابر ﷺ .

٤- رواه الطبراني في الكبير وأورده ابن حجر في المطالب العالية وابن بكير والحارث في مسنده عن ابن عباس ﷺ .

- وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « ما ضر أحدكم لو كان في بيته محمد ، ومحمدان ، وثلاثة ؟ » (١) .

- وَعَنِ ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ : « إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ : أَلَا لِيَقُمْ مَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ ، فَلْيَدْخُلِ الجَنَّةَ ، كَرَامَةً لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ » (٢) .

واسم يدخل صاحبه الجنة – لمجرد التسمي به – لجدير بالتعظيم والتقديس .

وهذا لأن أسماءه ﷺ هي أسماء لها قوة فاعلة ، ومؤثرة في مسماها .

فمن سُمِّي بها بهذه النية ، فقد حاز نصيبا من معناها .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الماحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ ، وَأَنَا الحاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ » (٣) .

١- رواه ابن بكير والقاضي عياض عن أبي مليكة رضي الله عنه . وابن سعد عن عثمان العمري رضي الله عنه .

٢- أورده ابن سبع في الخصائص والبيجرمي في حاشيته على الخطيب والحجاوي في الإقناع عن ابن عباس رضي الله عنهما . والقاضي عياض في الشفا عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما .

٣- رواه البخاري في صحيحه ومالك في الموطأ والنسائي والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والدلائل والطحاوي في مشكل الآثار عن جبير بن مطعم رضي الله عنه . والطبراني في الكبير والأوسط عن أبي موسى رضي الله عنه .

والمباح التسمي به من أسمائه هو كاسم : محمد ، وأحمد ، ومحمود ، وغيرها ...

ولكن اسم كالحاشر ، أو العاقب ، أو الماحي ، فهذه أسماء خاصة للنبي ﷺ . وذلك لأن كل اسم له دلالة خاصة ، لا تنطبق إلا على النبي ﷺ .

أباح النبي ﷺ التسمي ببعض أسمائه ، ولم يبح التكني بكنيته ، فقال : ﴿**سَمُّوا بِاسْمِي ، وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي ، فَإِنِّي إِنَّمَا جُعِلْتُ قَاسِمًا ، أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ**﴾(١) . فبَيَّنَ النبي ﷺ علة عدم التكني بكنيته : (أبي القاسم) أن كونه قاسما ؛ هذه خصوصية من الله تعالى له ، ليست لغيره .

فأسماءه ﷺ تدل على مسماه ، وكانت خلائقه إنما هي تفصيل جملة اسمه ، وشرح معناه . وذلك أن أشهر أسمائه ﷺ هو : (محمد) .

وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمحمَّد في اللغة ؛ هو الذي يُحمَدُ حمدا بعد حمد ، ولا يكون مفعل مثل ممدح ؛ إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة .

ولا يُعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة ، طمع آباؤهم – حين سمعوا بذكر سيدنا محمد ﷺ ، وبقرب زمانه ، وأنه يُبعث في الحجاز ،

١– رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والتبريزي في مشكاة المصابيح وابن عساكر في تاريخه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

أن يكون ولداً لهم (١) .

أما أحمد ؛ فهو اسمه ﷺ الذي سُمي به على لسان عيسى عليه السلام (٢) فإنه منقول أيضا من الصفة التي معناها التفضيل ، فمعنى أحمد : أي أحمد الحامدين لربه .

وقد اختص ﷺ من معنى الحمد بما لم يجتمع لغيره :

- فإن اسمه ﷺ محمد وأحمد .
- وأمته ﷺ الحمادون (٣) ، يحمدون الله في السراء والضراء .

١- ذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول وهم : الأول – محمد بن سفيان بن مجاشع ، جد جد الفرزدق الشاعر ، والثاني – محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جمحي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، والثالث – محمد بن حمران بن ربيعة . وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ ، وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا ، فنذر كل واحد منهم إن وُلد له ذكر أن يسميه محمدا ، ففعلوا ذلك .

٢- قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ {الصف : ٦} .

٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ : أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الأَحْبَارِ ﷺ : كَيْفَ تَجِدُ نَعْتَ رَسُولِ الله ﷺ فِي التَّوْرَاةِ ؟ فَقَالَ كَعْبٌ : نَجِدُهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الله ، يُولَدُ بِمَكَّةَ ، وَيُهَاجِرُ إِلَى طَابَةَ ،...، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يَحْمَدُونَ اللهَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، وَيُكَبِّرُونَ اللهَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ ، يُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ ، وَيَأْتَزِرُونَ فِي أَوْسَاطِهِمْ ، يَصُفُّونَ فِي صَلاَتِهِمْ كَمَا يَصُفُّونَ فِي قِتَالِهِمْ ، دَوِيُّهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، يُسْمَعُ مُنَادِيهِمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ . رواه أبو نعيم والدارمي والتبريزي وابن سعد وابن عساكر .

- وصلاته ﷺ ، وصلاة أمته ، مفتتحة بالحمد .

فعن أنس ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ ﷺ كَانَ يَمْشِي ذَاتَ يَوْمٍ فِي طَرِيقٍ ، فَنَادَاهُ الجَبَّارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ... يَا مُوسَى ، نَبِّئْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ لَقِيَنِي وَهُوَ جَاحِدٌ لِـمُحَمَّدٍ أَدْخَلْتُهُ النَّارَ ، وَلَوْ كَانَ خَلِيلِي إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى كَلِيمِي . فَقَالَ : إِلَهِي وَمَنْ مُحَمَّدُ ؟ فَقَالَ : يَا مُوسَى ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْهُ ، كَتَبْتُ اسْمَهُ مَعَ اسْمِي فِي العَرْشِ ، قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ بِأَلْفَيْ أَلْفِ سَنَةٍ . وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، إِنَّ الجَنَّةَ لَـمُحَرَّمَةٌ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي حَتَّى يَدْخُلَهَا مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ . قَالَ مُوسَى : وَمَنْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : أُمَّتُهُ الحَمَّادُونَ ، يَحْمَدُونَ صُعُوداً وَهُبُوطًا وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، يَشُدُّونَ أَوْسَاطَهُمْ ، وَيُطَهِّرُونَ أَطْرَافَهُمْ ، صَائِمُونَ بِالنَّهَارِ ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ ، أَقْبَلُ مِنْهُمُ اليَسِيرَ ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ . قَالَ : إِلَهِي اجْعَلْنِي نَبِيَّ تِلْكَ الأُمَّةِ . قَالَ : نَبِيُّهَا مِنْهُمْ . قَالَ : اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ ذَلِكَ النَّبِيِّ . قَالَ : اسْتَقْدَمْتَ وَاسْتَأْخَرُوا يَا مُوسَى ، وَلَكِنْ يَا مُوسَى سَأَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي دَارِ الجَلَالِ ﴾ (١) .

١- رواه ابن أبي عاصم في السنة وأبو نعيم في الحلية .

- وخطبه ﷺ مفتتحة بالحمد .
- وكتابه ﷺ مفتتح بالحمد ، وخص بها دون سائر الأنبياء .
- وخُصَّ ﷺ بالمقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وتُفتح عليه ﷺ في هذا المقام ؛ محامد لم يُفتح بها على أحد قبله (١) ، فيحمد ربه بها .
- وإذا قام ﷺ في ذلك المقام ؛ حمده حينئذ أهل الموقف كلهم ، مؤمنهم وكافرهم ، أولهم وآخرهم .

١- في حديث الشفاعة : ﴿... فَيَقُولُ عِيسَى : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ . فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ، فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ . فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ . سَلْ تُعْطَهْ . وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والنسائي عن أنس بن مالك ﷺ . والبخاري والترمذي عن أبي سعيد ﷺ . وأحمد عن ابن عباس ﷺ . والطبراني في الكبير عن سلمان ﷺ . وغيرهم كثير .

- وهو ﷺ محمود بما ملأ به الأرض من الهدي والإيمان ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وما حمل عليه الناس من محاسن الأخلاق ، ومكارم الشيم .
- ويُعقد له ﷺ لواء الحمد (١) .
- وانظر كيف شُرع لنا سنة وقرآنا ، أن نقول عند اختتام الأفعال ، وانقضاء الأمور : الحمد لله رب العالمين . فقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {الزمر : ٧٥} . وقال أيضا : ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {يونس : ١٠} وسن ﷺ الحمد بعد الأكل والشرب ، وقال عند انقضاء السفر : ﴿آيِبُونَ ، تَائِبُونَ ، عَابِدُونَ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ﴾ (٢) .

١- قال رسول الله ﷺ : ﴿...وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الحمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ . بهذا اللفظ رواه الترمذي والدارمي والتبريزي في مشكاة المصابيح عن ابن عباس ﷺ . وبلفظ : ﴿...وَبِيَدِي لِوَاءُ الحمْدِ وَلَا فَخْرَ﴾ . رواه الترمذي والآجري في الشريعة عن أبي سعيد ﷺ ، وأحمد والبيهقي في الشعب والدلائل وأبو يعلى والطيالسي وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس ﷺ ، وأبو يعلى وابن حبان عن عبد الله بن سلام ﷺ ، والآجري في الشريعة عن أنس بن مالك ﷺ ، وأبو نعيم في الدلائل عن أبي هريرة ﷺ .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن أبي شيبة والنسائي عن أنس ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وعبد الرزاق عن ابن عمر ﷺ . والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والنسائي عن البراء بن عازب ﷺ . وأحمد وابن أبي شيبة والطبراني عن ابن عباس ﷺ . والطبراني عن جابر ﷺ .

- ثم انظر لكونه ﷺ خاتم الأنبياء ، ومؤذنا بانقضاء الرسالة ، وارتفاع الوحي ، ونذيرا بقرب الساعة ، وتمام الدنيا ، مع أن الحمد – كما قدمنا – مقرون بانقضاء الأمور ، مشروع عنده ؛ تجد معاني أسمائه جميعا ، وما خص به من الحمد والمحامد ، مشاكلا لمعناه ، مطابقا لصفته ، وفي ذلك برهان عظيم ، وعلم واضح على نبوته ، وتخصيص الله له بكرامته ، وأنه قدم له هذه المقدمات قبل وجوده ، تكرمة له ، وتشريفا .

- وهذا الاسم اشتمل على الحمد ، فإنه ﷺ محمود عند الله ، محمود عند الملائكة ، محمود عند إخوانه من الانبياء ، محمود عند أهل الأرض كلهم – وإن كفر به بعضهم – فإن ما فيه من صفات الكمال محمودة عند كل عاقل – وإن كابر عقله جحوداً أو عناداً أو جهلاً باتصافه بها – ولو علم اتصافه بها لحمده ، فإنه يحمد من اتصف بصفات الكمال ، ويجهل وجودها فيه ، فهو في الحقيقة حامد له ﷺ .

- قال تعالى في محكم آياته : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ ﴾ {الرعد : ٣١} . وقال : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ

ﭐلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ {الحشر : ٢١} . ولما كان سيدنا محمد ﷺ قرآنا يمشي على الأرض – ولفظ (قرآن) أتى في آية سورة الرعد نكرة – لذا فقد كان سيدنا محمد ﷺ هذا القرآن ؛ الذي تُسيَّرُ به الجبال ، وتخشع له ، وتُقطع به الأرض ، ويُكَلَّم به الموتى ، ومن هنا قال البوصيري واصفا هذه المكانة العظمى لرسول الله ﷺ :

لو نَاسَبَتْ قَـدْرَهُ آيَاتُـــهُ عِظَمًــا أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

الله جل جلاله

قال تعالى : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ {الإسراء : ١} .

الباء في (بعبده) حرف جر ، عبده : اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة ، (عبد) مضاف ، والهاء في (بعبده) مضاف إليه .

(عبد) نكرة ، عُرِّفَ بالإضافة إلى (الهاء) .

العبد هو سيدنا محمد ، والهاء هي الهوية .

فأضاف الله تعالى روح سيدنا محمد ﷺ ، إلى اسم الهوية ، ليعرفه لنا .

وبقيت ذاته تعالى في عمائها ، مجهولةً ، لا تُعرَف .

فما ظهر عن الذات غير سيدنا محمد ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ﴾ {الفتح : ٢٩} .

أي : سيدنا محمد ، ظاهرٌ ، باطنه ، الله .

ولا ظاهر ، ولا باطن ، إلا هو ، فقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ {الحديد : ٣} .

ولأجل هذا المعنى ، قال تعالى :

- ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ {النساء : ٨٠} .
- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ {الأنفال : ١٧} .
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح : ١٠} .

ولم يعبر القرآن في أي من هذه الآيات باسم آخر إلا لفظ الجلالة : الله .

بل جعل هذا الاسم عين سيدنا محمد ﷺ ، في سائر ما أخبر به مما سبق . فجعل ظاهر سيدنا محمد ﷺ نائبا مناب اسمه (الله) جل جلاله .

فلم يتجلى الله بذاته على روح أحد من خلقه ، إلا على روح رسول الله ﷺ ، فمن أراد التجلي الذاتي ؛ فليفن في رسول الله ﷺ .

النور

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ {النور : ٣٥} .

اللهم صل على مشكاة جسمه ، ومصباح قلبه ، وزجاجة عقله ، وكوكب سره ، الموقد من شجرة ، أصلها النور المفاض عليه من نور ربه ، نور على نور . بل صل على الضمير البارز المستور ، في النور الثاني الآخر ، المضروب به المثال في عالم المثال .

اللهم صل على من نورت بنوره ملكوت سماواتك وأرضك ، مثل نوره كمشكاة كونك ، فيها مصباح من نوره ، المصباح في زجاجة أجسام أنبيائك وملائكتك ورسلك ، الزجاجة كأنها كوكب دري ، يوقد من شجرة أصلها النور الذي هو المفاض عليه من فيض ذاتك ، نور على نور ، يهدي الله لنوره سيدنا محمد ﷺ من يشاء من خلقه ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شيء عليم .

اللهم إنك عليم بهذا النور البارز المستور ، الباهر المشهور ، الذي بهرت به كلية الكونين ، وطرزت به الثقلين ، وزينت به أركان عرشك ، وملائكة قدسك ، وأدنيته من حضرة جبروتك ، وجعلته المتشفع إليك في ملائكتك وأنبيائك ورسلك ، فهو باب الرضى ، والرسول المرتضى .

اللهم صل على سراج دينك ، وكوكب يقينك ، وقمر توحيدك ، وشمس مشاهدة إحسانك في إيجاد إنسانك .

الفطرة هي النور الذي تشق به ظلمة الممكنات ، ويقع به الفصل بين الصور ، فيُقال هذا ليس هذا ، عند الاختلاف . وقد يُقال هذا عين هذا ، عند الاشتراك ، ف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ {فاطر : ١} .

قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ والعالم كله سماء وأرض ، ليس غير ذلك ، وبالنور ظَهَرَ . قال تعالى : ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ {الإسراء : ١٠٥} . فالسماوات والأرض ؛ الله مظهرها ، فهو نورها ، فظهور المظاهر هو الله ، فهو تعالى ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ففطر السماء والأرض به ، فهو فطرتها ، وهي ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ {الروم : ٣٠} .

فكل مولود يولد على الفطرة (١) .

فأخذهم وسألهم في عالم الذَّرِّ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ {الأعراف : ١٧٢} .

فما فطرهم إلا عليه ، ولا فطرهم إلا به .

فبه تميزت الأشياء ، وانفصلت ، وتعينت .

والأشياء – في ظهورها الإلهي – لا شيء .

فالوجود ، وجوده . والعبيد ، عبيده .

فهم العبيد ، من حيث أعيانهم . وهم الحق ، من حيث وجودهم .

فما تميز وجودهم من أعيانهم إلا بالفطرة ، التي فصلت بين العين ووجودها ! .

فلما كان ذلك غامضا ، فقد ذيَّلَ الله تعالى الآية بقوله : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {الروم : ٣٠} .

أنعم الحق على عباده ، حين دعاهم إلى معرفته ، فَتَنَزَّلَ بضرب الأمثال لهم ، ليُحَصِّلوا بذلك ؛ القدر الذي أراد منهم ، أن يعلموا منه ، مثل قوله

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ومالك وأبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي وعبد الرزاق والطبراني وأبو يعلى والحميدي وابن حبان والطيالسي .

﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ لقوله : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فجعل (النور) نفسه لأنه خبر المبتدأ ، أي صفته وهويته (النور) من حيث إنه (الله النور) .

وأين نور المصباح من قوله : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ﴾ .

في قوله تعالى : ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ أضاف النور إلى نفسه ، لا إلى غيره . وفي قوله : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أضاف النور إلى السموات والأرض ، ليهدينا إلى معرفة نوره المطلق ، كما جعل المصباح هادياً إلى نوره المقيد ، وتمم ذلك بقوله : ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ {النور : ٣٥} . وذكر الله تعالى حيثية ضربه الأمثال بأنه تعالى بكل شيء عليم . لذا لما نهانا الله تعالى عن ضرب الأمثال بقوله : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ { النحل : ٧٤ } . علل حيثية النهي بأننا لا نعلم ، فسبحان الله العليم الخبير .

الله اسم جامع لجميع الأسماء الإلهية ، محيط بمعانيها كلها ، وضرب الأمثال يخص اسماً واحداً معيناً ، فإن ضربنا الأمثال لله – وهو اسم جامع شامل – فما طبقنا المثال على المُمَثَّلِ ، فإن المثال خاص ،

والـمُمَثَّل به مطلق ، فوقع الجهل بلا شك . فنُهينا أن نضرب المثل من هذا الوجه ، إلا أن نعين اسماً خاصاً ينطبق المثل عليه ، فحينئذ يصح ضرب المثل لذلك الاسم الخاص ، كما فعل الله في هذه الآية ، فعين سبحانه اسماً آخر غير الاسم (الله) ، فضرب المثل بالمصباح لذلك الاسم الآخر وهو (النور) ، أي هكذا فافعلوا ، ولا تضربوا الأمثال لله ، فإني ما ضربتها ، فافهموا . فَهَّمنا الله وإياكم مواقع خطابه ، وجعلنا ممن تأدّب بما عرفناه من آدابه ، إنه اللطيف بأحبابه .

النور يُدرَك ، ويُدرَك به . والظلمة تُدرَك ، ولا يُدرَك بها .

وقد يعظم النور ، بحيث أن يُدرَك ، ولا يُدرَك به .

وقد يلطُف ، بحيث أن لا يُدرَك ، ويُدرَك به .

ولا يكون إدراك إلا بنور ، لا بد من ذلك . لذا لما سُئِل النبي ﷺ : هل رأيت ربك ؟ . فقال : ﴿**نُورٌ ، أَنَّى أَرَاهُ !**﴾ (١) . فنبه بهذا القول على غاية القرب ، فإنه تعالى قال : ﴿**وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ**﴾ {ق : ١٦} . أقرب إلى الإنسان من حبل وريده

١- رواه مسلم وأحمد واللفظ له والطبراني في الأوسط وأبو عوانة والطيالسي وابن منده والبزار وابن خزيمة في التوحيد .

وقال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ {الواقعة : ٨٥} .

فالحق هو النور المحض ، والمحال هو الظلمة المحضة .

فالظلمة لا تنقلب نوراً أبداً ، والنور لا ينقلب ظلمة أبداً .

والخلق بين النور والظلمة ، برزخ ، لا يتصف بالظلمة لذاته ، ولا بالنور لذاته .

وهو البرزخ والوسط ، الذي له من طرفيه حكم .

ولهذا قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ {البلد : (٨ – ١٠)} . لكونه بين طريقتين .

فبالعين الواحدة ، يقبل النور ، وينظر إليه بقدر استعداده .

وبالعين الأخرى ، ينظر إلى الظلمة ، ويقبل عليها .

وهو – في نفسه – لا نور ولا ظلمة .

فلا هو موجود ، ولا هو معدوم .

فيتلقى الإنسان النور والظلمة :

- فيكتسب بهذا التلقي – من النور – ما يُوصف به من الوجود .
- ويكتسب بهذا التلقي – من الظلمة – ما يُوصف به من العدم .

فلا يقدر قدر الخلق إلا الله ، فهذا أصل الأنوار والظلمات الظاهرة في العالم ، وهو ما انصبغ به الممكن من الطرفين ، ولولا ما هو بهذه المثابة ، من الحفظ لعين الطرفين ؛ ما وصف الحق نفسه بما أوجبه على نفسه ، بقوله : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ {الأنعام : ٥٤} . وقوله : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . وسيدنا محمد ﷺ هو رحمته ، التي رحم بها كل شيء ، كما نص على ذلك القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} . فصدق فيه ﷺ قول من قال : لولاه ما خُلِقت الأفلاك ولا الأملاك .

فأفاض تعالى على الإنسان من حقيقته - المسماة محمد — فأُضيف للممكن وصف الوجود ، فاتصف الممكن بالوجود والعدم معا ، وإن شئت قلت بأنه لا موجود ولا معدوم :

- فلو كان موجوداً ، لا يتصف بالعدم ، لكان حقاً .
- ولو كان معدوماً ، لا يتصف بالوجود ، لكان محالاً .

ومن هنا صدق فيه قول القائل :

فَإِنْ قُلْتَ حَقٌّ كَانَ قَولُكَ صَادِقاً وَإِنْ قُلْتَ فِيهِ بَاطِلٌ لَسْتَ تَكْذِبُ

ظهور الشمس في مرآة القمر ؛ ظهور حق في خلق . لأن النور اسم من أسماء الله تعالى ، فظهر باسمه النور في ظهور القمر ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ {نوح : ١٦} . فالقمر مجلى لنور الشمس ، والنور هو الحق سبحانه وتعالى ، فإنه الممدّ بالنورية لكل منوّر .

فهو تعالى الذي جعل الشمس سراجاً ، وكذلك جعل نبيه ﷺ سراجاً منيراً ، في قوله تعالى : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ {الأحزاب : ٤٦} . لأنه تعالى يمدّه ﷺ بالنور ، الذي بدوره يمد ﷺ به كل من دعاه إلى الحق ، فهو ﷺ المستفيض الأول والمفيض الثاني :

- المستفيض الأول : أي أنه ﷺ لا مستمد من الله مباشرة غيره .
- المفيض الثاني : أي أنه ﷺ يفيض على الخلق ثانية ، ما استفاضه من الله تعالى أولا .

قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وقال في معرض الامتنان : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ {الأنعام : ١٢٢} . وما يمشي إلا بنفسه ، فعين نفسه ، قد يكون عين نوره ، وليس وجوده سوى الوجود الحق ، وهو النور ، فهو يمشي في الناس بربه ، وهم لا يشعرون ، كما قال : إذا أحب الله عبداً كان سمعه الذي يسمع به ، وذكر في هذا الخبر جميع

قواه وأعضائه ، إلى أن قال : ورجله التي يسعى بها (١) ، وما مشى في الناس إلا برجله ، فهو في حال مشيه بربه ، فهو الحق ليس غيره . فأزال بنوره ظلمة الكون الحادث .

قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {الزمر : ٩}

وقال تعالى في حق من لا يعلم : ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ {الأنعام : ١٢٢} .

والكفر هو الستر والإخفاء ، أي أن الذين ستروا وجود الحق فيهم لا يعلمون . فيُحشرون في ظلمة جهلهم ، ما لهم نور يمشون به ، ولا يسعى بين أيديهم .

والمؤمنون هم الذين أظهروا وجود الحق فيهم ، فظهرت أنواره عليهم ، بين أيديهم وبأيمانهم ، فقيل فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ

١- إشارة إلى الحديث القدسي : ﴿... فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ...﴾ . رواه البخاري (واللفظ له) والبيهقي في السنن والأسماء والصفات والزهد والتبريزي في مشكاة المصابيح وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ . ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأبو يعلى عن أم المؤمنين السيدة ميمونة رضي الله عنها . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه ﷺ .

أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {التحريم : ٨} .

وإتمام النور المقصود هنا هو :

- أن يجعلهم الله تعالى نورا .
- أو إن شئت قلت : يفنيهم عنهم ، ويقيمهم به .
- أو إن شئت قلت : يكون هو تعالى عوضا فيهم ، لهم ، عنهم .
- أو إن شئت قلت : يعطيهم العلم اليقيني بقوله : ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ {الحجرات : ٧} .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : جَعَلَ رسول الله ﷺ يَقُولُ فِي صَلاتِهِ ، أَوْ فِي سُجُودِهِ : ﴿ **اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَاجْعَلْنِي نُورًا**﴾ (١) . فأجاب الله تعالى دعاءه ﷺ :

١- بهذا اللفظ رواه مسلم في صحيحه وأحمد وأبو عوانة والطيالسي ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل عن ابن عباس ﷺ . وفي رواية أخرى بدون قوله ﷺ : ﴿**وَاجْعَلْنِي نُورًا**﴾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد وابن حبان والحاكم وصححه والطبراني وأبو يعلى وعبد الرزاق والبيهقي في الشعب عن ابن عباس ﷺ .

- فأخبرنا تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ {الأحزاب : (٤٥ – ٤٧)} .
فجعله الله تعالى سراجاً منيرا ، فجعله نوراً كما سأل ، ليس ذلك فقط ، بل أمره الله تعالى أن يبشر المؤمنين بذلك النور المحمدي ؛ بأن لهم من الله فضلا كبيرا ، وليس هناك فضل أفضل من أن يشرق هذا النور المحمدي على ظلمتنا ، فتستنير بأضوائه جوانحنا ، حتى نستحق أن نكون منه ﷺ ، وهو مِنَّا .
- دعاء النبي ﷺ ربه : ﴿**وَاجْعَلْنِي نُورًا**﴾ أي حتى أكون بذاتي عين الاسم الإلهي (النور) ، ومن كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله(١) ، ولاينطق عن الهوى (٢) ؛

فما هُوَ هُوَ .

وما بقي لمن يراه ، ما يرى ، إلا الله .

عرف ذلك الرائي ، أو لم يعرفه ، هكذا يشاهده أهل العلم بالله .

١- سبق تخريجه .

٢- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ {النجم : (٣ – ٤)} .

• قال ﷺ في دعائه : ﴿**وَاجْعَلْنِي نُورًا**﴾ . وقال في الحديث : ﴿**حِجَابُهُ النُّورُ** – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ – **لَوْ كَشَفَهُ ؛ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**﴾ (١) . فالسُّبُحات أنوار ، والنور لا يحترق بالنور ، ولكن يندرج فيه ، أي يلتئم معه للمجانسة ، ولما وقف ﷺ على ذلك المقام الذي ذكرناه ، أداه إلى أن يطلب أن يكون نوراً ، فكأنه يقول : اجعلني أنت ، حتى أراك بك ، فلا تذهب عيني برؤيتك ، لكن اندرج فيك .

قال النابغة الذبياني :

بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالمُلُوكُ كَوَاكِبُ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وما ذهب للكواكب عين ، وما ظهر لها عين ، فهي تَرَى ، ولا تُرَى ، لأنها خلف حجاب النور الأعظم ، الذي له الحكم في ظاهر الأمر ، ولأنوار الكواكب حكم في باطن الأمر ، مندرج في النور الأعظم .

• قال ﷺ في دعائه : ﴿**وَاجْعَلْنِي نُورًا**﴾ :

كأنه ﷺ يقول : اجعلني أنت . فإنه تعالى : ﴿**نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾

١- رواه مسلم في صحيحه وابن ماجة وأحمد وابن بطة وأبو عوانة وابن منده وابن خزيمة وابن أبي عاصم والآجري وأبو الشيخ في العظمة عن أبي موسى ﷺ .

فهناك قال الحق تعالى : كنت سمعه عندما يسمع ، وبصره عندما يبصر ، ورجله عندما يمشي ، ويده عندما يبطش ، ولسانه عندما يتكلم (١) .

كأنه ﷺ يقول : اجعلني نوراً يَهتدي بي كل من رآني ، في ظلمات بر ظاهره ، وبحر نفسه وباطنه (٢) . فأعطاه تعالى القرآن ، وأعطانا الفهم فيه . فإن هذه المنحة من أعلى المنح ، في رتبة هي أسنى المراتب .

ومعناه : غيبني عني ، وكن أنت بوجودي ، فيرى بصري كل شيء بك ، ويسمع سمعي كل مسموع بك ، فإن نور كل عضو إدراكه ، وهكذا جميع ما فصله الحديث ، ثم أقمني بعد هذا في عين الجمع والوجود ، فتتحد الأنوار بأحدية العين :

- فإن لم أكن هناك ؛ فبجعلك إياي نورا .
- وإن كنت هناك ؛ فبجعلك فيَّ نوراً أهتدي به في ظلمات كوني ! .

١- سبق تخريجه .

٢- قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ {الأنعام : ٩٧} .

الأول والآخر

عن جابر بن عبد الله ﷺ ، قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء ؟ . فقال ﷺ : ﴿ **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ** ﴾ (١) .

وقال رسول الله ﷺ : ﴿ **كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيينَ فِي الخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي البَعْثِ** ﴾(٢) .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ ؟ . قَالَ : ﴿ **وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجسَدِ** ﴾ (٣) .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ ؟ . قَالَ : ﴿ **بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ** ﴾ (٤) .

١- رواه عبد الرزاق الصنعاني بسنده عن معمر عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله ﷺ .

٢- رواه البيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل والطبراني في الأوسط وابن بطة العكبري في الإبانة وتمام في فوائده والخلال في السنة عن أبي هريرة ﷺ .

٣- بهذا اللفظ رواه الترمذي وصححه والتبريزي في مشكاة المصابيح والقاضي عياض في الشفا عن أبي هريرة ﷺ .

٤- بهذا اللفظ رواه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل والآجري في الشريعة والفريابي في القدر وتمام في فوائده وابن حبان في الثقات وابن عساكر والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة ﷺ .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا ؟ . قَالَ : ﴿ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجسَدِ﴾ (١) .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا ؟ . قَالَ : ﴿وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجسَدِ﴾ (٢) .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا ؟ . قَالَ : ﴿ وَآدَمُ مُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ﴾ (٣) .

- فكان سيدنا محمد ﷺ عين سابقة النبوة البشرية .

- وهو عين خاتم النبيين بقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ {الأحزاب : ٤٠} . إن الرسالة يعني البعثة إلى الناس بالتشريع لهم . والنبوة قد انقطعت . أي ما بقي من يُشَرَّع له من عند الله حكم

١- بهذا اللفظ رواه ابن أبي شيبة والعكبري في الإبانة والحاكم في المستدرك وصححه والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل والطحاوي وابن بشران في أماليه والخلال في السنة والآجري في الشريعة والفريابي في القدر وابن قانع في معجم الصحابة وابن سعد في طبقاته عن ميسرة الفخر ﷺ . ورواية الخلال في السنة فيها زيادة أنه ﷺ سئل عن معنى ذلك ، فقال : ﴿ **قبل أن تنفخ فيه الروح ، وقد خلق**﴾ .

٢- رواه أحمد والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في المعرفة وابن أبي عاصم في السنة والروياني في مسنده وأبو نعيم في الحلية عن ميسرة الفخر ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عباس ﷺ . وأبو نعيم في المعرفة عن ابن أبي الجدعاء ﷺ .

٣- بهذا اللفظ رواه تمام في فوائده عن أبي هريرة ﷺ .

يكون عليه ، ليس هو شرعنا الذي جئنا به ، فلا رسول بعدي يأتي بشرع يخالف شرعي إلى الناس ، ولا نبي يكون على شرع ينفرد به من عند ربه يكون عليه ، فصرح أنه خاتم نبوة التشريع ، ولو أراد غير ما ذكرناه لكان معارضاً لقوله : إن عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً مقسطاً يَؤُمُّنا بنا : أي بالشرع الذي نحن عليه . ولا نشك في أنه عليه السلام رسولٌ ونبيٌ .

- فعلمنا أنه ﷺ أراد أنه لا شرع بعده ينسخ شرعه .

- وسيدنا محمد ﷺ هو أول من أسلم ، وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ {الأنعام : ١٤} . وقوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ {الزمر : ١٢} . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ {الأنعام : (١٦٢ – ١٦٣)} .

- ودخل كل من في الكون في الإسلام ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ {آل عمران : ٨٣} . فكلّ دخل الإسلام : إما طائعا للأمر ، وإما مرغما بالإرادة .

- ودخل بهذا القول كل إنسان في العالم – من بداية الخلق ، إلى يوم القيامة – في أمته ﷺ ، فالنبيون كلهم مسلمون ، اسمع معي قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ {المائدة : ٤٤} . وقوله تعالى في قوم لوط عليه السلام : ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ {الذاريات : ٣٦} . وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ {البقرة : (١٣٠ – ١٣٣)} .

- فالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام من أمة سيدنا محمد ﷺ الظاهرة .
- ومن آدم إلى زمان بعثة رسول الله ﷺ من أمته الباطنة .

- فلا دين على الحقيقة إلا الإسلام ، اسمع معي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ {آل عمران : ١٩} .

- ولا نبي على الحقيقة إلا سيدنا محمد ﷺ ، اسمع معي قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {سبأ : ٢٨} . فلفظ (كافة) يفيد العموم والشمول ، من أول آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ، على ما أوضحناه في غير ما موضع من هذا الكتاب . وأوجد الله تعالى العذر لأكثرية الناس ، الذين يجهلون ذلك ، فقال تعالى في عجز هذه الآية : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

- فهو النبي بالسابقة ، وهو النبي بالخاتمة ، فظهر في رسول الله ﷺ إن السابقة عين الخاتمة في النبوة .

قال ﷺ أنه كان نبيا : ﴿وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ﴾ (١) . والنبي مرسلٌ ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ {الحج : ٥٢} .

١- رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأحمد وابن أبي شيبة وابن بطة وابن أبي عاصم والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في المعرفة عن ميسرة الفخر رضي الله عنه . والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ولكن إرساله ﷺ هنا كان خلافة عن الله ، في إخراج الخلق من العدم . رحمها الله تعالى برحمته التي قال عنها : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . وهذه الرحمة التي وسعت كل شيء أسماها محمداً .

اجتمعت صفات الله الأسنى ، وأسمائه الحسنى ، وتقابلت في معاني الكمالات ، لإظهار حقائق الذات ، فأظهرت كل صفة ، ما يخصها ، من الجمال والجلال ، وأبرز كل اسم ، ما يقتضي معناه ، من الكمال ، وبقيت الذات الإلهية على ما هي عليه من البطون ، على حقيقة الكنزية في الكمون .

أظهر الله تعالى من ذاته ، نسخة جامعة لأسمائه وصفاته . بَرَزَ فيها بروزا ، هو عين الكمون . وظَهَر فيها ظهورا ، هو عين البطون . متصورا ، بصورة بديعة . متنزلا في مشاهده الرفيعة . تكون تلك الصورة مجلى للشأو الرفيع (١) ، ومظهراً للشأن البديع ، وتستأثر في نفسها ، بما لها في قدسها من كنهٍ لا يُعرَف ، وحقيقة لا تُدرَك ، ولا توصف . فتكون نسبة ذلك المظهر الأكمل ، والمجلى الأعز الأفضل ، إلى مظاهر الخلق ، كنسبة الذات إلى الصفات .

فشق من الحمد اسمها . فسمَّاها محمداً ، وأحمداً ، ومحموداً .

١- الشَّأْوُ : الغَايةُ والأَمَدُ . والشَّأْوُ : السَّبْقُ . (لسان العرب)

قال الحافظ بن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح البخاري : فأما (محمد) فمن باب التفعيل للمبالغة ، وأما أحمد فمن باب التفضيل ، وقيل : سمي أحمد لأنه علَمٌ منقول من صفة ، وهي أفعل التفضيل ، ومعناه أحمد الحامدين ، وسبب ذلك ما ثبت في الصحيح أنه ﷺ يُفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يُفتح بها على أحد قبله . وقيل الأنبياء حمادون وهو أحمدهم ، أي أكثرهم حمداً أو أعظمهم في صفة الحمد ، وأما محمد فهو منقول من صفة الحمد أيضا وهو بمعنى محمود ، وفيه معنى المبالغة .

وكان أبو طالب عم النبي ﷺ يقول (١) :

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمه لِيُجِلَّـــــــهُ   فَذُو الْعَرْش مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

والمحمد : الذي حمد مرة بعد مرة ، كالممدح .

فكان رسول الله ﷺ هو حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ، ومن وجه هي للخلائق . فهو ﷺ الْمُسْتَفِيض الأول والْمُفِيض الثاني .

١- عن علي بن زيد ، قال : (اجتمعوا ، فتذاكروا : أي بيت أحسن فيما قالته العرب ؟ . قالوا : الذي قاله أبو طالب للنبي ﷺ :

وشق له من إسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد

أورده البخاري في التاريخ الصغير وابن حبان في الثقات والخلال في السنة والبيهقي وأبو نعيم في الدلائل وابن حجر العسقلاني في الفتح والإصابة .

قال تعالى : ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ {طه : ٥٠} . فالذي أعطى الخلق هو الله ، والقائم بتنفيذ مهمة الخلق هو الخليفة الأوحد ، الذي قال : **﴿ أَنَا قَاسِمٌ ، وَاللهُ يُعْطِي﴾** (١) . فالله يفيض عليه بقدر قابليته ﷺ الكلية التي تسع كافة الخلق ، وهو ﷺ يفيض بالتالي على هذا الخلق ، لذا كان ﷺ يخلق بكلمة (كن) نيابة عن الله تعالى ، فيما استخلفه فيه ، فيما صح عنه ﷺ أنه قال : **﴿كُنْ أَبَا ذَرٍّ﴾** (٢) ، و**﴿ كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ﴾** (٣) . **ففي هاتين الروايتين تَكَوَّنَ أبو خيثمة وأبو ذر** رضي الله عنهما **عن كلمة (كن) من النبي** ﷺ .

١- بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين وابن عبد البر في جامع بيان العلم والتبريزي في مشكاة المصابيح عن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه . وأبو يعلى والطحاوي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢- في غزوة تبوك نظر ناظر من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، هذا رجل يمشي على الطريق ، فقال رسول الله ﷺ : **﴿كُنْ أَبَا ذَرٍّ﴾** فلما تأمله القوم ، قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر . رواه الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر وابن هشام في سيرته عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

٣- رَأَى رسول الله ﷺ رَجُلا مُبَيِّضًا ، يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ، فَقَالَ ﷺ : **﴿كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ﴾** . فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه . المبَيِّض بِكَسْرِ الْيَاء هُوَ لَابِس الْبَيَاض ، وَيَزُول بِهِ السَّرَاب ، أَيْ يَتَحَرَّك وَيَنْهَض ، وَالسَّرَاب هُوَ مَا يَظْهَر لِلإِنْسَانِ فِي الْهَوَاجِرِ فِي الْبَرَارِيّ كَأَنَّهُ مَاء . رواه مسلم في صحيحه وأحمد وعبد الرزاق والطبراني وابن حبان والطيالسي وابن عساكر عن كعب بن مالك رضي الله عنه .

ثم شرح الله تعالى لنا مكانته ﷺ بعبارة أوضح من هذا ، حيث قال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ {الفتح : ١٠} . ثم زاد إيضاحا وتبيانا بقوله : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح : ١٠} .

ومن ثم ، جعل لواء الحمد لواءه . والوسيلة العظمى مستواه . فالأنبياء والأولياء ، صلوات الله عليهم ، مظاهر الأسماء والصفات . وسيدنا محمد ، ﷺ ، مظهر الذات . ولذلك كان هو الختام لمقام الإجلال والإكرام . عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

الظاهر والباطن

أمرنا رسول الله ﷺ ألا نقسم إلا به تعالى .

فهو تعالى عندما أقسم بالضحى والليل ، والبلد ، والفجر ، ... فما أقسم إلا بنفسه ، لأنه لا ينعقد اليمين إلا عند القسم بالله .

قال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ {الحاقَّة : (٣٨ – ٣٩)} .

فما نبصر : هو الظاهر .

وما لا نبصر : هو الباطن .

فقد أقسم تعالى بنفسه في كليهما .

ثم بيَّنها تعالى بآية أخرى : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ {الأعراف : ١٩٨} . فكان هو ﷺ الظاهر والباطن ، المقسوم به في الآية الأولى . خلافة عن الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ {الشورى : ٥١} .

فأما الوحي : فهو ما يلقيه في قلوبهم ، على جهة الحديث ، فيحصل لهم من ذلك علم بأمر ما ، وهو الذي تضمنه ذلك الحديث .

وأما الكلام من وراء حجاب : فهو خطاب إلهي يلقيه على السمع – لا على القلب – فيدركه من ألقي عليه ، فيفهم منه ما قصد به من أسمعه ذلك ، وقد يحصل له ذلك في صور التجلي ، فتخاطبه تلك الصورة الإلهية – وهي عين الحجاب – فيفهم من ذلك الخطاب علم ما يدل عليه ، ويعلم أن ذلك حجاب ، وأن المتكلم من وراء ذلك الحجاب .

وما كل من أدرك صورة التجلي الإلهي ؛ يعلم أن ذلك هو الله ! .

فما يزيد صاحب هذه الحال – على غيره – إلا بأن يعرف أن تلك الصورة – وإن كانت حجاباً – فهي عين تجلي الحق له .

وأما قوله تعالى أو يرسل رسولاً : فهو ما ينزل به الملك ، أو ما يجيء به الرسول البشريُّ إلينا ، إذا نقل كلام الله خاصة ، مثل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ {التوبة : ٦} . وهذا النوع من الكلام هو مقصودنا هنا .

يقول العبد حال ركوعه : سبحان ربي العظيم . ثم يرفع ، وهو رحلته من مقام التعظيم ، إلى مقام النيابة ، وهذا هو أفضل أحوال العبد في الصلاة ؛

النيابة عن الحق ، فإنَّ الله تعالى يقول على لسان عبده فيها : **سمع الله لمن حمده** . والعبد هو القائل بلا شك ، فناب العبد هنا مناب الحق ، وهذا من الاسم الظاهر ، فكأن الحق ظهر بصورة هذا القائل : سمع الله لمن حمده .

وكذلك قوله تعالى لنبيه سيدنا محمد ﷺ في حق الأعرابي : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ {التوبة : ٦} . وهذا الأعرابي ما سمع إلا الأصوات والحروف من فم النبيِّ ﷺ ، وقال الله إن ذلك كلامي ، وأضافه إلى نفسه ، فكأن الحق ظهر في عالم الشهادة ، بصورة التالي لكلامه ، فما ظنك بما هو الأمر عليه بالنسبة إلى جناب الحق . فسبحان من يكلم نفسه بنفسه في أعيان خلقه . فافهم .

فكلم الله المستجير من خلف حجاب سيدنا محمد ﷺ ، إذ كان هو عين الحجاب ، لأن المستجير من المشركين ؛ منه سمع كلام الله ، فلا نشك أن الله كلمنا على لسان رسول الله ﷺ .

فالجلي ما ظهر ، والخفي ما استتر ، ولا يكون الاستتار والخفاء إلا في الأمثال ، وأما في غير الأمثال ، فلا . لأن غير المثل لا يقبل صورة من ليس مثله .

ألا ترى قوله ﷺ في آدم أنه تعالى خلقه على صورته (١) ، فجعله مثلاً ، ثم نفى أن يماثل ذلك المثل ، فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ {الشورى : ١١} . أي ليس مثل مثله شيء ، فنفى أن يماثل المثل ، فاستتر الحق بصورة العبد في قوله : سمع الله لمن حمده . فإن المتَرْجَمَ عَنْهُ (اسم مفعول) ، يستتر بظهور المتَرْجِمْ (اسم فاعل) في باب المماثلة له ، فيظهر الحق بالصورتين .

فإنه سماه عبداً ، وهو عبد قائل عن حق ، فكان لسانه لسان حق في قوله : سمع الله لمن حمده ، وما زال عن كونه عبداً في ذلك . فالله تعالى يظهرنا وقتاً ، ويستر نفسه فيما هو له . ووقتاً يظهر نفسه ويسترنا ، بحسب المواطن ، حكمة منه .

فالكامل من أهل الله ينظر مراد الله في الوقائع ، فأي عين أراد الله ظهورها ، أظهرها . وأي عين أراد الله سترها ، سترها .

- والأدب يقضي بأمر كلي ، أن : ما حَسُنَ عرفاً وشرعاً ، نسبه للحق ، فأظهر الحق فيه ، وجلاه للبصائر والأبصار .

١- حديث : ﴿ **خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ** ﴾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده وعبد بن حميد والدارقطني في الصفات والطبراني وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه . وعبد بن حميد عن أبي سعيد رضي الله عنه . والدارقطني في الصفات والخطيب عن ابن عمر رضي الله عنهما . وعبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه مرسلا . ورفعه أحمد عن قتادة رضي الله عنه عن أبي أيوب رضي الله عنه .

- وما قبح عرفا وشرعا ، نسبه إلى نفسه إن شاء ، وأظهر نفسه فيه وجلاه ، أو نسبه إلى الشيطان إن شاء ، وأظهر عين الشيطان فيه وجلاه ، فيكون باطنه حقا .

– كقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ {النساء : ٧٩} . يدلنا الله تعالى في هذه الآية على مقام الأدب ؛ وهو أن تنسب لنفسك السيئة ، وأنت تنسب إليه تعالى الحسنة .

– وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ {النساء : ٧٨} . وقوله : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ {الشمس : ٨} . وقوله : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ {الإسراء : ٢٠} . يدلنا الله تعالى على مقام ترك الأدب ، وهو الإطلاق ، حيث فيه ننسب كل شيء إليه تعالى .

وبين الأدب وترك الأدب تحار العقول .

التارك للأدب أديب من حيث لا يعلم ، فإنه مع الكشف وبحكمه ، لا مع الذي هم المحجوبون فيه . فهو يعاين علم الله في جريان المقادير ، قبل وقوعها ، فيبادر إليها ، فينطلق عليه بلسان الموطن أنه غير أديب مع الحق ، فإنه مخالف . بل هذا هو غاية الأدب مع الحق ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون ، ومنهم من يقام في الإدلال كعبد القادر الجيلاني ببغداد ، سيد وقته . ومنهم من يكون وقته في ذلك كنت سمعه وبصره .

والأدب يستدعي الغير . لأن الأدب يطلب أدبا مع آخر أو مع سوى .

ولكن عند فناء الأغيار ؛ يزول الأدب ، لأنه ما ثم مع من .

وبالجملة فهو موضع حيرة ، لا يخلص لهؤلاء من جميع الوجوه ، ولا لهؤلاء من جميع الوجوه ، فإن الإخبارات الإلهية أكثرها تعارض الأدلة العقلية في هذا الباب ، وأية حيرة أعظم من هذه الحيرة ، وهذا من المتشابه الذي قال تعالى عنه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ {آل عمران : ٧} . أولو الألباب : هم الآخذون بلب العقل ، لا بقشره . اللهم اجعلنا منهم .

حجب الحق تعالى ذاته بصورة رسول الله ﷺ ، فكان الحق هو الباطن ، ورسول الله ﷺ هو الظاهر :

- قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ {الفتح : ١٠} .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ فاستتر الحق تعالى في صورة النبي ﷺ ، وأظهره لنا بكاف الخطاب .

﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ ثم ستر النبي ﷺ ، وظهر الحق بلفظ الجلالة .

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ أتى بها تأكيدا لرفع الستر .

- وقال تعالى : ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ {الأنفال : ١٧} .

﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ ﴾ فلا يقال في المكلف إنه القاتل .

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ ﴾ بل الله هو القاتل بالمكلَّف وبالسيف ، فقام له المكلَّف مقام اليد الضاربة بالسيف .

﴿ وَمَا رَمَيْتَ ﴾ فنفى الرمي .

﴿ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ فأثبت الرمي لمن نفاه عنه ، فأثبت عين ما نفى .

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ ثم لم يثبت على الإثبات ، بل أعقب الإثبات نفياً ، كما أعقب النفي إثباتاً . فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت لعين واحدة .

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ نفى فيها عين ما أثبته ، فصار إثبات الرمي وسطاً بين طرفي نفي . فالنفي الأول عين النفي الآخر . فمن المحال أن يثبت عين الوسط بين النفيين ، لأنه محصور ، فيحكم عليه الحصر ، ولا سيما والنفي الآخر قد زاد على النفي الأول ، بإثبات الرمي له ، لا للوسط ، فثبت الرمي في الشهود الحسي لسيدنا محمد ﷺ ، بثبوت سيدنا محمد ﷺ في كلمة الحق ، فكما هو رام لا رام ، كذلك هو في الكلمة الإلهية ؛ محمد لا محمد ، إذ لو كان محمداً كما تشهد صورته ، لكان رامياً كما يشهد رميه ، فلما نفى عنه الخبر الإلهي ؛ انتفى عينه ، إذ لا فرق بين عينه ورميه .

- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ {الأنفال : ٢٤} . فوحَّدَ الداعي بعد ذكر الاثنين ، فعلمنا أن

الأمر واحد ، وما سمعنا متكلماً إلا الرسول ﷺ ، بالسماع الحسي . وسمعنا كلام الحق ، بسمع الحق ، بالسمع المعنوي . فالله والرسول اسمان للمتكلم ، فإن الكلام لله – كما قال الله – والمتكلم المشهود هو عين لسان محمد ﷺ : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ {النساء : ٨٠} . فحلاه باسمه ، وكان ظاهراً ، فستره . ثم شرح لنا رسول الله ﷺ ذلك رحمة بعقولنا فقال : ﴿مَنْ رَآنِي ؛ فَقَدْ رَأَى الحقَّ﴾ (١) ، وفي رواية أخرى : ﴿مَنْ رَآنِي ؛ فَقَدْ رَآنِي الحقَّ﴾ (٢) . وقال تعالى في حق رسوله ﷺ : ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ {الأعراف : ١٥٧} . وقال تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ {الحشر : ٧} . فهو ﷺ الآمر الناهي ، الذي يحلل ويحرم ، نيابة عن الله تعالى ، لأنه خليفته .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن عساكر والتبريزي والبيهقي في الدلائل وابن المقرئ في معجمه وابن الآبار في معجمه عن أبي قتادة ﷺ . ورواه البخاري وابن عساكر والخطيب عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

٢- رواه أحمد عن أبي قتادة ﷺ (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) . وأحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

لا ظهور لحقٍّ وخلقٍ معاً . فإذا أظهر الخلق بطن هو ، وإذا ظهر هو هلك ما دونه تحت سطو قهاريته ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ {القصص : ٨٨} . فكل شيء هو موجود ، نشاهده حساً ، ونعلمه عقلاً ، فليس بهالك ، فكل شيء ؛ وجهه . ووجه الشيء ؛ حقيقته . فما في الوجود إلا الله .

ثم قال : ﴿ لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ وهو ما ظهر في عين الأشياء .

ثم قال : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي مردكم من كونكم أغياراً ، إليَّ ، فيذهب حكم الغير ، فما في الوجود إلا أنا .

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ فمن أهلك شيئاً ؛ فقد فقده ، وإذا فقده ؛ لم يجده ، وإذا لم يجده ؛ وجد الله عنده ، فهو يخلفه ، فكما عاد إلى الضمير على الشيء من يخلفه ، ولا يخلف إلا مثله ، لا عينه ، فليس هو هو ، ولا بد من الخلف ، فيخلفه الله وجوده ، وهو قوله : ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾ {النور : ٣٩} . فحيث تفنى الأسباب ؛ هناك يوجد الله .

• قال رسول الله ﷺ : ﴿ أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ ؛ كَلِمَةُ لَبِيدٍ : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ﴾ (١) . الباطل : هو ما ليس له حقيقة يثبت عليها من نفسه ، فما هو موجود إلا بغيره ، فالجوهر الثابت هو العماء(٢) ، وليس إلا نَفَس الرحمن ، والعالم هو جميع ما ظهر فيه من الصور ، فهي أعراض فيه ، يمكن إزالتها ، وتلك الصور هي الممكنات ، ونسبتها من العماء نسبة الصور من المرآة ، تظهر فيها لعين الرائي ، والحق تعالى هو بصر العالم ، فهو الرائي ، وهو العالِم بالممكنات ، فما أدرك إلا ما في علمه من صور الممكنات ، فظهر العالم بين العماء وبين رؤية الحق ، فكان ما ظهر دليلاً على الرائي ، وهو الحق ، فتفطن ، واعلم من أنت ؟ .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي في السنن والشمائل وأحمد وابن ماجة وابن حبان وأبو يعلى وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب والسنن وابن راهويه والحميدي وأبو نعيم في المعرفة عن أبي هريرة ﷺ .

٢- أخرج الطيالسي وابن حبان في صحيحه وأحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة والطبراني في الكبير وابن جرير وابن أبي عاصم في السنة وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة وابن أبي شيبة في العرش وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أَبِي رَزِينٍ العقيلي ﷺ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ ؟ . قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ كَانَ فِي عَمَاءٍ ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الماءِ﴾ . روى الترمذي عن يَزِيدِ بْنِ هَارُونَ ، قَالَ : الْعَمَاءُ : أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ .

العبد إذا رأى الحق ، أو تخيله ، فني فيه عند مشاهدته ، لأنه على صورته ، فيقابله بذاته ، فما بقي فيه جزء يصحو ، حتى يعقل به ، ما فني ، منه ، فيه تعالى . وهكذا كل جزء من العالم مع الحق ؛ إذا تجلى له ، خشع له(١) ، وفني فيه ، لأن كل ما هو عليه شيء من العالم ؛ هو صورة الحق لما أعطاه منه ، إذ لا يصح أن يكون شيء من العالم له وجود ليس هو صورة الحق .

فلا بد أن يفنى العالم في الحق إذا تجلى له ، ولا يفنى الحق في الخلق ، لأن الخلق من الحق ، ما هو الحق من الخلق ، فنسبة الحق إلى الخلق ؛ نسبة الإنسان إلى كل صنف من العالم ، ما عدا نوع الإنسان ، فتفطن لما ذكرته لك ، من فناء كل شيء من العالم عن نفسه ، عند تجليه سبحانه له ، ولا يفنى الحق بمشاهدة الخلق .

وقد جاء الشرع بتدكدك الجبل ، وصعق موسى ‌عليه السلام ، عند التجلي الرباني ، قال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠

١- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ إِذَا تَجَلَّى اللهُ لِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ؛ خَشَعَ لَهُ ﴾ . رواه ابن ماجة وأحمد والنسائي والبيهقي في السنن والحاكم وصححه وابن خزيمة وابن الأعرابي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه . والدارقطني عن أبي بكرة رضي الله عنه . والنسائي وابن خزيمة والروياني وابن قانع عن قبيصة رضي الله عنه .

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ (١١) إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ (١٣) إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ (١٤) ﴾ {طه : (٩ – ١٤)} . صُعِقَ موسى عليه السلام لأن الله تعالى تجلى له من حيث **أنا** ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ .

حُكِيَ أن شابًّا صغيراً كان ملازماً للخلوة ، فقال له الشيخ أبو تراب النخشبي رضي الله عنه : هل رأيت أبا يزيد ؟ (يقصد أبا يزيد البسطامي رضي الله عنه) . قال : لا . فتركه أياما ثم أعاد عليه القول ، فكانت نفس الإجابة . فلما أكثر الشيخ في سؤاله عن رؤية أبي يزيد رضي الله عنه ، قال الشاب : رأيت الله ، فأغناني عن أبي يزيد . فقال الشيخ له : لو رأيت أبا يزيد مرة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة ! . فقال الشاب : قم بنا إليه . فخرجا معاً في طلب أبي يزيد . وإذا بأبي يزيد قد خرج من النهر ، وفروته مقلوبة على كتفه ، فلما رآه الشاب صاح ومات . فقيل لأبي يزيد في موته ، وأنه ذكر أنه يرى الله وما مات ، فكيف يراك فيموت ؟ . فقال أبو يزيد : نعم ! كان يرى الله على قدر حاله ، فلما نظر إلي ؛ رأى الله على قدر حالي ، فلم يثبت ، فمات (١) .

١- هذه الحكاية رواها ابن خميس الموصلي في (مناقب الأبرار) والإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين) وأبو طالب المكي في (قوت القلوب) وفريد الدين العطار في (تذكرة الأولياء) والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في (الفتوحات المكية) .

فقد رأى هذا المريد ما لا يطيق ، لأنه تجلى له الله تعالى من حيث **أنا** ، فلم يطقه ، كما صعق موسى عليه السلام ، لأن الله من حيث **أنا** ، مجلاه أعظم من المجلى الذي كان يشهده فيه ذلك المريد .

اعلم أن الحق لا يكلم عباده ولا يخاطبهم ، إلا من وراء حجاب صورة ، يتجلى لهم فيها ، وذلك لشدة حيائه جل وعلا ، فلا يتجلى لهم كفاحا ، وتكون له تلك الصورة حجاباً عنه ، ودليلاً عليه ، كالصورة الظاهرة الجسدية من الإنسان ؛ إذا أرادت النفس الناطقة أن تكلم نفساً أخرى ، كلمتها من وراء حجاب صورة جسدها ، بلسان تلك الصورة ولغتها ، مع كون النفس مخلوقة . فكيف بالخالق ؟ .

فهو تعالى يتجلى لكل عبد في حاجته ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ {الزمر : ٣٦} . فتجلى الله تعالى لموسى عليه السلام في صورة حاجته ، وهي النار ، كما أخبر تعالى في قوله : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ {النمل : (٧ — ١٠)} .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ . وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا . فَيَتْبَعُونَهُ ...﴾ (١) .

فهو تعالى عند كل معتقد ، وفي تصور من تصوره ، لا يزول بزوال تصور من تصوره إلى تصور آخر ، بل يكون له أيضاً وجود في ذلك التصور الأول والآخر ، كما يتحول يوم القيامة في التجلي من صورة إلى صورة ، وما زالت عنه تلك الصورة التي تحول عنها ، لأن الذي كانت معتقده فيها ، يراه فيها ، فما هو إلا كشف منه تعالى عن عين هذا الذي يدركها ، لا غير . فهم على بصيرة ، وإن ذموه ، فهم الذين تحول في حقهم إلى الصورة التي تحول إليها بعلامتهم ، فهم في ذمهم على بصيرة ، لأنه لذلك خلقهم . قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ {الأنعام : ٩١} .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وصححه وأحمد وابن حبان وعبد الرزاق والطبراني في مسند الشاميين وابن المبارك في الزهد والحاكم عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

ولله در من قال :

إن الوُجودَ وَإِنْ تَعَدَدَ ظَاهِراً　　وَحَيَاتكُم مَا فِيهِ إِلَّا أَنْتُمُ
أَنْتُمْ حَقِيقَةُ كُلِّ مَوجُودٍ بَدَا　　وَوُجُودُ هَذِي الكَائِنَاتِ تَوَهُّمُ
فِي بَاطِنِي مِنْ حُبِّكُم مَا لَو بَدَا　　أَفْتَى بِسَفْكِ دَمِي الذي لا يَعْلَمُ
نَعَّمْتُمُونِي بِالعَذَابِ وَحَبَّـذَا　　صَبٌّ بِأَنْوَاعِ العَذَابِ يُنَعَّمُ

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ :

لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ اليَومِ أُنْكِرُ صَاحِبِي　　إِذَا لَم يَكُنْ دِينُهُ لِدِينِي دَانِي
فَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلاً كُلَّ صُورَةٍ　　فَمَرْعَىً لِغِزْلَانٍ وَدِيراً لِرُهْبَانِ
وَبَيْتاً لِأَوْثَانٍ وَكَعْبَةُ طَائِفٍ　　وَأَلْوَاحُ تَوْرَاةٍ وَأَوْرَاقُ قرآنِ
أَدِينُ بِدِينِ الحُبِّ أَنَّى تَوَجَّهَتْ　　رَكَائِبُهُ فَالحُبُّ دِينِي وَإِيمَانِي

المؤمن

قال رسول الله ﷺ : ﴿ **المؤمِنُ مِرْآةُ المؤمِنِ** ﴾ (١) .

فالمراد بالمؤمن الأول : الحق تعالى ، لأن المؤمن من أسمائه تعالى .

والمراد بالمؤمن الثاني : العبد . فالحق تبارك وتعالى مرآة عبده .

وممكن أن يكون المراد بالمؤمن الأول : العبد ، وبالمؤمن الثاني : الحق .

فيكون العبد مرآة الحق تعالى . إذ في الحقيقة إنه مرآتك ، وأنت مرآته :

- فمن حيث كونك مرآته ، يرى هو صورته فيك ، فتكون أنت عنده عين ذاته ، وصفاتك وأسمائك عين أسمائه وصفاته ، وجميع ما صدر منك ، عين ما صدر منه ، وبهذا الاعتبار قال سبحانه وتعالى : ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ** ﴾ {النساء : ٨٠} . ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ** ﴾ {الأنفال : ١٧} . ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ**

١- رواه الطبراني في الأوسط والضياء في المختارة (وحسنه السيوطي) ورواه البزار والقضاعي في مسند الشهاب وأبو الشيخ في الأمثال وتمام في فوائده والماوردي في أدب الدنيا والدين وابن عدي في الكامل ، عن أنس بن مالك ﷺ . ورواه البخاري في الأدب وأبو داود والبيهقي في سننه وفي الشعب والطبراني في مكارم الأخلاق والديلمي في مسند الفردوس والعسكري وابن جرير وابن وهب عن أبي هريرة ﷺ وقال العراقي : إسناده حسن .

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ {الفتح : ١٠} . ومن ثم قال ﷺ : ﴿ **خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ** ﴾ (١) .

- ومن حيث كون الحق مرآة لك ، ترى أنت ذاتك متجلية بأسمائه وصفاته ، بل تتحقق أن ذاتك هي عين المعبر عنه بذاته . فأنت هو ، وهو أنت . ولاتزال تتحقق صورتك في مرآة كماله ، حتى تتجلى ذاتك بجميع ما لها من تلك المحاسن الظاهرة ، في تلك المرآة المشهودة على التمام والكمال .

وروي عنه ﷺ أنه قال : ﴿ **أَنَا مِنَ اللهِ ، وَالمؤْمِنُونَ مِنِّي** ﴾ (٢) وهذه الرواية

١- رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وعبد بن حميد والدارقطني في الصفات والطبراني . وابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ . وعبد بن حميد عن أبي سعيد ﷺ . والدارقطني في الصفات والخطيب عن ابن عمر ﷺ . وعبد بن حميد عن قتادة ﷺ مرسلا . ورفعه أحمد عن قتادة ﷺ عن أبي أيوب ﷺ .

٢- قال العجلوني في كشف الخفاء : [لا يعرف بهذا اللفظ مرفوعا بل الذي ثبت في الكتاب والسنة أن المؤمنين بعضهم من بعض أما الكتاب ففي قوله تعالى : ﴿ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ {آل عمران : ١٩٥} . وأما السنة ففي قوله ﷺ في حي الأشعريين : ﴿ **هم مني ، وأنا منهم** ﴾ وقوله لعلي كرم الله وجهه : ﴿ **أنت مني ، وأنا منك** ﴾ وقوله للحسن ﷺ : ﴿ **هذا مني ، وأنا منه** ﴾ وكله صحيح . وعند الديلمي بلا إسناد عن عبد الله بن جراد ﷺ : ﴿ **أنا من الله عز وجل والمؤمنون مني ، فمن آذى مؤمنا فقد آذاني** ﴾] اهـ . قلت : ولكن معناه يقرب من معنى الحديث الصحيح : ﴿ **الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي من أحبهم**=

وإن لم يثبت نقلا ، فهي ثابتة عندنا كشفا .

قوله : ﴿**والمؤمنون**﴾ : أي : والمؤمنون بالله أنه عينهم . والمتحققون بما سبق وصفه .

﴿**مني**﴾ : أي : حقيقتي هو الله . وأنا حقيقة من آمن أن الله حقيقته (دون غيرهم ممن لم يؤمن بذلك) .

وكما قال أبو الغيث ابن جميل ﷺ : (**العبد بكل الرب ، عبد ، والرب بكل العبد ، رب**) . فلا اتحاد ولا حلول . فإذا ظهر العبد ؛ بَطُن الرب . وإذا ظهر الرب ، تلاشى (فني) العبد . فأنت حجابه ، وهو هويتك . فلا وجود لك بدون نسبتك إليه . والله عند ظن عبده به ، فليظن به ما شاء ! (١) .

= **فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم ، فقد آذاني . ومن آذاني ، فقد آذى الله**﴾ الذي رواه الترمذي وأحمد والخلال في السنة وابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه عن عبد الله بن مغفل ﷺ . (وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة : رجاله ثقات) .

١- قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الحديث القدسي : ﴿**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**﴾ رواه أحمد في مسنده والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والدارمي وابن حبان وابن المبارك وأبو نعيم في المعرفة والدولابي في الكنى وابن عساكر وابن أبي الدنيا عن واثلة بن الأسقع ﷺ .

الغفار

الغَفر : هو عبارة عن تجلٍّ إلهيٍّ ، بمطلق الجمال والحسن ، فيستر كل قبح في الوجود .

وفي هذا التجلي يظهر بطون الحق تعالى في الأشياء ، من غير حلول . وينكشف حجاب الواحدية عن وجوه الكثرة .

ومن فيض هذا التجلي تصير الأبدال أبدالا ، والبدلية على ثلاثة أنواع :

بدلية الفعل – وبدلية الصفة – وبدلية الذات

١– بدلية الفعل :

بدلية الفعل على نوعين : أعلى وأدنى .

الأعلى : أن يتبدل نفس فعل الإنسان ، بحيث يترك المعاصي بالكلية ، ويصير فَعَّالا للطاعات .

والأدنى : أن يبدل الله له سيئاته حسنات بعفوه تعالى وكرمه : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ {الفرقان : ٧٠} .

٢- بدلية الصفة :

وهي على نوعين أعلى وأدنى .

فالأعلى : أن تتبدل صفات العبد بصفات الرب .

والأدنى : أن تتبدل المذمومات النفسانية بالمحمودات الروحانية ، فيتبدل بخله كرما ، وغضبه حلما ، وضيقه وسعا ، وضره نفعا .

٣- بدلية الذات :

وهي أيضا على نوعين : أعلى وأدنى .

فالأدنى : أن تتبدل ذات العبد بذات الرب ، فلا وجود لذات عبد مع ذات رب ، فلا يستطيع العبد رؤية ذاته بعد أن أشرق فيه نور ذات الرب ، فيكون الرب خليفة عن العبد في المال والأهل والولد .

والأعلى : أن تتبدل ذات الرب بذات العبد ، فتشرق ذات العبد في مرآة ذات الرب ، فيكون العبد خليفة عن الرب .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ {النساء : ٦٤} .

فظلم النفس : أن لا تتحق بأن عينك هي عينه تعالى . يعني أن لا تتحقق أن روحك من روحه ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ {الحجر : ٢٩} . انظر كيف رتبت الآية السجود على النفخ ، ولا تسجد الملائكة إلا لله تعالى ، فسجدت حيث سطعت أنوار الشمس على أرض القمر ، فأصبح المؤمن مرآة المؤمن .

ولرفع الظلم الموجود في الآية السابقة : يجب أن تسعى لحضرته ﷺ ، مستشفعا به ﷺ ، إليه ﷺ ، لتُفني قطرتك في بحره ﷺ ، فتستقبل بقابلية هذا البحر . لأنه تعالى جعله ﷺ مفتاحا لأقفال الأعطية الإلهيات ، حيث صح عنه ﷺ أن خازن الجنان ، يقول له : ﴿بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ﴾ (١) .

فإنك لن تجد الله توابا رحيما إلا عنده ﷺ . لأنه ﷺ هو رحمة ربه ، حيث قال تعالى له : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} .

فعندما يتوب الله عليك ويرحمك ، يحققك به ، فيك ، منه .

١- رواه مسلم وأحمد والبيهقي في الدلائل وأبو عوانة وعبد بن حميد وابن بشران في أماليه وابن أبي عاصم وابن منده في الإيمان والبيهقي في البعث وابن المبارك في الزهد والآجري في الشريعة وابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك ﷺ .

وهو معنى قول رسول الله ﷺ لسيدنا علي كرم الله وجهه : ﴿ **أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ غُفِرَ لَكَ ، عَلَى أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَكَ** ﴾ ؟ (١) . أي إذا قلتهن ؛ يزيدك الله تحققا به ، فيك .

وهذا ما لا نهاية له .

١- رواه أحمد في مسنده والنسائي والحاكم وصححه والطبراني في الأوسط والصغير وابن حبان في صحيحه وعبد بن حميد والبزار والبيهقي في الدعوات وابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة والخلال وابن المقرئ في معجمه وابن السني في عمل اليوم والليلة عن الإمام علي كرم الله وجهه .

الوكيل

قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ {النساء : ٨٠} . لأن الله وكَّله على عباده ، فأمر ونهى ، وتصرَّف بما أراه الله (١) الذي وكله ، ونحن وكلناه تعالى عن أمره وتحضيضه .

فأمره ، هو قوله : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ {المزمل : ٩} .

وتحضيضه ، هو قوله : ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ {الإسراء : ٢} .

فالرسول ، وكيل الوكيل ، وهو من جملة من وكل الحق عن أمره تعالى .

فهو منا ، وهو الوكيل من الوكيل علينا .

فوجب على الموكل طاعة الوكيل ، لأنه ما أطاع إلا نفسه . فإنه ما تصرّف فيه إلا به .

فرتبه الوكالة ، رتبة إلهية ، سرت في الكون ، سريان الحياة .

فكما أنه ما في الكون إلا حيّ ، فما في الكون إلا وكيل مُوَكل . فمن لم يوكل الحق بلفظة ، وكله الحال منه ، وتقوم الحجة عليه .

١- قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ {النساء : ١٠٥} .

وإن وكله بلفظة ، فالحجة أيضاً عليه ، لأن الوكيل ما تصرّف في غير ما فَوَّض إليه موكله ، وجعل له أن يوكل من شاء ، فوكل الرسل في التبليغ عنه إلى الموكلين ، إنه من المصالح التي رأينا لكم أن تفعلوا كذا ، وتنتهوا عن كذا ، فإن ذلكم لكم فيه السعادة والفوز من العطب .

فمن تصرّف من الموكلين عن أمر وكيل الوكيل ، فقد سعد ونجا ، وحاز الخير بكلتا يديه ، وملأهما خيراً : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ {الأنفال : ٢٤} . فلا تتهموا وكيلاً ، ولا تتخذوا إلى تجريحه سبيلاً .

قفوا عند حدّه ، وأوفوا له بعهده ، وهذه حضرة التسليم والتفويض ، وأنت الجناح المهيض .

- فإنه خلقك على صورته (١) .
- ثم كسرك بما شرع لك ، فصرت مأموراً منهياً .
- ثم جبرك من هذا الكسر بما سلب منك ، بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ {الصَّافات : ٩٦} .
- ثم كسرك بالجزاء ، لأنه ما عمل معك إلا ما علم ، وما علم إلا منك .

١- حديث : ﴿ خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ﴾ تقدم تخريجه .

- وليس المهيض سوى هذا ، فإنه المكسور بعد جبر .
- والجبر لا يرد إلا على كسر .
- فالأصل عدم الكسر ، وهو الصحة .
- وليست إلا الصورة .
- فاعلم ما نبهتك عليه ، واسأل به خبيراً (١) .
- فلا علم إلا عن ذوق .

لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلا مَنْ يُكَابِدَهُ وَلا الصَّبَابَةَ إِلا مَنْ يُعَانِيهَا

وليس أدل على وكالته ﷺ علينا من الله في الماضي والحاضر من قوله ﷺ : **﴿ حَيَاتِي خَيرٌ لَكُم ، تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُم . وَوَفَاتِي خَيرٌ لَكُم ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُم ، فَمَا رَأَيتُ مِنْ خَيرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيهِ ، وَمَا رَأَيتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُم﴾** (٢) . جزاه الله عنا خير ما جازى به نبيا عن قومه ، ورسولا عن أمته ﷺ .

١- قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ {الفرقان : ٥٩} .

٢- رواه البزار (وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح) عن عبد الله بن مسعود ﷺ . ورواه الحارث في مسنده وابن سعد في الطبقات عن بكر بن عبد الله المزني ﷺ .

الحق

رَأَيْتُ الحَقَّ فِي الأَعْيَانِ حَقًّا وَفِي الأَسْمَا فَلَمْ أَرَهُ سِوَائِي
وَلَسْتُ بِحَاكِمٍ فِي ذَاكَ وَحْدِي فَهَذَا حُكْمُهُ فِي كُلِّ رَائِي
وَعِنْدَ المثْبتِينَ خِلَافُ هَذَا هُوَ الرَّائِي وَنَحْنُ لَهُ المَرَائِي

ولله در من قال :

فَقُلْ لِّلْحَقِّ : إِنَّ الحَقَّ مَا هُو سِوَاهُ فَهْوَ حَقٌّ فِي الحَقِيقَةِ
فَلَمْ أَنْظُرْ بِعَيْنِي غَيْرَ عَيْنِي فَعَيْنُ الحَقِّ أَعْيَانُ الخَلِيقَةِ

- الحق : هويته الحق . وظاهره الخلق . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة : ١١٥} . فأثبت المشرق والمغرب ، وأثبتك ، ثم أعلمك باضمحلال الكل بظهور وجهه تعالى ، وذكَّرك بصفته التي استوجبت ذلك بأنه تعالى واسع عليم .
- اسمه الحق . قال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ {الحج : ٦ ، ٦٢ . لقمان : ٣٠} . ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ {النور: ٢٥} .

- الحق هو المخلوق به ، فخَلْقُ كل شيءٍ حَقُّهُ . قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ {الحجر : ٨٥} .

- فالحق المنزِّل . والحق التنزيل . والحق المنزَّل . قال تعالى : ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ {الإسراء : ١٠٥} . ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ {البقرة : ١١٩} .

- الحق طلب الحقوق . فبالحق يطلب الحق . ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ {الكهف : ٢٩} .

- والحق من الله ، من حيث هو ربنا . ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ {يونس : ٣٢} . فالحق الوجود . والضلال الحيرة في النسبة .

- ومن صُرِف عن الحق ، إلى أين يذهب ؟ . ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ {التَّكوير : (٢٦ – ٢٧)} . أي أصحاب العلامات والدلائل . فالحق ، هويته هي الظاهرة في المظهر الذي به كانت رتبة الربوبية . فإن أعطى فهو الآخذ ، وإن أخذ فهو المعطي . فمن عرفه ، عرف الحق .

قال تعالى : ﴿ **نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ** ﴾ {محمد : ٢} . فالواو رابط . والجملة الإسمية من المبتدأ والخبر في : ﴿**وَهُوَ ٱلْحَقُّ**﴾ في محل نصب حال لسيدنا محمد ﷺ ، لأن الجمل بعد المعارف أحوال . وسيدنا محمد هو أقرب موصوف . أي حالة كونه ﷺ الحق .

وفي الحديث الصحيح : ﴿ **ومحمد حق**﴾ ، أفرد نفسه هنا في هذا الحديث رغم أن بقية الحديث فيها : ﴿ **والنبيون حق**﴾ لأنه ﷺ مخصوص بالتجلي الذاتي ، وهم – سلام الله عليهم – لهم التجلي الصفاتي والأسمائي . ثم دلنا في بقية الحديث أن الحق هو الله تعالى . وأن باقي المخلوقات خلقت من الحقيقة المحمدية المخصوصة بهذا التجلي الذاتي قائلا : ﴿ **اللَّهُمَّ لَكَ الحمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحمْدُ ، أَنْتَ الحقُّ ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالجنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ**﴾ (١) .

في لفظ البخاري في الصحيح :

– **أنت الحق** : لفظة (حق) معرفة بـ (ال) لأنه تعالى الظاهر .

١– رواه البخاري في صحيحه (واللفظ له) والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والحميدي وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما .

- **والجنة حق ، والنار حق** ، ... : لفظة (حق) منكرة لأنه هنا الباطن .

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ {الحديد : ٣} . وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة : ١١٥} .

ويؤيد ما ذهبنا إليه ، قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ {يونس : ١٠٨} . وفي تفسير القرطبي "الحق" : أي القرآن . وقيل : الرسول ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ {الأنعام : ٥} . وفي تفسير القرطبي : "بالحق" : يعني بالقرآن ، وقيل : بسيدنا محمد ﷺ .

وعندنا أن القرآن هو سيدنا محمد ﷺ ؛ لأنه كان قرآنا يمشي على الأرض ، بدليل قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خُلُقِهِ ﷺ ، فقالت : ﴿ **كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ** ﴾ (١) .

١- رواه البخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يزيد بن بابنوس عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن سعد بن هشام عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي الدرداء عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ {الحجر : ٨٥} . فقصر الخلق على الحق ، بأسلوب القصر : (ما ... إلا) .

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ : يعني برسول الله ﷺ ، حين شفع في المخلوقات إلى الله تعالى ، أن يخرجها من العدم إلى الوجود ، فكساه الله تعالى من صفاته وأسمائه وأفعاله ، وقال له : اخرج عليهم :

- فمن رآك رآني ، فصح عنه ﷺ أنه قال : «مَنْ رَآنِي ؛ فَقَدْ رَأَى الحقَّ»(١) ، وفي رواية أخرى : «مَنْ رَآنِي ؛ فَقَدْ رَآنِي الحقَّ» (٢) .
- ومن سمعك فقد سمعني . قال تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ {التوبة : ٦} . وبديهي أنه سيسمع كلام الله من سيدنا محمد ﷺ ، فمن سمع سيدنا محمد ﷺ فقد سمع الله .
- ومن أطاعك فقد أطاعني ، قال تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ {النساء : ٨٠} .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن عساكر والتبريزي عن أبي قتادة ﷺ . ورواه البخاري والخطيب عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

٢- رواه أحمد عن أبي قتادة ﷺ (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) . وأحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

- ومن بايعك فقد بايعني ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ {الفتح : ١٠} .

- وجعل يده تعالى ، عين يد سيدنا محمد ﷺ ، في البيعة ، فقال : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح : ١٠} . وفي الظاهر كانت يد سيدنا محمد ﷺ هي التي فوق أيديهم .

وهذا الحق تسميه الطائفة بـ (الحق المخلوق به) ، ويُسمى بالروح المحمدي ، ويسمى بالحقيقة المحمدية :

قال جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ : سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله تعالى ، فقال : ﴿هُوَ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرْ﴾ (١) .

١- رواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه عن معمر بن راشد الأذدي الحداني وهو ثقة ثبت فاضل توفي سنة أربع وخمسين ومائة هجرية . عن محمد بن المنكدر ، وهو من التابعين ، وهو ثقة فاضل توفي سنة ثلاثين ومائة ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ ، وهو أحد مكثري الصحابة توفي سنة ثمان وسبعين للهجرة عن عمر يقدر بأربع وتسعين سنة .
ملحوظة : مصنف عبد الرزاق المطبوع بتحقيق الأعظمي ، يبدأ من باب في غسل الذراعين وهو الباب الحادي عشر . ومن هذا يتضح أن الجزء المفقود يشمل عشرة أبواب أولها باب في تخليق نور سيدنا محمد ﷺ وهو يشتمل على ثمانية عشر حديثا . ولمزيد من الاستيضاح انظر الجزء المفقود من الجزء الأول من المصنف بتحقيق الدكتور / عيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع الحميري .

قال تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾ {الحديد : (١-٥)} . وتوضيح ذلك هو أنه تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ ﴾ {الحديد : ٣} . فسمى لنا نفسه أولاً .

فبدؤه أولية الحق ، وهي نسبة ، لأن مرجع الموجودات في جودها إلى الحق ، فلا بد أن تكون نسبة الأولية له . فبدؤه : نسبة الأولية له . ونسبة الأولية له ، لا تكون إلا في المظاهر .

فظهور الحقيقة المحمدية ؛ هو أول مظهر عن الله . وهو الواحدية التي ظهرت عن الأحدية . والواحدية هي الألف . والألف داخلة في كل حروف الهجاء . فظهر كل الخلق عن الحقيقة المحمدية .

قال الله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ {الحديد : ١} .

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾ فهو المسبَّح .

﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ من حيث أعيانهم .

﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ وهو العزيز المنيع الحمى من هويته ، الحكيم بمن ينبغي أن يسبَّح له . الضمير يعود على {الله} ، من : ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ {الحديد : ٢} . ولهذا يسبحه أهلها ، لأنهم مقهورون محصورون في قبضة السموات والأرض .

﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ يحيي العين ، ويميت الوصف . فالعين لها الدوام من حيث حييت ، والصفات تتوالى عليها ، فيميت الصفة بزوالها عن هذه العين ، ويأتي بأخرى .

﴿ وَهُوَ ﴾ الضمير يعود على الله .

﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ أي شيئية الأعيان الثابتة ، يقول : إنها تحت الاقتدار الإلهي .

﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ ﴾ {الحديد : ٣} . الضمير يعود على الله من **(لله)** . والأول خبر الضمير الذي هو المبتدأ ، وهو في موضع الصفة لله . ومسمى الله إنما هو

من حيث المرتبة ، وأول مظهر ظهر هو الحقيقة المحمدية . والعين ما كانت مظهراً إلا بظهور الحق فيها ، فهي أول . والكلام في الظاهر في المظهر ، لأن به تميَّز . فالأول هو الله ، وسيدنا محمد ﷺ حجاب عليه ، ومِجَنٌّ لتوالي الصفات عليه .

ولما كانت الأعيان كلها – من كونها مظاهر – نسبتها إلى الألوهية نسبة واحدة – من حيث ما هي مظاهر – تسمى الله بـ (الآخر) . فهو الآخر آخرية الأجناس ، لا آخرية الأشخاص . وهو الأول بأولية الأجناس ، وأولية الأشخاص ، لأنه ما أوجد إلا عيناً واحدة ، وهو (نور نبيك) . كيفما شئت سميته .

ولما كان العالم له الظهور والبطون – من حيث ما هو مظاهر – كان هو سبحانه الظاهر لنسبة ما ظهر منه ، والباطن لنسبة ما بطن منه .

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ شيئية الأعيان ، وشيئية الوجود ، من حيث أجناسه وأنواعه وأشخاصه .

فقد تبين أن بدأه عين وجود سيدنا محمد . وهو الحق المخلوق به السماوات والأرض .

قال تعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ {يونس : ٣٢} .

وليس بعد الحق إلا الخلق والضلال والحيرة .

فبالخلق ظهر حكم الضلال .

فَعَينُ وُجُودِ الحَقِّ نُورٌ مُحَقَّـقٌ   وَعَينُ وُجُودِ الخَلْقِ ظِلٌّ لَهُ تَبَعُ

فالحق عين الوجود .

والخلق قَيَّدَهُ بالإطلاق .

فالخلق قيده مقيد ، فلا حكم إلا له وبه .

والحق الحاكم ، لا يحكم إلا بالحق .

فحق الحق ؛ عين الخلق : ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ {يونس : ٣٢} . والأمر كما قلناه .

وماسُمِّيَ الحق خلقاً إلا بما يخلق منه .

فالخلق جديد ، وفيه حقيقة اختلاق ، لأنك تنظر إليه من وجه ، فتقول : هو خلق وهو في نفسه لا حق ولا غير حق . فإطلاق الحق عليه ، أو الخلق ، كأنه اختلاق ، فغلب عليه هذا الحكم ، فسُمِّيَ خلقاً .

وانفرد الحق باسم الحق ، إذ كان له وجوب الوجود بنفسه .

وكان للخلق وجوب الوجود به ، لا أقول بغيره ، فإن الغير ما له عين هنا ، وإن كان له حكم ، كالنسب ، لا عين لها ، ولها الحكم .

فبالحق خلق السماء والأرض .

وبالحق نزل القرآن ، ومن الحق نزل ، وللحق نزل .

ففي الخلق تاه الخلق ، لأنه ليل سُلِخ منه النهار ، فإذا هم مظلمون ، حيارى ، ما لهم من نور يهتدون به ، كما جعل الله النجوم لمن يهتدي بها في ظلمات البر والبحر ، وهو نظر العامَّةِ .

والخواص في ظلمات لا يصرون : ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ {البقرة : ١٧١} .

تارة يقولون : نحن نحن ، وهو هو . وتارة يقولون : هو نحن ، ونحن هو ، وتارة يقولون : لا نحن نحن مخلصون ، ولا هو هو مخلص .

ثم صدق الله هؤلاء الخواص في حيرتهم ، بقوله تعالى لأخص خلقه علماً ومعرفة : ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ ﴾ {الأنفال : ١٧} . فنفى عين ما أثبت ، فما أثبت وما نفى .

فأين العامة من هذا الخطاب ؟

فالعلم بالله حيرة ، والعلم بالخلق حيرة .

وقد حجر النظر في ذاته ، وأطلقه في خلقه (١) .

١- قال رسول الله ﷺ : ﴿ تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللهِ ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ ﴾ . رواه ابن أبي حاتم في تفسيره وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الشعب والرافعي في أخبار قزوين عن ابن عمر ﷺ . وبلفظ : ﴿ تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ ﴾ . رواه أبو الشيخ في العظمة عن أبي ذر ﷺ . وهناد في الزهد عن الحسن الطَّيِّلاِ .

فالهداية في النظر ، لا في الخلق ، لأنه الهادي ، وقد هدى .

والعمى في النظر في الحق ، فإنه قد حجر ، وجعله سبيل الردى .

وهذا خطاب خاطب به العقلاء ، ما خاطب به أهل الجمع والوجود .

فما نظر قط أهل الخصوص في اكتساب علم به ولا معلوم ، وإنما جعل لهم أن يهيئوا مَحَالَّهُم ، ويطهروا قلوبهم : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ {المائدة : ٥٢} . لأنهم عاينوا ما وصلوا إليه بالفتح الإلهي ، والأمر عين ما انفصلوا عنه ، فما زادهم إلا إيماناً بالحيرة ، وتسليماً لحكمها .

ومن هذه الحضرة قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ {الأنبياء : ١٨} . أثبت أن الباطل شيء ، قَذَفَ بالحق عليه ، فدمغه ، فإذا الباطل زاهق . ولا يزهق إلا ما له عين . وما نتخيل أن له عيناً ؛ فلا بدَّ له من رتبة وجودية ، خيالاً كانت أو غير خيال ، وقد اعتنى بها على كل حال .

ثم أنه من أعظم الحيرة في الحق ؛ أن الحق له الوجود الصرف ، فله الثبوت ، وصور التجلي حق بلا شك . ما من صورة يتجلى فيها ؛ إلا ذهبت ما لها رجوع ولا تكرار ، وليس الزهوق سوى عين الذاهب ، فأين تذهبون .

فهل في الحق باطل ؟ . أو ما هو الباطل ؟ .

وما أذهب الصورة إلا قذف الصورة الأخرى ، وهي تذهب ذهاب أختها .

فهي من حيث ورودها حق ، ومن حيث زهوقها باطل .

فهي الدامغة المدموغة .

فصدق من نفى رؤية الحق ، فإن الحق لا يذهب .

فإنه إن كانت الصور صورنا ، فما رأينا إلا أنفسنا ، ونحن ليس بباطل ، وقد زهقنا بنا ، فنحن الحق ، لأن الله بنا قذف علينا ، فما أتى علينا إلا منا .

فالله بالحق قاذف ، والعبد للحكم الإلهي واقف .

فلا تعتمد على من له الزهوق ، فإنه ما يحصل بيدك منه شيء .

ولا تعتمد إلا عليك ، فإن مرجعك إليك .

وإلى الله ترجعون ، كما ترجع الأمور .

فمن هنا قال من قال ، من رجال الله : أنا الله . فاعذروه .

فإن الإنسان بحكم ما تجلى له ، ما هو بحكم عينه ، وما تجلى له غير عينه .

فسلم ، واستسلم ، فالأمر كما شرحته .

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ {الأنعام : ١٤٩} . ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ {النحل : ٩} .

الولي

رسالة الرسول : هي بين الرسول وأمته .

ونبوة النبي : هي بين النبي ونفسه .

وولاية الرسول أو النبي أو المؤمن : هي بينه وبين الله سبحانه وتعالى .

فولاية الرسول والنبي أفضل من نبوته ، ونبوته أفضل من رسالته .

لم يطلق الله تعالى على نفسه رسول أو نبي ، كما أطلق في الولاية ، فسمى نفسه ولياً ، وما سمى نفسه نبيا ولا رسولا ، ولهذا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي ، وَلَا نَبِيَّ** ﴾ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ ، قَالَ : ﴿ **وَلَكِنْ المبَشِّرَاتُ** ﴾ قَالُوا : يَا رَسُولَ الله وَمَا المبَشِّرَاتُ ؟ . قَالَ : ﴿ **رُؤْيَا الرَّجُلِ المسْلِمِ ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ** ﴾(١) . وما انقطعت إلا من وجه خاص ، انقطع منها مسمى النبي والرسول ، ولذلك قال : ﴿ **فَلَا رَسُولَ بَعْدِي ، وَلَا نَبِيَّ** ﴾ ، ثم أبقى منهما المبشرات ، وأبقى منها حكم المجتهدين ، وأزال عنهم الاسم . أبقى الحكم ، وأمر من لا علم له بالحكم الإلهي ، أن يسأل أهل الذكر ، قال :

١- رواه الترمذي وصححه وأحمد والحاكم وصححه عن أنس بن مالك ﷺ .

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ {النحل : ٤٣ ، الأنبياء : ٧} .
فيفتونهم بما أداه إليه اجتهادهم ، وإن اختلفوا ، كما اختلفت الشرائع : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ {المائدة : ٤٨} . وكذلك لكل مجتهد جعل له شرعة من دليله ، ومنهاجا وهو عين دليله في إثبات الحكم ، وقرر الشرع الإلهي ذلك كله ، فحرَّم الشافعي عين ما أحلَّه الحنفي ، وأجاز أبو حنيفة عين ما منعه أحمد بن حنبل ﷺ ، فأجاز هذا ما لم يجز هذا ، فاتفقوا في أشياء ، واختلفوا في أشياء ، وكل في هذه الأمة شرع مقرر لنا من عند الله ، مع علمنا أن مرتبتهم دون مرتبة الرسل الموحى إليهم من عند الله .

فالنبوة والرسالة من حيث عينها وحكمها ما نسخت ، وإنما انقطع الوحي الخاص بالرسول والنبي من نزول الملك على أذنه وقلبه . وتحجير إطلاق اسم النبي والرسول ، فلا يقال في المجتهد أنه نبي ولا رسول .

فاسم الرسالة والنبوة ما هو لله ، ولا للأولياء ، بل هو اسم خاص للعبودية التي هي عين القرب من السيد جل وعلا ، وعدم مزاحمته في رتبته ، بخلاف الولاية ، فإن العبد مزاحم له تعالى في اسم الولي .

ولله در من قال :

بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالوِلَايَةِ فَارِقٌ
لَكِنْ لَهَا الشَّرَفُ الأَتَمُّ الأَعْظَمُ
إِنَّ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ كَانَتَا
وَقَدِ انْتَهَتْ وَلَهَا السَّبِيلُ الأَقْوَمُ
وَأَقَامَ بَيْتاً لِلوِلَايَةِ مُحْكَماً
فِي ذَاتِهِ فَلَهُ البَقَاءُ الأَدْوَمُ
صِفَةُ الدَّوَامِ لِذَاتِهِ نَفْسِيَّةٌ
فَهُوَ الوَلِيُّ فَقَهْرُهُ مُتَحَكِّمُ
يَأْوِي إِلَيْـهِ نَبِيُّـهُ وَرَسُولُـهُ
وَالعَالَمُ الأَعْلَى وَمَنْ هُوَ أَقْدَمُ

الولي : هو المتولي أمر الوجود بذاته ، المتجلي في ذلك بأسمائه وصفاته .

الولي : قد يطلق ويراد به (الفاعل) ، وقد يراد به معنى (المفعول) .

اللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمُؤْمِنُ وَلِيُّ اللهِ

فالولاية مشتركة : بين الله ، وبين المؤمنين ، كما قال الصادق الأمين ﷺ : «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ**» (١) . على ما بيناه في موضعه من هذا الكتاب .

١- رواه الطبراني في الأوسط والضياء في المختارة (وحسنه السيوطي) والبزار والقضاعي في مسند الشهاب وابن عدي في الكامل ، عن أنس بن مالك ﷺ . ورواه البخاري في الأدب وأبو داود والبيهقي في سننه وفي الشعب والديلمي في مسند الفردوس والعسكري وابن جرير عن أبي هريرة ﷺ وقال العراقي : إسناده حسن .

فكل ما عليه الكون من الظهور والبطون ، والتبديل والتغيير والتحويل ، والنقص والكمال ، والإيجاد والإعدام ، والتقديم والتأخير والحدوث ، وغير ذلك مما هو للوجود بأسره ، فالله سبحانه وتعالى متولي أمر ذلك ، وجميعه راجع إليه صورة ومعنى ، وجودا وحكما ، قال تعالى : ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ {الشُّورى : ٩} .

فإن أطلق الله ألسنة الخلق على عبد بأنه : (ولي الله) ؛ ورأى هذا العبد أن الله تعالى قد أطلق عليه اسما أطلقه على نفسه ؛ فلا يسمعنه إلا بأحد طريقين :

- يسمعه من الله تعالى ، الذي كساه اسما من أسمائه . على أنه خليفة عن الله ، وهنا يكون بمعنى (الفاعل) .
- يسمعه ممن يسميه به من الخلق ، على أنه بمعنى (المفعول) لا بمعنى (الفاعل) ، حتى يشم فيه رائحة العبودية .

وإنما قلنا هذا من أجل ما أُمرنا أن نتخذه – سبحانه – وكيلاً ، حيث قال تعالى : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ {المزمل : ٩} . فيما هو له ، مما نحن مستخلفين فيه ، فإن في مثل هذا مكراً خفياً ، فتحفظ منه . ويكفي من التنبيه الإلهيّ العاصم من المكر ؛ كونك مأموراً بذلك ، فامتثل أمره ، واتخذه وكيلا ، لا تدعي الملك ، فإنّ الله تولاك ، فإنه تعالى قال على لسان سيدنا

محمد ﷺ : ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {الأعراف : ١٩٦} . واسم الصالح من خصائص العبودية :

– ولهذا وصف سيدنا محمد ﷺ نفسه بالصلاح ، وشهد بها لنفسه ، وهي حالة لا تكون إلا للعبيد الكُمَّل .

– ومنهم من شهد له بها الحق عز وجل ، بشرى من الله ، فقال في عبده يحيى عليه السلام : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {آل عمران : ٣٩} . وإسحاق عليه السلام حيث قال فيه : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {الصافات : ١١٢} . وقال في نبيه عيسى عليه السلام : ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {آل عمران : ٤٦} .

– ومنهم من شهد له الحق ؛ أنه سيكون في الآخرة من الصالحين مثل إبراهيم عليه السلام : ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {البقرة : ١٣٠ ، النحل : ١٢٢ ، العنكبوت : ٢٧} (١) .

١– وهذا من أجل الثلاثة الأمور التي صدرت منه في الدنيا : وهي قوله عن زوجته سارة أنها =

– وأما سليمان وأمثاله عليهم السلام ، فأخبرنا الحق أنه قال : ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {النمل : ١٩} .

فكلهم – وإن كانوا صالحين في نفس الأمر عند الله – فهم بين سائل في الصلاح ، ومشهود له به ، مع كونه نعتاً عبودياً لا يليق بالله .

فما ظنك بالاسم (الوليّ) ، الذي قد تسمى الله به ، بمعنى الفاعل ، فينبغي أن لا ينطلق ذلك الاسم على العبد ، وإن أطلقه الحق عليه ، فذلك إليه تعالى ، ويلزم الإنسان عبوديته .

فلما أنزل الله تعالى على عبده سيدنا محمد ﷺ هذه الآية ، ليعرف الناس بها ، فكأن الله حكى عن نبيه ﷺ ما لا بد له أن يقوله ويتلفظ به ، فجعله تعالى قرآناً يتلى ، إذ كان ذلك من خصائص العبيد في نفس الأمر ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {الأعراف : ١٩٦} . فشهد له بالصلاح ، إذا كان الحق حاكياً في هذه الآية ، وإن كان

= أخته ، بتأويل . وقوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ {الصافات : ٨٩} . اعتذاراً . وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ {الأنبياء : ٦٣} . إقامة حجة . فبهذه الثلاثة يعتذر يوم القيامة للناس ، إذا سألوه أن يسأل ربه فتح باب الشفاعة ، فلهذا ذكر صلاحه في الآخرة ، إذ لم يؤاخذه بذلك . كما قال الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ {الفتح : ٢} . وقال : ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ {التوبة : ٤٣} . فقدم البشرى قبل العتاب .

آمراً ؛ فيكون من المشهودين لهم بالصلاح ، فعرفنا أن الله تولاه ، وأخبرنا أن الله ﴿يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فشهد سيدنا محمد ﷺ لنفسه بالصلاح ، بالوجه الذي ذكرناه ، ولم يُنقل ذلك عن غيره من الأنبياء والرسل ، وهو قوله تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ {البقرة : ٢٥٣} . أي فكذلك أنت ، فكان من فضله نيل مثل هذا المقام .

فاحفظ يا وليّ ، نفسك ، في التخلق بأسماء الله الحسنى ؛ فإذا وُفقت للتخلق بها ، فلا تغب في ذلك عن شهود آثارها فيك ، ولتكن فيها ، ومعها ، بحكم النيابة عنها ، فتكون مثل اسم الرسول . فلا تشارك الحق في إطلاق اسم عليك من أسمائه بذلك المعنى ، والزم الأدب : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ {طه : ١١٤} .

قَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللهِ ، مَنْ أَوْلِيَاءُ اللهِ ؟ . قَالَ : ﴿الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ؛ ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ (١) .

١- رواه ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المبارك في الزهد والدولابي في الكني وابن أبي الدنيا عن سعيد بن جبير ﷺ . وابن أبي حاتم وابن جرير والنسائي والطبراني في الكبير وأبو نعيم في أخبار أصبهان وابن المبارك في الزهد والحكيم الترمذي عن ابن عباس ﷺ مرفوعا وموقوفا . والبغوي في تفسيره عن أبي مالك الأشعري ﷺ . وفي رواية : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : **﴿أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ﴾** ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله . قَالَ : **﴿الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾** =

﴿إِذَا رُؤُوا ؛ ذُكِرَ اللهُ﴾ : أي لتحققهم بالله ، يغيبون به ، عنهم ، وعن عيون الخلق . فإذا رآهم الناس ؛ لم يروا غير الله ، فتذكرهم بالله رؤيتهم ، مثل الآيات المذكرات . وهذا هو قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ {فصلت : ٥٣} . أي حتى يعلم أن الحق هو عينه ، فيصبح الولي هو في نفسه آية ، لأنه أصبح مظهرا لله ، وهو قوله تعالى في الحديث القدسي : **﴿مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ**

= أخرجه أحمد وابن ماجة والطبراني في الكبير والحكيم الترمذي وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد وابن راهويه والبخاري في الأدب المفرد وابن أبي الدنيا في الأولياء عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها . وأخرج أحمد والحكيم الترمذي والطبراني في الأوسط وابن قانع في معجمه وابن أبي الدنيا في الأولياء وأبو نعيم في الحلية عَنْ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : **﴿لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ ، حَتَّى يُحِبَّ لله تَعَالَى ، وَيُبْغِضَ لله ، فَإِذَا أَحَبَّ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَأَبْغَضَ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْوَلَاءَ مِنْ الله . وَإِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي ، وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي ؛ الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي ، وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ﴾** .

اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ﴾ (١) . ومعناه أن الله سبحانه وتعالى يُغَيِّبُ وَلِيَّهُ عن نفسه ، عندها يفنى من لم يكن ، ويبقى من لم يزل ، ويصبح ، هو ، تعالى ، في الولي عوضا عنه ، فيصبح الولي قائما بقيومية الله تعالى عليه ، موجودا بوجوده تعالى فيه ، حيًّا بحياته تعالى ، فيرى ببصره كل شيء به ، ويسمع سمعه كل مسموع به ، وهكذا في كل عضو ، وهكذا جميع ما فصَّله الحديث . ويصبح الولي :

- قادرا بقدرة الله تعالى ، كما قال تعالى على لسان وليه : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ {النمل : ٤٠} . الكفر هنا هو ستر وجود الله ، والشكر هو نسب الفعل لله تعالى ، فعند ظهور الكرامة على يد الولي يكون ذلك بلاء ، وهو قوله : ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ ؛ فظهور الكرامة ربوبية ، وهذه الربوبية مقتضاها عبودية ، فإذا نسب الولي

١- رواه البخاري (واللفظ له) والبيهقي في السنن والأسماء والصفات والزهد والتبريزي في مشكاة المصابيح وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ . ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأبو يعلى عن أم المؤمنين السيدة ميمونة رضي الله عنها . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه ﷺ .

الفعل لله ، وكَفَرَ نفسه ، فقد شكر ، وتعرض للمزيد . وإذا نسب الولي الفعل لنفسه ، وستر الله ، فقد كفر الله ، وتعرض للحرمان . قال رسول الله ﷺ : ﴿ **أَحْسِنُوا جِوَارَ نِعَمِ اللهِ** ﴾ (١) .

- وتنفعل له الأشياء بكلمة (كن) كما ورد عنه ﷺ ، أنه قال : ﴿ **كُنْ أَبَا ذَرٍّ** ﴾ (٢) ، و﴿ **كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ** ﴾ (٣) . ففي هاتين الروايتين تَكَوَّنَ أبو ذر وأبو خيثمة رضي الله عنهما عن كلمة (كن) من النبي ﷺ .

- ويحيي الموتى ، كما حدث في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، أنه طلب من الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى ؟ . فأراه الله تعالى ذلك من نفسه ، بأن جعله الله تعالى هو يحيي الموتى ، كما أخبرنا تعالى بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ {البقرة : ٢٦٠} .

١- بهذا اللفظ رواه أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه . ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب والخطيب البغدادي في تاريخه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٢- سبق تخريجه .

٣- سبق تخريجه .

فكان الاستدعاء من إبراهيم عليه السلام ، وكان البعث والإحياء من الله تعالى ، فكان إبراهيم عليه السلام مظهرا لجريان قدرة الله تعالى على يديه في البعث والإحياء .

- وقال تعالى في حق عيسى عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ {المائدة : ١١٠} . فهنا أطلق الحق تعالى لفظ ﴿ تَخْلُقُ ﴾ على فعل عيسى عليه السلام . ثم أعلم أن ذلك كان بإذنه تعالى ، فلما حُجِبَت النصارى بما ظهر من عيسى ، عن حقيقة عيسى ، قالوا فيه ما قالوا . وقد طلب لهم عيسى عليه السلام العذر – رغم ما قالوه – لعلمه بعظم الفتنة التي تعرضوا لها ، فقال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ {المائدة : ١١٨} . (كاف) عبادك هي (كاف) إضافة . فأضافهم إليه تعالى ، وكفى بها

شرفاً ؛ شرف الإضافة إلى الله تعالى ! . فتأدب عيسى عليه السلام مع الله في هذا القول ، لما عصى قومه الله تعالى ، ولم يتوبوا ، فعلم الله منه ذلك ، وأنه عَرَّضَ بالمغفرة ، لما علم أن رحمته تعالى سبقت غضبه (١) .

- فلما أصبح الولي قادرا – بقدرة الله تعالى – على كل شيء ، عبَّر أبو الغيث بن جميل رضي الله عنه عن هذا لما سئل : كيف أصبحت ؟ . فقال : **أصبحت أحيي وأميت ، وأفعل ما أريد ، وأنا على كل شيء قدير !** .

ومن كان الحق تعالى سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ، فما هُوَ ، هُوَ ، وما بقي فيه لمن يراه شيئ منه ، فما يرى الرائي فيه إلا الله ، عرف ذلك الرائي ، أو لم يعرفه ، هكذا يشاهده أهل العلم بالله .

من المؤمنين الخلفاء ، من يظهر في العالم ، ويمشي في الأسواق ، بصفات من استخلفه . قالت بلقيس في عرشها : كأنه هو (٢) ، وما كان إلا هو

١- بلفظ : ﴿سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي﴾ أخرجه البخاري ومسلم وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه وأخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وأبو نصر السجزي في الإبانة والديلمي عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه . وبلفظ : ﴿إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي﴾ أخرجه عبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه عبد بن حميد عن عكرمة رضي الله عنه .

٢- إشارة إلى قوله تعالى في سورة النمل : ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ {النمل : (٤١- ٤٢)} .

ولكن حجبها بعد المسافة ، وحكم العادة ، والتنكير ، وجهلها بقدر سليمان عليه السلام عند ربه ، فهذا حجبها أن تقول : هُوَ ، هُوَ . فقالت : كأنه هو . وأيّ مسافة وأي تنكير ، أبعد من قوله : ليس كمثله شيء(١) ممن مثله أشياء .

قال الكامل ﷺ : إنما أنا بشر مثلكم . عن أمر الله . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ {الكهف : ١١٠ ، فصلت : ٦} . قيل له ﷺ : قل ، فقال . وبهذا علمنا أنه عن أمر الله ، لأنه نقل الأمر لنا ، كما أمر به ، وكان هذا القول دواء للمرض ، الذي قام بمن عبد عيسى عليه السلام من أمته ، فقالوا : إن {الله} هو {المسيح ابن مريم} (٢) ، وفاتهم علم كثير ، حيث قالوا : {ابن مريم} ، وما شعروا . ولهذا قال الله تعالى في إقامة الحجة على من هذه صفته : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ {الرعد : ٣٣} . فما يسمونهم إلا بما يُعرفون به من الأسماء ، حتى يعقل عنهم ما يريدون ، فإذا سموهم ، تبين في نفس الاسم أنه ليس الذي طلب منهم الرسول المبعوث إليهم أن يعبدوه .

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ {الشورى : ١١} .

٢- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾ {المائدة : ١٧ ، ٧٢} .

وإنما قلنا هُوَ ، هُوَ ، لما يعطيه الكشف الصحيح في الخصوص ، والإيمان الصريح في العموم ، كما ورد به الخبر النبويّ الإلهيّ ، من أن الله إذا أحب عبده ؛ كان سمعه وبصره ، ... (١) . وذكر قواه وجوارحه ، والإنسان ليس غير هذه الأمور المذكورة ، الذي جعل الحق هويته عينها :

- فإن كنت مؤمناً ، عرفت بمن آمنت .

- وإن كنت صاحب شهود صحيح ، عرفت من شاهدت .

وأكثر من هذا البيان النبويّ عن الله ؛ ما يكون في قوّة الإنسان ، حتى يكون المؤمن صاحب حال عيان ، فيعرف عند ذلك من هو عين هذه الأكوان والأعيان ؟ .

قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللهَ وَلِيي ، وَأَنَا وَلِيُّ المؤْمِنِينَ** » (٢) .

ولما كان سيدنا محمدا ﷺ متوليا بذاته وصفاته ، لذات الله تعالى وصفاته ، وكان التولي الإلهي للعالم الكوني راجعا إليه ﷺ ، كما هو راجع إلى الله تعالى ، فيكون الولي هو سيدنا محمد ﷺ خلافةً عن الله .

١- سبق تخريجه .

٢- رواه النسائي في السنن الكبرى والخصائص وابن عساكر في تاريخه وابن حجر في الإصابة وابن الأثير في أسد الغابة عن الإمام علي كرم الله وجهه . وابن أبي عاصم في السنة عن زيد بن أرقم ﷺ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ {المائدة : ٥٥} . ففتح الله تعالى الباب لرسوله ﷺ أن يولي من يشاء ، لذا فقد زاد بعد ﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الآية السابقة : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثم ذكر وصف هؤلاء المؤمنون بأنهم : ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ وهذا الوصف ما سمعنا أنه ورد في أحد من الصحابة ، إلا في الإمام علي كرم الله وجهه ؛ الذي مر به سائل وهو راكع ، فأعطاه خاتمه (١) . وبذلك نال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هذه الولاية . وقد صح في الحديث عن المصطفى ﷺ أنه يوم غدير خُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، وَقَالَ : ﴿ **أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾ ؟ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : ﴿ **أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ**﴾ ؟ . قَالُوا : بَلَى . فَأَخَذَ ﷺ بِيَدِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : ﴿ **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ؛ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**﴾ (٢) .

١- رواه ابن جرير الطبري في تفسيره والبغوي في تفسيره وابن أبي حاتم في تفسيره والطبراني في الأوسط وابن مردويه وابن عساكر في تاريخه وأبو نعيم في الحلية .

٢- رواه الترمذي وصححه وابن ماجة وأحمد والحاكم (وصححه وأقره الذهبي) والطبراني في الكبير والأوسط والصغير وأبو يعلى وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والنسائي وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر في تاريخه . =

فَلَقِيَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ له : (هَنِيئًا يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ) (١) .

وقيل لعمر ﷺ : إنك تصنع بعلي كرم الله وجهه ، شيئا ، لا تصنعه بأحد من الصحابة ! . فقال عمر ﷺ : (إِنَّهُ مَولاي) (٢) .

= وفي نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ذكر أن هذا الحديث ورد عن واحد وعشرين صحابيا . وفي رواية عن الإمام أحمد أن هذا الحديث سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابيا . وقال الحافظ ابن حجر : [حديث كثير الطرق جدا ، استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد ، منها صحاح ، ومنها حسان ، قال ذلك يوم غدير خم] اهـ . وأورد الثعلبي في تفسيره والعصامي في سمط النجوم العوالي عن ابن عيينة أن النبي ﷺ لما قال ذلك ، طار في الآفاق ، فبلغ الحارث بن النعمان فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أمرتنا عن الله بالشهادتين فقبلنا ، وبالصلاة والزكاة والصيام والحج فقبلنا ، ثم لم ترض حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا ! . فهذا شيء منك أم من الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : ﴿**وَالَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِنَّهُ مِنَ اللهِ**﴾ فولَّى الحارث ، وهو يقول : اللهم إن كان ما يقوله محمد ﷺ حقا فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم . فما وصل لراحلته حتى رماه الله بحجر ، فسقط على هامته ، فخرج من دبره ، فقتله .

١- رواه أحمد وابن أبي شيبة والتبريزي في مشكاة المصابيح والطبري في ذخائر العقبى وابن عساكر في تاريخه عن البراء بن عازب ﷺ . والحاكم وصححه عن زيد بن أرقم ﷺ .

٢- رواه الطبري في مناقب العشرة والعصامي في سمط النجوم العوالي وابن عساكر في تاريخه والمناوي في فيض القدير عن سالم بن أبي الجعد ﷺ .

الولي والخليفة :

- أولياء الله ؛ سيماهم أنهم إذا رُؤوا ذُكِرَ الله (١) ، لتحققهم بالله ، وليس يُرى عليهم إلا العبودة المحضة الخالصة ، التي لا تشوبها ربوبية بوجه من الوجوه ، وكل نعت يُرى فيهم ، فيه رائحة ربوبية ، فهو أدب الخلافة ، لا أدب الولاية .
- فالولي يُنْصَر ولا يَنْتَصِر ، والخليفة يَنْتَصِر ويُنْصَر .
- والولي لا يسامح ؛ فإن سامح ، فليس بولي . ولا يؤثر على جناب الحق شيء ، فهو كله لله . والخليفة هو لله في وقت ، وللعالم في وقت ، فوقتاً يرجح جناب الحق غِيرَةً ، ووقتاً يرجح جناب العالم ، فيستغفر لهم ، مع ما وقع منهم ، مما يغار له الولي ، وهؤلاء هم المفردون ، الذين تولى الله آدابهم بنفسه ، يقول الخليفة : سأزيده على السبعين في وقت (٢) ،

١- سبق تخريجه .

٢- عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ، جاءَ ابْنُهُ عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله ، إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ ، يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ ، فَأَعْطَاهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ عُمَرُ ، فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله تُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ ؟ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ ، فَقَالَ : ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ {التوبة : ٨٠} . وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ ، قَالَ عُمَر : إِنَّهُ مُنَافِقٌ ! . فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ {التوبة : ٨٤} . رواه البخاري والبيهقي في الدلائل وابن شاهين في الناسخ والمنسوخ .

ويدعو على رعل وذكوان وعصية في وقت (١) .

- وأين الحال من الحال ، فالخليفة تختلف عليه الأحوال ، والولي لا تختلف عليه الحال ، فالولي لا يُتهم أصلاً ، والخليفة قد يُتهم لاختلاف الحال عليه ، فما يدّعي دعوى ؛ إلا ويكذبه – مع صدقه – حال آخر يبدو منه .
- فآداب الأولياء آداب الأرواح الملكية ، ألا ترى إلى جبريل عليه السلام يأخذ من حال البحر ، فيلقمه في فم فرعون ، حتى لا يتلفظ بالتوحيد . ويسابقه مسابقة ، غيرة على جناب الحق ، مع علمه بأنه قد علم أنه لا إله إلا الله ، وغلبه فرعون ، فإنه قال كلمة التوحيد بلسانه ، كما أخبر الله تعالى عنه في الكتاب العزيز : ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ {يونس : ٩٠} (٢) .

١– عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : دَعَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ ، ثَلَاثِينَ غَدَاةً ، عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ . رواه البخاري والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن وعبد الرزاق وأبو عوانة وأبي يعلى .

٢– عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ﴿ **لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ ، قَالَ** : ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ {يونس : ٩٠} . **فَقَالَ جِبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ ، فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ ، مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ**﴾ . رواه أحمد والطيالسي والترمذي وصححه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وابن هشام في سيرته عن ابن عباس . (حال البحر : طينه الأسود) .

- والخليفة يقول لعمه : قلها في أذني أشهد لك بها عند الله (١) ! .
- وأين هذا الحال من حال قول الخليفة الآخر : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ {نوح : ٢٦} . ولعلهم لو طال عليهم الأمد لرجعوا ، أو في أصلابهم من يؤمن بالله ، فتقرّ به أعين المؤمنين .
- **فآداب الأولياء** : غضب في المغضوب عليهم ، لا رجوع فيه . ورضى في المرضي عنهم ، لا رجوع فيه . فإن ذلك أدب الحق ، والحق الواقع الواجب وقوعه .
- **وآداب الخلفاء** : الرضا في المرضيّ عنهم . والعفو وقتاً ، والغضب وقتاً ، في المغضوب عليهم . والكل أولياء .

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَمِّهِ عِنْدَ المَوْتِ : ﴿ **قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ . فَأَبَى ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ {القصص : ٥٦} . بهذا اللفظ رواه مسلم والترمذي وأحمد وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل والشعب وابن راهويه وابن منده وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ . ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن حبان وابن منده وابن عساكر عن سعيد بن المسيب عن أبيه ﷺ .

حَظُّ الولي :

قال الإمام الشبلي رضي الله عنه : لو وصلوا ، ما رجعوا .

إِذَا حُظَّ الوَلِيُّ فَلَيْسَ إِلَّا ... عُرُوجٌ وَارْتِقَاءٍ فِي عُلُوِّ
فَإِنَّ الحَقَّ لا تَقْيِيدَ فِيهِ ... فَفِي عَيْنِ النَّوَى عَيْنُ الدُّنُوِّ
فَحَالُ الْمُجْتَبَي فِي كُلِّ حَالٍ ... سُمُوٌّ فِي سُمُوٍّ فِي سُمُوِّ
فَلا حُكْمٌ عَلَيْهِ بِكُلِّ وَجْهٍ ... وَلَا تَأْثِيرَ فِيهِ لِلْغُلُوِّ

اعلم – أيدك الله بروح منه – أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم ، فقال : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ {طه : ١١٦} . فظهر الأمر فيه .

وقال لآدم وحوّاء عليهما السلام : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ {البقرة : ٣٥} . فظهر النهي فيهما .

والتكليف مقسم بين أمر ونهي .

فلو أن إبليس – لما عصى ، ولم يسجد – لم يقل ما قال ؛ من التكبر ، والفضلية التي نسبها إلى نفسه على غيره ، فخرج عن عبوديته بقدر ذلك ، فحلت به عقوبة الله .

وكان تكليف آدم وحواء يتضمن أمرا بالترك ، وهو (لا تفعل) وهذا هو أمر عدمي ، ومن حقيقة المخلوق أن لا يفعل ، وكانت العقوبة لآدم وحوّاء ، لما تكلفا الخروج عن أصلهما ، وهو الترك ، وفعلوا أمرا وجوديا وهو الأكل .

فشرّك الله تعالى بين إبليس وآدم وحوّاء في ضمير واحد ، فقال : ﴿ **ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا** ﴾ {البقرة : ٣٨} . وهو كان أشدّ العقوبة على آدم عليه السلام . فقيل لهم اهبطوا بضمير الجماعة .

ولم يكن الهبوط عقوبة لآدم وحوّاء ، وإنما كان عقوبة لإبليس ، فإن آدم أُهبط لصدق الوعد ، بأن يجعله الله تعالى في الأرض خليفة (١) ، بعد ما تاب عليه واجتباه ، وتلقى الكلمات من ربه بالاعتراف (٢) .

فاعترافه عليه السلام ، في مقابلة كلام إبليس : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ {ص : ٧٦} . فعرّفنا الحق بمقام الاعتراف عند الله ، وما ينتجه من السعادة ، لنتخذه طريقاً في مخالفتنا ، وعرّفنا بدعوى إبليس ومقالته ، لنحذر من مثلها عند مخالفتنا .

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ {البقرة : ٣٠} .

٢- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ {البقرة : ٣٧} .

وأُهبطت حوّاء للتناسل ، وأُهبط إبليس للإغواء .

فكان هبوط آدم وحوّاء هبوط كرامة .

وهبوط إبليس هبوط خذلان وعقوبة ، واكتساب أوزار .

قيل للجنيد رضي الله عنه **: أيزني العارف ؟ . فقال :** ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ {الأحزاب : ٣٨} . **ولذلك قال ابن عطاء الله السكندري** رضي الله عنه **تعليقا على ذلك : ليت شعري ! لو قيل له : أتتعلق همة العارف بغير الله ؟ . لقال : لا .**

والمراد هنا أن معصية الأولياء هي بحكم القَدَر النافذ فيهم ، لا أنهم يقصدون انتهاك حرمات الله . لأنهم إذا كانوا أولياء – عند الله تعالى حقيقة – فهم محفوظون في هذا المقام .

فلا تصدر منهم معصية أصلا ، انتهاكا لحرمة الله ، كمعاصي الغير ، فإن الإيمان المكتوب في القلوب يمنع من ذلك ، فمن يخالف منهم ؛ فإنه يخالف على حضور ، عن كشف إلهي ، قد عرَّفه الله فيه ما قدره عليه ، قبل وقوعه ، فهو على بصيرة من أمره ، وبينة من ربه .

وهذه الحالة بمنزلة من يُلقى في النار ولا يحترق ، كإبراهيم عليه السلام ، فكان في النار ، ولا حكم لها فيه ، بالحجاب الذي هو المانع .

كذلك زلة العارف ، صاحب مقام الكشف للأقدار ؛ تحل به النازلة ، وحكمها بمعزل عنها ، فلا تؤثر في مقامه ، بخلاف من تحل فيه ، وهو على غير بينة ولا بصيرة بما قدر عليه ، فهذا يستلزمه الحياء والندم والذلة ، وذلك العارف ليس كذلك .

معرفة الولي :

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ سِرَّ سَنَا لاهُوتِهِ الثَّاقِبِ
ثم بَدَا في خَلْقِهِ ظَاهِراً في صُورَةِ الآكِلِ وَالشَّارِبِ
حتى لقد عَايَنَهُ خَلْقُهُ كَلَحظَةِ الحَاجِبِ بِالحَاجِبِ

قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ {الفرقان : ٧} .

لو أحسنت ظنك بالله ، وبأولياء الله ، لرفع الله الحجاب بينك وبينهم ، ووجدتهم أقرب إليك من أن ترحل إليهم .

- سبحان من سترهم في حال ظهورهم ، وأظهرهم في حال خفائهم .
- فسبحان من ستر سر الخصوصية ، بظهور وصف البشرية ، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية . فالخصوصية هي نور الحق ، يشرقه الله في قلوب خواص عباده المقربين ، بعد تطهيرها من الأكدار ، وتنزيهها عن المساوي والأغيار . يغيبون به عن شهود أنفسهم ، بشهود محبوبهم ، وسرها هو ما احتوى عليه ذلك النور من الكمالات العلية ، والنعوت القدسية ، والصفات السنية ، التي تليق بالمتحلي به : كالكبرياء والعز والقوة والعظمة والإجلال ، وكالاتصاف بالقدرة التامة ، والعلم المحيط ،

وسائر أوصاف الكمال . ثم إن الحق سبحانه من عظيم حكمته وباهر قدرته ؛ أن ستر تلك الأوصاف اللازمة لذلك النور ، بظهور أضدادها ، التي هي أوصاف العبودية ، فستر كبرياءه وعظمته بظهور الذل والفقر والضعف على العبد ، وستر قدرته وإراداته بظهور العجز والقهرية عليه ، وستر علمه المحيط بظهور الجهل والسهو ، إلى غير ذلك من أوصاف العبودية المقابلة لأوصاف الربوبية .

– فسبحان من جعل الأشياء كامنة في أضدادها ؛ ستر كمالات الربوبية بنقائص العبودية ، ولولا ذلك لكان السر غير مصون ، والكنز غير مدفون . فستر أنوار السرائر ، بكثائف الظواهر ، إجلالاً لها أن تُبتذل بالإظهار ، وأن يُنادى عليها بلسان الاشتهار . ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ : {لو كُشف عن نور الولي ؛ لعُبِد من دون الله} ! . وكان يقول : {معرفة الولي أصعب من معرفة الله ، فإن الله معروف بكماله وجماله . ومتى تعرف مخلوق مثلك ؛ يأكل كما تأكل ، ويشرب كما تشرب ؟ . وإذا أراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك وجود بشريته ، وأشهدك وجود خصوصيته} اهـ .

- سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه ، إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم ، إلا من أراد أن يوصله إليه .

فإن وجدت شيخاً مربياً ، كشف الله لك عن أنواره ، وأطلعك على خصائص أسراره ، فأنت قطعاً من أهل القرب . وإن لم تجد شيخاً مربياً ، وغرك قول من قال أنه انقطع وجوده ، فأنت قطعاً من أهل اليمين ، من عوام المسلمين .

الشاهد والشهيد

مادة : ش هـ د . الشَّهادة خَبَرٌ قاطعٌ . والمُشاهَدةُ المُعايَنة . وشَهِدَه بالكسر شُهوداً أي حَضَره ، فهو شَاهِدٌ ، وقومٌ شُهُود : أي حُضُور . والتَّشَهُّد في الصلاة معروف .

قال تعالى على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ {المائدة : ١١٧} .

وقال تعالى في الأمة المحمدية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ {البقرة : ١٤٣} . وقال : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ {النحل : ٨٩} . وقال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ {الأحزاب : ٤٥ ، الفتح : ٨} .

فكان عيسى عليه السلام شهيدا على أمته ، حال حياته ، ووجوده في الحياة الدنيا فقط ، بينما استمرت شهادة المصطفى ﷺ علينا حال حياته ، وبعد انتقاله .

فقد ورد عنه ﷺ أنه قال : ﴿ **حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ ، وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ، فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ حَمِدْت اللهَ عَلَيْهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئٍ اسْتَغْفَرْت اللهَ لَكُمْ** ﴾ (١) . وتأييد ذلك من الكتاب ، هو قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ {التوبة : ١٠٥} . فالرسول ﷺ والمؤمنون شهود على أعمال الأمة مطلقا ، بلا حدود زمان أو مكان ، حال حياتهم ، وبعد انتقالهم ، وهذا ما ورد صريحا في السنة : ﴿ **...وَإِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ ، مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا ، وَقَالُوا : اللَّهُمَّ هَذَا فَضْلُكَ وَرَحْمَتُكَ ، فَأَتْمِمْ نِعْمَتَكَ عَلَيْهِ ، وَأَمِتْهُ عَلَيْهَا . وَيُعْرَضُ عَلَيْهِمْ عَمَلُ المسِيءِ ، فَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ أَلْهِمْهُ عَمَلا صَالِحًا ، تَرْضَى بِهِ عَنْهُ ، وتُقَرِّبُهُ إِلَيْكَ** ﴾ (٢) .

١- رواه البزار عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . ورواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه . ورواه الحارث وابن سعد وإسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ وأورده ابن حجر في المطالب العالية عن بكر بن عبد الله المزني رضي الله عنه .

٢- رواه أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه . والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب وأبو الشيخ في الأمثال والدولابي في الكني وابن أبي الدنيا في المنامات عن النعمان بن بشير رضي الله عنه . والطبراني في الكبير والأوسط وفي مسند الشاميين عن أبي أيوب رضي الله عنه . والطبري في تهذيب الآثار عن أبي هريرة رضي الله عنه . والطيالسي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وأبو داود وابن المبارك كلاهما في الزهد عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

الهادي

- قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ {الأحزاب : (٤٥ – ٤٦)} . فكلفه الله تعالى بالدعوة ، ولم يُلزمه بالهداية ، فكان رسول الله ﷺ يدعو كل الناس إلى الإسلام ، حتى ولو كان يعلم من الله تعالى أنه لن يُسلم ، وذلك تنفيذاً لقوله تعالى : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ {يس : ٧٠} ، ومصداقا لقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ {الإسراء : ١٥} .
- قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ {القصص : ٥٦} . فنفى الله تعالى الهداية عنه ﷺ ، وأثبتها لنفسه سبحانه ، وعلل ذلك بأنه تعالى هو أعلم بالمهتدين .
- ثم قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ

لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ {الشورى : (٥٢ – ٥٣)} . فأثبت الله تعالى لنبيه ﷺ النور الموحى إليه من لدنه ، وهذا هو الذي يهدي به إلى صراط مستقيم ، في صورة سيدنا محمد ﷺ . كأنه تعالى يقول لنبيه ﷺ ما أنت – حين تهدي – أنت ، ولكن أنت أنا الهادي إلى صراط مستقيم .

- قال تعالى : ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ {الرعد : ٣١} . أي أن الله تعالى لو أراد أن يهدي بهذا القرآن – الذي هو كلامه – الناس جميعا ، لهداهم ، لأن قرآنا كهذا – تُسيَّرُ به الجبال ، وتُكلم به الموتى – لهو أولى بأن يهدي إلى الله تعالى . ولكن الإعجاز في أن قرآنا – هذا وصفه – حجب الله عنه من كتبَ عليه الكفر والشقاء .
- الكلام صفة مؤثرة ، مشتقة من الكُلْمِ ، وهو الجرح ، فلهذا قلنا مؤثرة ، كما أثر الكُلْمُ في جسم المجروح . فأول كلام شق أسماع الممكنات كلمة

(كن) ، فما ظهر العالم إلا عن صفة الكلام ، وهو توجه نفس الرحمن على عين من الأعيان ، لينفتح في ذلك النفس شخصية ذلك المقصود ، فيعبر عن ذلك الكون بالكلام ، وعن المتكون فيه بالنفس . فلا بد لكل متكلم من أثر في نفس ، من كلمة . غير أن المتكلم – من أهل الله – يؤثر كلامه في الأشياء مطلقاً ، من جماد ونبات وحيوان ، وكون – أي كون كان – علواً وسفلاً . ولا متكلم من أهل الله أكبر من سيدنا محمد ﷺ ، وقد قال – لمن حقت عليه كلمة العذاب – قُل : لا إله إلا الله . فما ظهر عن أمره نشأة لا إله إلا الله في محل المأمور ، وإن كان ﷺ على بصيرة في المخاطب بأنه كافر ، ولكنه ﷺ مأمور أن يأمر ، وهو حريص على الأمة ، فالمأمور ما امتنع ، وإنما الممتنع لا إله إلا الله ، فلو تكون هذا اللفظ في محل هذا الشخص ، لظهر عينه عليه ، وأعطاه اسم الإسلام . ولكن هذا الشخص لما قال له الحق : (كن) وهو في العدم ، لم يتمكن له إلا أن يكون ولابد .

- فقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ {القصص : ٥٦} . أي إنك لست مسئولا أن تجعل أحدا محلاً لظهور ما تريد انشاءه فيه ، ولكن : ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ {المائدة : ٩٩} . فلو أثر كلام أحد في أحد – لِصِدْقِهِ في كلامه – لأسلم كل من شافهه النبي ﷺ بالخطاب . بل

كُذِّبَ ، ورُدَّ الكلام في وجهه ، وقوتل .

فإن لم يكن لله عناية بالسامع ، بأن يجعل في قلبه صفة القبول ، حتى يتلقى بها النور الإلهي من سراج النبوة ، كما وصفه تعالى : ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ {الأحزاب : ٤٦} . فأي قلب اعتنى الله به ، وقامت به حرقة الشوق إلى ذلك الدعاء ، ثم انبعث من هذا الشوق همة إلى ما دعاه إليه الرسول في كلامه ، فتكونت منه قوة جاذبة ، جذبت من نور النبوة والوحي والهداية ذلك القبس ، فرجع به إلى قلب صاحبه ، فاهتدى واستنار ، ثم فارق النبي ﷺ ، ومشى إلى أهله نوراً ، فإن اعتنى الله به ، وأمده بتوفيقه ؛ ثبت له في قلبه نور الهداية بذاك الإمداد : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ {إبراهيم : ٢٧} . من كان هكذا فقد قال تعالى في حقه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ ﴾ {الأنعام : ١٢٢} . ذلك النور هو نور الإيمان : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ {الشورى : ٥٢} .

- قال الله تعالى على لسان نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ {يوسف : ١٠٨} . أدعو إلى الله ولم يقل أدعو إلى نفسي ، و (إلى) حرف موضوع للغاية ، فإذا أجاب المؤمن ؛ مشى إلى ربه على الطريقة التي شرع له هذا الرسول ، فلما وصل إلى الله ، تلقاه الحق تلقي إكرام وهبات ، ومنح وعطايا ، فصار يدعو إلى الله على بصيرة ، كما دعا ذلك الرسول ، فأخبر أن من اتبعه ؛ يدعو إلى الله أيضاً على بصيرة .

- فإن كنت عارفاً بمواقع الخطاب الإلهي ، وتنبيهاته وإشاراته ، فقد عرفك بحالك مع رسوله ﷺ ، وبحالك معه ، وقد جعلك على صورة نبيه ﷺ في نوره وإمداده . وهذه من أعظم البشرى .

- قال تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ {الحجرات : ١٧} .

قال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ ﴾ . ثم آثر سيدنا محمد ﷺ اللهَ سبحانه وتعالى على نفسه ، حتى لا يجعل له نعتاً فيما أجرى عليه لسان ذم ، فقال له : ﴿ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ . ولو شاء لقال : بل أنا أمنُّ عليكم أن

هداكم الله بي للإيمان الذي أسعدكم به ، فما جعله تعالى محلا للمنِّ ، هذا من الفتوة الإلهية التي لا يُشعر بها ، فحكمها موجود في الحق ، وإطلاقها لم يرد في كتاب ولا سنة ، فأسماؤه – من حيث إطلاقها عليه – موقوفة على ورودها منه ، فلا يُسمى إلا بما سمى به نفسه ، وان عُلم فيه مدلول ذلك الاسم ، فالتوقيف في الإطلاق أولى ، وما فعل هذا – سبحانه – كله إلا لِيُعَلِّم الخلق الأدب معه .

الرَّحمن الرَّحيم

اللهم صل على لوح رحمانيتك ، الذي كتبت فيه بقلم رحيميتك ، ومداد مدد رحموتيتك : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ {الأنفال: ٣٣} .

اللهم صل على عرش استواء وحدانيتك ، من حيث إحاطة أحدية ألوهيتك ، ورحمتك الشاملة ، وبركاتك الكاملة ، من حيث إحاطة قولك : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} . بل صل رب العالمين على رحمة العالمين .

اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ، والرحمة للعالمين ظهوره .

اللهم إني أتوجه إليك بنبيك سيدنا محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا سيدنا محمداً إني أتوجه بك إلى ربك وربي أن يرحمني مما بي ، رحمة يغنيني بها عن رحمة من سواه .

- قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ {التوبة : ١٢٨}

أنشأه الله تعالى بالمؤمنين رؤوفا رحيما ، وما ثمَّ إلا مؤمن ، لذا فقد قال له : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} .

- حتى أن دعاءه ﷺ على رعل وذكوان ، من الرحمة بهم ، لئلا يزدادوا طغياناً ، فيزدادوا من رحمة الله بعداً ، وحتى لا ينفذ غضب الله تعالى فيهم ، فلا تتصرف فيهم مرتبته تعالى ، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ {مريم : ٤٥} . وقال تعالى في الخضر : ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ {الكهف : ٦٥} . فهذا العبد الصالح – الذي أوتي من الرحمة – قتل غلاما ، نفسا زكية ، رحمة به ، لعلمه من الله تعالى أنه لو عاش لدخل النار بكفره ، أما إذا مات صغيرا ؛ فأمره إلى الله تعالى : إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له . فكأن العذاب برز من حضرة الرحمة .
- ولما استوى الحق تعالى على عرشه – الذي هو محيط بالوجود كله – استوى باسمه الرحمن ، قال تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ {طه : ٥} لذا فقد قال ابن عطاء الله في مناجاته : (يا من استوى برحمانيته على عرشه ، فصار العرش غيبا في رحمانيته ، كما صارت العوالم غيبا في عرشه . محقت الآثار بالآثار ، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار) .

- ولما قيل لرسول الله ﷺ في المنافقين : ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ {التوبة : ٨٠} . قال ﷺ : ﴿ **خيَّرَنِي رَبِّي ، فَوَاللهِ لأَزِيدَن عَلَى السَّبْعِينَ** ﴾ (١) ، وقال : ﴿ **فَلَوْ عَلِمْتُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ ، غُفِرَ لَهُ ، لَزِدْتُ عَلَيْهَا** ﴾ (٢) .
- فلما رأى الله تعالى حرص رسوله ﷺ على تمام الرحمة ، وصفه بقوله : ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ {التوبة : ١٢٨} . ووعده بالنظر في أمر المنافقين ، وأوكلهم إلى مشيئته في قوله تعالى : ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

١- رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن عروة وابن عباس رضي الله عنهم .

٢- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : لما مَاتَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ دُعِيَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ الله ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وَكَذَا ؟ ، قَالَ : أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ ، وَقَالَ : ﴿ **أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ** ﴾ . فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : ﴿ **إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ . لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا** ﴾ . قَالَ : فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ، ثُمَّ انْصَرَفَ . فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ {التوبة : ٨٤} . قَالَ : فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . رواه البخاري في صحيحه والترمذي والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن وابن أبي حاتم وابن حبان وعبد بن حميد والبزار وأبو نعيم في الحلية وابن هشام في سيرته .

إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ {الأحزاب : ٢٤} . وذَيَّلَ الله تعالى الآية بأنه (غفور رحيم) زيادة في إرضائه تعالى لرسوله ﷺ ، وذلك بعد أن كان قد حكم عليهم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾ {النساء : ١٤٥} . فعلل الله تعالى كونهم في الدرك الأسفل من النار ، بعدم وجود النصير لهم ، فلما جعل الله تعالى النبي ﷺ نصيراً لهم ، باستغفاره لهم ، انتفى الحكم المسبق عليهم ، بكونهم في الدرك الأسفل من النار ، وأصبحوا في حكم المشيئة ، ولم يشأ الله تعالى إلا الرحمة فقال : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ {الأنعام : ٥٤} . وقال : ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} .

- فلو عرف الناس من سيدنا محمد ﷺ ما علم الله منه ، بما جبله الله عليه من الرحمة ؛ ما عبد اللهَ أحدٌ بما كلفه ، بل كان الناس يتبعون أهواءهم بعلم ، لأن الله ما أخذ من اتبع هواه إلا لكونه اتبع هواه بغير علم ، فالجهل أوقع بهم ، قال تعالى : ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ ﴾ {الروم : ٢٩} . وقال : ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾ {القصص : ٥٠} .

- كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِيهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ﴾ (١) . فإذا رحم الحق باسمه الرحمن أو الرحيم ، فإنما يرحم بـ (رحمة) ، وكلمة (رحمة) في الحديث نكرة ، تفيد العموم ، فما رحم اللهُ تعالى إلا برسوله ﷺ ، إذ كان الوجود في عدم العدم ، فلما تجلى عليهم الحق ؛ أخرجهم إلى العدم ، ليس لهم فيه إلا السمع عن الله تبارك وتعالى ، فلما أمرهم الله تعالى بالتكوُّن ، والخروج إلى الوجود من العدم ، ما تحمل ذلك إلا رسول الله ﷺ ، فكان أول سامع ، وأول مجيب .
- فلما أوجب تعالى حقيقة رسوله ﷺ ونوره ، تجلى عليه تعالى بكل تجلٍّ هو متجليه على كل مخلوق ، حتى البلاء ؛ فقد تحمل ﷺ من البلاء ما يفوق بلاء الخلق كلهم ، قال ﷺ : ﴿أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ﴾(٢) .

١- رواه ابن أبي شيبة والحاكم وصححه والدارمي والبيهقي والشهاب والرامهرمزي في الأمثال والآجري في الشريعة وابن الأعرابي في معجمه والتبريزي في مشكاة المصابيح وابن سعد في الطبقات وابن عساكر في تاريخه بعضهم مرسلا عن أبي صالح رضي الله عنه وبعضهم مرفوعا عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢- رواه أحمد والنسائي والحاكم والطبراني والبيهقي وأبو نعيم في المعرفة والطحاوي وابن راهويه والبزار في البحار الزخار والشاشي وابن سعد في طبقاته وابن الأثير في أسد الغابة عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة رضي الله عنها . وقد وضع البخاري في صحيحه هذا الحديث عنوانا لباب في كتاب المرضى ، أسماه : (بَاب أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ) .

وظَلّ الله تعالى يتجلى عليه – إذ أنه أول موجود أوجده – ما شاء الله من الزمان ، ليس هناك موجود غيره ، حيث قال ﷺ : ﴿ **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورَ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ** ﴾ (١) .

- ثم شفع رسول الله ﷺ في المخلوقات التي في العدم ، أن يخرجها تعالى إلى الوجود والرحمة ، فقال له ربه : إنهم لا يتحملون ، ولكنني أحببتك أنت ، فكنت لك سمعا وبصرا ، وكنت جميع قواك ، فمُرهم أنت بالتكوين ، فأمرك أمري ، وقولك قولي . فأمرهم رسول الله ﷺ ، فلما سمعوها منه ، حسبوا أنهم سمعوها من الحق ، وصدقوا ، فالله تعالى يقول : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ** ﴾ {الأنفال : ١٧} . ويقول : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ {الفتح : ١٠} . فهو ﷺ آمرهم ، وهو ممدهم ، وهو حجابهم الأعظم ، فلا يعرفون ربهم إلا من خلاله ﷺ . الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، الأنبياء والرسل ممدون من مددك ، الذي خُصصت به من الله .

- قال تعالى في الآية الكريمة : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . فالمقصود بـ (رحمتي) في الآية هي رسوله ﷺ . و (وسعت كل شيء) حتى أنها وسعت العذاب .

١- رواه عبد الرزاق في مصنفه بسنده عن جابر بن عبد الله ﷺ .

- فكل تجلٍّ سيتجلى به الله على مخلوق ، أودعه – تعالى – رسولَهُ ﷺ ، فقال ﷺ : ﴿إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ﴾ (١) . فالله – تعالى – قد استخلف رسوله ﷺ على خزائن كل شيء ، ووكله – ﷺ – في أن يقسم ما يشاء ، على من يشاء ، ونفى الإيمان عن من لم يرضى ويسلم ، بما حكم به رسول الله ﷺ ، فقال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ {النساء : ٦٥} .

- قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ {الأعراف : ١٥٧} . انظر إلى قوله : يأمرهم ، وينهاهم ، ويحل لهم ، ويحرم عليهم ، ويضع عنهم ، فهم لا يعرفون غيره .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والطبراني والطحاوي في مشكل الآثار عن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه . والبخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . والبخاري وأحمد والنسائي والطبراني وأبو يعلى والطحاوي في مشكل الآثار عن أبي هريرة رضي الله عنه .

- قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} . وهي رحمة عامة لكل العالمين ، حتى الملائكة المقربين ، حتى جبريل عليه السلام ، فهو ما استراح وأمن سوء العاقبة ؛ إلا بعد نزول قوله تعالى : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴾ {التكوير : ٢٠} .

- قال رسول الله ﷺ : ﴿ **لَا تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِمًا رَآنِي ، أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي** ﴾ (١) . لفظة المسلم هنا نكرة ، تفيد عموم الرحمة ، وشمول الفائدة ، أي أن الرحمة تشمل كل مسلم رآه ﷺ رؤية تعظيم ، يقظة ومناما ، دنيا وأخرى ، من هذه الأمة ، أو ممن سبقها من الأمم ، فكلهم تحت لوائه ﷺ من الأنبياء والرسل فما دونهم . ولفظة : ﴿ **أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي** ﴾ تفيد تسلسل النور ، وهذه هي مهمة الشيخ الذي يربط المريد برسول الله ﷺ .

١- بهذا اللفظ رواه الترمذي (وحسنه) وأبو نعيم في المعرفة والتبريزي في مشكاة المصابيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وبلفظ : ﴿ **طُوبَى لِمَنْ رَآنِي، وَمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي ثَلاثًا** ﴾ رواه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه . والطبراني في الكبير عن وائل بن حجر رضي الله عنه . والطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه . وعبد بن حميد وابن أبي عاصم في السنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وأبو نعيم في المعرفة عن نفير بن جبير رضي الله عنه . وتمام في فوائده عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

إِذَا لم يَكُنْ لِلنَّفْسِ شَيخٌ لَهُ هُدَى يُؤَدِّبُها بِالرُّوحِ زَاغَتْ عَنِ السَّيرِ
وَلَا يَعْبُرُ البَحْرَ الخِضَمَّ وَنَوْأَهُ سِوَى مَاهِرٍ يَدْرِي المِلَاحَةَ في البَحْرِ
وَلَولا اتِّصَالِ الكُهْرُبَاءِ بِأَصْلِهَا عَلَى مَوْجَةِ التَّيَّارِ مَا نُورُهَا يَسْرِي

- الله تعالى أنشأ المحمدي – من ورثة رسول الله ﷺ – على ما أنشأ عليه سيدنا محمد ﷺ ، فأنشأه بالمؤمنين رؤفاً رحيماً ، والمحمدي مطلع على أسرار العباد ، بما أطلعه الله تعالى ، حيث كان الله تعالى سمعه وبصره ولسانه ويده ، لذا فقد قال ابن عطاء الله رضي الله عنه في الحِكَم : (**من اطلع على أسرار العباد ، ولم يتصف بالرحمة الإلهية ، كان ذلك وبالا عليه**) .

الهجرة

قال الله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ {النساء : ٩٧} . ولم يقل منها ، ولا إليها ، فهي كلها أرض الله ، سواء سكنها من يعبده ، أو من يستكبر عن عبادته .

وقال عز من قائل : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ {العنكبوت : ٥٦} . فأضاف إليه العباد ، وأضاف إليه الأرض ، وكذلك أضافهم في الأمر بالعبادة إليه ، فقال : ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ . فانظر لدقة الخطاب الإلهي . وهنا أسرار لا يعلمها إلا من يعلم الأمر على ما هو عليه في نفسه .

قال رسول الله ﷺ لما فتح مكة : ﴿**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ**﴾ (١) . فمع أن مكة أشرف البقاع ، وبها بيت الله الحرام ، الذي يحج إليه من مشارق

١- رواه البخاري في صحيحه والترمذي وأحمد والطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما . والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما . ومسلم عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم . وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وأحمد وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني عن مجاشع بن مسعود رضي الله عنه . وعبد الرزاق عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وعبد الرزاق عن أنس رضي الله عنه . وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبراني في الكبير عن غزية بن الحارث رضي الله عنه .

الأرض ومغاربها ، ولكن أمر وعظم الأجر لمن يهاجر منها ، من أجل ساكنيها ، فلما فتحها الله ، وأسكنها المؤمنين من عباده ، قال : ﴿ لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ﴾ .

فمن فتح الله عليه ؛ رآه تعالى في كل شيء ، أو عين كل شيء ، فلم يهاجر لأنه غير فاقد . فإن هاجر ، فعن أمره تعالى ، فيهاجر به ، منه ، إليه ، عن أمره : مثل خروجه إلى أداء الصلاة في مسجد الجماعة ، ومثل خروجه إلى مكة يريد الحج ، وكخروجه أيضاً إلى الجهاد ، وإلى زيارة أخ في الله تعالى ، أو فى السعي على العيال ، فهذا كله ليس بهجرة على الحقيقة ، وإنما هي سياحة عن أمر إلهي على شهود . وهو قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ {البقرة : ١١٥} . وقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ {الحديد : ٣} ، فإن لم تكن على شهود ، ولا على حالة كأنها شهود ، وهو قوله ﷺ : ﴿ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ﴾ (١) . فما لك نصيب في هذا الموضع ، فإن ذلك أدنى مرتبة الإحسان .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة وابن حبان وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ . ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في السنن والدلائل والطبراني في الكبير وابن حبان عن عمر بن الخطاب ﷺ . وأحمد عن ابن عباس ﷺ . وابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم ﷺ . والبيهقي في الشعب عن أبي الدرداء ﷺ .

وإنما قلنا أدنى مرتبة :

- لأن المرتبة التي تلي ذلك في الحديث : ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ﴾ فهذه رتبة عامة الخلق ، اشترك فيها كافرهم ومسلمهم ، فهم كلهم لا يعلمون أنهم يرون الله ، والله يراهم . فانظر في أي رتبة تطمع أن تكون .
- ولأنه أتى بـ (إن) الشرطية في قوله : ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ﴾ والتي تفيد الشك لأنه تعالى بالقطع مرئي في كل مرئي ، والشك هنا هو في عدم رؤيتك له ! .

ولما عبد منا من عبد غير الله ، غار الله أن يُعبد في أرضه غيره ، فقال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ {الإسراء : ٢٣} . قضى : أي حكم . فما عَبَدَ مَن عَبَدَ غير الله إلا لهذا الحكم ، فلم يُعبد إلا الله ، وأخطؤوا في النسبة ، إذ كان لله في كل شيء وجه خاص به . فما خرج أحد عن عبادة الله .

ولما أراد الله أن يميز بين من عبده على الاختصاص ، وبين من عبده في الأشياء ، أمر بالهجرة من الأماكن الأرضية ؛ التي يُعبد الله فيها في الأعيان : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ {الأنفال : ٣٧} . فالخبيث هو الذي عَبَدَ الله في الأغيار ، والطيب هو الذي عبد الله لا في الأغيار .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ (١) . فهنا قال : (إلى الله ورسوله) ولم يقل إلى المدينة المنورة ، لينبهك إلى رفع همتك عن الأكوان ، لذا فقد قال ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه : (لا ترحل من كون إلى كون ، فتكون كحمار الرحى ، يسير ، والذي ارتحل إليه ، هو الذي ارتحل عنه ، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢}) .

فالرحيل من الكون إلى الكون ، هو الرحيل من السوى إلى طلب السوى ، أو ترك الدنيا لطلب الآخرة ، فطلب الآخرة – وإن كانت أشرف – فما هو إلا سوى آخر .

فينبغي لك أيها المريد أن ترفع همتك إلى الملك المجيد ، فترحل من رؤية الأكوان إلى طلب شهود الملك الديان ، أو ترحل من الدليل والبرهان إلى رتبة الشهود والعيان ، وهو غاية القصد ، فيكون ربك هو منتهاك ، فتنتهي دورتك الخلقية الكبرى بذوبان قطرتك في بحر أحديته .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في السنن والشعب والطبراني في الأوسط وأبو عوانة والحميدي والدارقطني وابن حبان وابن خزيمة وابن المنذر وابن منده والبزار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الهجرة هي الانتقال من وطن إلى وطن آخر ، بحيث يهجر الوطن الذي خرج منه ، ويسكن الوطن الذي انتقل إليه .

- فهناك من يهجر بلدا إلى بلد في هذه الحياة الدنيا .
- وهناك من يهجر هذه الحياة الدنيا كلها إلى الآخرة .
- وهناك من يهجر الدنيا والآخرة إلى الله ورسوله .

وهذا الأخير قد يحدث له ذلك وهو في الدنيا ، حي يرزق بين الناس . فعَنِ الحارِثِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : ﴿ **كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ** ﴾ ؟ . فَقَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا ، فَقَالَ : ﴿ **انْظُرْ مَا تَقُولُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ** ﴾ ؟ . فَقَالَ : قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا ، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي ، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا ، فَقَالَ ﷺ : ﴿ **يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ** ﴾ ، ثَلاثًا (١) . يتضاغون : أي يتصايحون ويتباكون .

ففسر الحقيقة بالنظر والرؤية ، وجعله بـ (كأن) لأن يوم القيامة ما وقع حسا ، ولكن وقع في حقه ممثلا ، فأدركه في التمثيل كالواقع في الحس .

١- رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد وأبو نعيم في المعرفة وابن المبارك في الزهد .

كالعابد الذي قال له ﷺ : ﴿اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ﴾ (١) . فما هذا مثل العرش البارز ، فإن الله هنا موجود في نفس الأمر ، في قبلة المصلي أو العابد في أي عمل كان (٢) .

فمن الناس من يعبد الله كأنه يراه ، ومن الناس من يعبده على رؤية ومشاهدة ، وليس بين الذي يراه والذي لا يراه ؛ إلا كون هذا الذي لا يراه لا يعرفه ، مع أنه مشهود له عز وجل ، والعارف يعرفه ، ولكن مثل هذه المعرفة لا ينبغي أن تُقال ، فإنها لا تُقبل ، فإذا شهدها الإنسان من نفسه ، لم يتمكن له أن يجهلها ، فيكون عند ذلك من الذين يرون الله في عبادتهم ، ويزول عنهم حكم كأنك تراه .

قال تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ {المجادلة : ٧} . وقال : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ {الحديد : ٤} . ولم يقل : وأنتم معه . لأنه

١- سبق تخريجه .

٢- قال رسول الله : ﴿إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي ؛ فَإِنَّ اللهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قِبَلَ وَجْهِهِ﴾ بهذا اللفظ رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والبيهقي في السنن وابن حبان وابن المنذر ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة عن عبادة بن الصامت ﷺ . ونحوه عند مسلم والبخاري وأبو داود وابن ماجة وأحمد والطبراني في الكبير عن ابن عمر ﷺ . والبخاري عن ابن مسعود ﷺ .

تعالى مجهول المصاحبة ، فيعلم سبحانه كيف يصحبنا ، ولا نعرف كيف نصحبه ، فالمعية ثابتة فينا له ، منفية عنا فيه . وهذه المعية لا يختص بها شيئ من خلق الله دون غيره ، وهي المعية العامة ، ولها الاسم الحفيظ والمحيط .

ولكن لله تعالى مع بعض عباده معية اختصاص ، مثل معيته مع موسى وهارون عليهما السلام ، في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ {طه : ٤٦} . فهذه بشرى لهما حتى لا يخافا ، فإنهما : ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ {طه : ٤٥} . أي يتقدم ويرتفع بالحجة ، إذ له الملك والسلطان ، فآمنهما الله مما خافا منه .

ومن هنا تعرف مرتبة سيدنا محمد ﷺ ، وعلوها على رتبة غيره من الرسل ، فإن الله أخبر عن سيدنا محمد ﷺ – في حال خوف الصديق عليه ، وعلى نفسه – فقال لصاحبه يؤمنه ويفرحه : ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ . والغار هنا هو كنف الحق عليهما : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ {التوبة : ٤٠} . فقام النبي ﷺ – في هذا الإخبار – مقام الحق في معيته لموسى وهارون عليهما السلام ، وناب منابه . هكذا تكون العناية الإلهية به ﷺ . وفي هذه الآية السابقة أسرار لسيدنا أبي بكر ﷺ منها :

- أنه تعالى أثبت لسيدنا أبي بكر ﷺ على لسان رسوله ﷺ الصحبة ، بقوله : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾ لذا لما استوحش النبي ﷺ ليلة المعراج ، حين زج به في الأنوار ، نودي بصوت يشبه صوت أبي بكر ﷺ ، تأنيساً له به ، إذ كان أنيسه في المعهود ، فحن لذلك ، وأنس به .
- ولكن ظلت الخلة محجوبة بالحديث : ﴿**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا ، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ**﴾ (١) .
- ولكن هذه المعية التي دخل فيها سيدنا أبو بكر ﷺ بقوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ {التوبة : ٤٠} . أورثته السر الذي قال عنه رسول الله ﷺ : ﴿**مَا فَضَلَكُم أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَيَامٍ وَلا صَلاةٍ ، وَلَكِنْ بِسِرٍّ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ**﴾ (٢) . وظهرت قوة ذلك السر مع وقته . وكان رسول الله ﷺ يعرف منه – بالسر الذي حصل عنده –

١- رواه البخاري ومسلم واللفظ له والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري ﷺ . ومسلم وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي عن ابن مسعود ﷺ . والترمذي وأحمد عن أبي المعلى ﷺ . والترمذي عن أبي هريرة ﷺ . وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وعبد الرزاق عن ابن الزبير ﷺ . والبيهقي في السنن عن ابن عباس ﷺ . وورد هذا الحديث في نظم المتناثر من الحديث المتواتر عن أربعة عشر صحابيا .

٢- رواه الإمام الغزالي في الإحياء عن أبي هريرة ﷺ . وأورده العجلوني في كشف الخفاء والسخاوي في المقاصد الحسنة . كذا أورده اليافعي في مرآة الجنان وابن عربي في الفتوحات المكية .

ما لا تعرفه الجماعة . لذا أمر في مرضه أن يصلي أبو بكر بالناس ، فقالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : ﴿ **إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ** ﴾ (١) . لأنها لم تكن تعلم بذلك السر .

وما بقي أحد يوم توفي رسول الله ﷺ إلا ذهل في ذلك اليوم ، وخولط في عقله ، وتكلم بما ليس الأمر عليه ، إلا أبو بكر الصديق ﷺ ، فما طرأ عليه من ذلك أمر ، بل رقي المنبر وخطب الناس ، وذكر موت النبي ﷺ ، فقال : ﴿ **أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا** ﷺ **، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ** . وَقَالَ : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾ {الزمر : ٣٠} . وَقَالَ : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ** ﴾ {آل عمران : ١٤٤} ﴾ (٢) فسكن جأش الناس ، حتى قال الفاروق عمر ﷺ : والله ما كأني سمعت بهذه الآية إلا في ذلك اليوم .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبراني في الكبير وابن حبان وأبو عوانة وابن خزيمة وعبد بن حميد وابن راهويه .

٢- رواه البخاري والبيهقي في السنن وابن راهويه وابن سعد في الطبقات عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأبو يوسف في الآثار عن أنس بن مالك ﷺ .

هذا كله من السر الذي أعطاه هذا المقام الذي هو مقام القربة ، فالذي ينبغي أن يقال : ليس بين سيدنا محمد وأبي بكر رجل ، لا إنه ليس بين الصديقية والنبوة مقام ، لذا فقد ورد عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ **يَتَجَلَّى اللهُ لِعِبَادِهِ فِي الآخِرَةِ عَامَّةً ، وَيَتَجَلَّى لِأَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً** ﴾ (١) .

اعلم أن العازم على سلوك الطريق ، مهاجر . والعازم على الوصول ، واصل . وليس على العبد إلا الاجتهاد ، فإذا بذل مجهوده ، وأخلص مقصوده ، فهو والواصل سواء . وكانوا يقولون : **من مات وهو في الطريق ، أدركته الولاية بعد الموت على التحقيق** . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾ {الأنفال : ٧٥} . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ ﴾ {النساء : ١٠٠} . **ومن مات في طريق الله فهو شهيد ، ومن توجه لأمر ولم يدركه ، فكأنما أدركه** . ولا بد في مبادئ الأمور من الصبر والتحمل للمشاق ، وقمع النفس عن الهوى والراحة ، ولذلك سُمِّي جهادها بالجهاد الأكبر . **والقاصد يطلب الباب ، بعد أن كان يطلب سواء السبيل** .

١- رواه الحاكم في المستدرك والدارقطني في الرؤية وأبو نعيم في الحلية والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخه واللالكائي عن جابر بن عبد الله ﷺ .

ولله در من قال :

قُلْ لمنْ طَافَ بِكَاسَاتِ الهَوَى وَسَقَى العُشَّاقَ مِمَّا قَدْ نَهَلْ
مَا مَقَامَــاتُ المحِبِّينَ سِوَى لَا ، وَلَا العِلْمُ عِنْدِي كَالْعَمَلْ
لَيْسَ مَنْ مُوِّهَ بِالوَصْلِ لَهُ مِثْلَ مَنْ سَيَّرُوهُ ، حَتَّى وَصَلْ
لَا ، وَلَا الوَاصِلُ عِنْدِي ، كَالَّذِي طَرَقَ البَــابَ وَلِلدِّيرِ دَخَــلْ
لَا ، وَلَا الدَّاخِلُ عِنْدِي ، كَالَّذِي أَجْلَسُوهُ عِنْدَهُمْ فِي المُسْتَهَلْ
لَا ، وَلَا مَنْ أَجْلَسُوهُ عِنْدِي كَالَّذِي سَــارَرُوهُ ، فَهْوَ لِلسِّرِّ مَحَــلْ
لَا ، وَلَا مَنْ سَارَرُوهُ عِنْدِي كَالَّذِي صَارَ إِيَّاهُمْ ، فَدَعْ عَنْكَ الجَدَلْ
ذَاكَ شَيءٌ عَلِقَ الفُــؤَادُ بِــهِ مَا تَبَدَّى بَعْضُــهُ إِلَّا قَتَــلْ

- فإذا وصل الباب ؛ أنتج له طلب الدخول .
- فإذا دخل أنتج له المجالسة .
- ومن في المجالسة يطلب المساررة .
- ومن في المساررة يطلب الفناء في رسول الله ﷺ ، الذي قال : ﴿ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ ، وَتَرْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ . فَوَاللهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ ﴾ . قَالُوا :

بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ رَضِينَا (١) .

قال رسول الله ﷺ : ﴿**لا تَعَرُّبَ بَعْدَ الهِجْرَةِ**﴾ (٢) . أَيْ لَا رُجُوعَ إِلَى الْبَدْوِ وَأَنْ يَصِيرَ أَعْرَابِيًّا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُعَدُّ رِدَّةً فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَنُهِيَ عَنْهُ .

والتعرُّب : عندنا هو الرجوع للعامة بعد سلوك طريق الخاصة . وكذلك التقاعس عن سلوك الطريق ، بعد الدخول فيه ، هو انحطاط عن الهمم العلية ، لذا فقد قال أهل الله : **من لعب بالطريق ، لعب به الطريق** .

فمن هذا حاله ؛ فقد انحلَّت منه عقدة الإيمان بالتقليد ، فإما أن يعقد عقدة أخرى وهي اليقين ، وإما أن يُخاف عليه من سوء الخاتمة ، أعاذنا الله من ذلك .

١- رواه البخاري في صحيحه وابن سعد والطبري في تاريخه وابن هشام .

٢- رواه الطيالسي وعبد الرزاق وقد أورده المتقي الهندي في كنز العمال وهو حديث رقم (١٥٠٥٤) وأورده اليعقوبي في تاريخه عن جابر بن عبد الله ﷺ .

المنتهى

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النَّجم : ٤٢} .

موضع الشاهد في هذه الآية هو كاف الخطاب في (ربك) .

فالمنتهى هو إلى رب سيدنا محمد ﷺ ، لا إلى غيره .

وهنا يثور سؤال : هل الأرباب مختلفة ؟ .

أو بمعنى آخر : هل ليس رب سيدنا محمد ﷺ كرب غيره ؟ .

صح عنه ﷺ أنه قال في الحديث : ﴿ **رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ** ﴾ (١) .

فالله تعالى واحدٌ ، وإنما الرب المتخيَّل في معتقدات المخلوقين متعدد . وهذا ما تطلق عليه الطائفة : (**إله المعتقدات**) .

١- رواه أبو داود وأحمد والبيهقي في السنن والنسائي والحاكم وصححه وابن خزيمة عن عبد الله بن عمر ﷺ . والترمذي وأحمد والحاكم والدارمي وأبو يعلى وعبد بن حميد وأبو نعيم في المعرفة عن طلحة بن عبيد الله ﷺ . كما رواه مسلم وأحمد والنسائي والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب في قصة الساحر والراهب عن صهيب ﷺ . كما رواه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل والشعب وابن حبان في قصة ماشطة ابنة فرعون عن ابن عباس ﷺ .

وصح عنه ﷺ أنه قال : ﴿ ...فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا . فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا ، عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتْبَعُونَهُ﴾ (١) .

ومن هنا تعرف إن كل عاقل له في ذات الله مقالة .

إنما عبد كل عابد ما صوره له عقله ، وعلى قدر علمه .

والعقل يصور على قدر علمه ؛ فكلما ازداد الإنسان علماً بالله تعالى كلما ارتقى معبوده . فالجاهل يعبد إلهاً ، والعاقل يعبد إلهاً ، وما بين الإلهين كما بين العلم والجهل .

وإن لله عباداً عملوا على إيمانهم ، وصدقوا الله في أحوالهم ، ففتح الله أعين بصائرهم وتجلَّى لهم في سرائرهم ، فعرفوه على الشهود ، وكانوا في معرفتهم تلك على بصيرة ، وبينة ، بشاهد منهم : وهو الرسول المبعوث إليهم . وهؤلاء هم جل أصحاب رسول الله ﷺ .
فإن الله جعل الرسل شهوداً على أممهم ، ولأممهم .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وعبد الرزاق وأبو عوانة وابن حبان والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الأسماء والصفات وابن منده في الإيمان وابن خزيمة في التوحيد والدارقطني في الرؤية وابن أبي عاصم في السنة عن أبي هريرة ﷺ .

فمع كون هذا المؤمن على بينة من ربه – حين تجلَّى له – تلاوة – في تلك الحال – شاهد منه – وهو الرسول ، فأقامه له في الشهود مرآة ، فقال له : هذا الذي جئتك من عنده ، فلما أبصره ، ما أنكره بعد ذلك ، مع اختلاف صور التجلي ، فربما كنى عنه – مَن هذه حالته من المؤمنين – بما وصف نفسه في كتبه ، وعلى ألسنة رسله ، أو وصفته به رسله ، فآمن العاقل المؤمن بذلك من كتاب الله ، وقول الرسول ، وكفر بذلك من قول صاحب هذه الحالة من المؤمنين المتَّبَعين (الأولياء) .

وأما غير المؤمنين ؛ فهم الذين يقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ؛ وهم الورثة ، الذين دعوا إلى الله على بصيرة ، كما فعل الرسل ، قال تعالى عنه ﷺ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ {يوسف : ١٠٨} . ومعنى البصيرة هنا : أي على الكشف ، مثل كشف الرسل .

فكيف آمن بهذا المؤمن من الرسول ؟ . وكفر به بعينه من التابع لرسول الله ﷺ – أخيه المؤمن – إذا جاء به . فلا أقل من أن يأخذه منه .

ما رأينا ولا سمعنا عن صاحب كشف إلهي من المؤمنين ، خالف كشفه ما جاء به الرسل جملة واحدة ، ولا تجده . فقد علمت الفرق بين العقلاء في معرفة عينه ، وبين الرسل والأولياء ، وما جاءت به الكتب المنزلة في ذلك .

فالمؤمن : عند ما أعطاه سبيله

والعاقل : عند ما أعطاه دليله

وَأَيْنَ حُكْمُ العَقْلِ مِنْ حُكْمِهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ عَلَى نَفْسِهِ
هَيْهَاتَ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُ إِلَّا بِهِ إِذْ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ
وَالعَقْلُ قَدْ أَدْخَلَ مَعْبُودَهُ بِفِكْرِهِ القَاصِرِ فِي حَبْسِهِ
وَقَالَ هَذَا وَلَدِي صُنْعُهُ فِي خَلَدِي فَهُوَ عَلَى قُدْسِهِ
كَلَامُ حَالٍ فَإِذَا حَوْقَلُوا قَالُوا تَعَالَى اللهُ فِي نَفْسِهِ
فَخَالِقِي المَخْلُوقُ فَاعْتَبِرْ فِي فَرْعِهِ الأَعْلَى وَفِي رَأْسِهِ

فعليك بعبادة الله التي جاء بها الشرع ، وورد بها السمع ، ولا تكفر بما أعطاك دليلك المؤدي إلى تصديقه ، وقصارى الأمر أن تسلم له ولأمثاله مقالته في ربه ، لثبوت صدقه ، وثبوت المؤمن على اتباعه . فإذا أنصفت في الأمر ، وعلمت ما نطقت به الرسل عليهم السلام في حق الله ، جوزت أن تهب من تلك المعرفة نفحة على قلوب المتبعين من المؤمنين ، تؤديهم إلى الموافقة في النطق ، وأنه حيث كان لسان الحق ، فتسلمه في الفرع ، كما سلمته في الأصل ، بجامع الموافقة ، وإياك والكفر ، فإنه غاية الحرمان ، فتكون من الذين آمنوا بالباطل ، وكفروا بالله ، أولئك هم الخاسرون .

قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ {الحجر : ٩٩} .

أي اعبد ربك المنعوت في الشرع ، حتى يأتيك اليقين ، فينكشف الغطاء ، ويحتد البصر ، فترى ما رأى ، وتسمع ما سمع ، فتلحق به في درجته ، من غير نبوة تشريع ، بل وراثة محققة ، لِنَفْسٍ مصدقةٍ مُتَّبِعَةٍ .

وهذا باب يتسع المجال فيه لاتساع الأفعال . فإن توحيد الأفعال يتسع باتساعها ، فإن نسب الأفعال لا تنتهي ، بل هي في مزيد ، ما دام الفعل يظهر من الفاعل ، ومنه طلب المزيد ، في قوله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ {طه : ١١٤} . فإن له في كل فعل تجلِّيًا خاصًّا ، لا يكون إلا لعين ذلك الفعل ، ولهذا يتميز كل فعل عن غيره بما يخصه من التجلي .

قَدْ قُلْتُ فِي الحَقِّ الَّذِي قُلْتُهُ ... لَا تَرْعَوَنْ فِيهِ وَلَا تَأْتِي
فَإِنَّهُ الحَقُّ الَّذِي جَـــاءَنِي ... مِنْ عِنْدِهِ وَهْوَ العَلِيمُ الوَلِي
فَكَيْفَ لِي بِرَدِّهِ وَهْــوَ لِي ... مُؤَيِّــدٌ بِكَشْفِهِ كَيفَ لِي ؟

إذا أضاف الحق نفسه إلى شيء من خلقه ، فانظر إلى عبادة من أضاف نفسه إليه ، فقم بها أنت ، فإنك النسخة الجامعة ، وما عَرَّفَك الحق بهذه الإضافة الخاصة إلا لهذا . ومثال ذلك الإله المضاف في : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ {البقرة : ١٦٣} . ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ﴾ {طه : ٥٠} . ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ

وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ {المزمل : ٩} . ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ {الشعراء : ٢٦} . ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ {الرحمن : ١٧} . فعطف وما أظهر الإضافة ، كما فعل في غير ذلك . ما فعله سدى .

فاعبد ربك ، على ما قلته لك في كل إضافة ، حتى يأتيك اليقين .

وإذا أتاك اليقين ، انجلى لك الأمر ، وعرفت شرف الإضافة .

ما عبد أحد الإله المطلق عن الإضافة ، فإنه الإله المجهول .

ومن ذلك السبحات ، لأرباب اللمحات .

فلما قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ {الحجر : ٩٩} . فإن الكاف في ربك هي سيدنا محمد . أي اعبد رب محمد . وما ذكر رب محمد هنا سدىً ، وإنما قاصداً بذكره أن تعبده بشرعه ، لأنه الصراط المستقيم الموصل إلى كشف الغطاء .

ومن هنا قال باب مدينة العلم الإمام علي كرم الله وجهه : (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا) . لأن النبي ﷺ قال فيه : ﴿عَلِيٌّ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُ﴾ (١) .

١- رواه ابن ماجة وأحمد في مسنده وفي فضائل الصحابة والطبراني في الكبير وأبو يعلى وابن أبي شيبة والنسائي في السنن وفي الخصائص وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وابن عساكر في تاريخه عن حبشي بن جنادة السلولي ﷺ .

وقل رب زدني علما

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ {طه : ١١٤} .

- ومَن طلب الزيادة فما ارتوى ، وما أمره إلى وقت معين ، ولا لحد محدود ، بل أطلق ، فطلب الزيادة والعطاء دنيا وآخرة .
- ومن قنع ، جهل ، وأساء الأدب ، فلا يزهد في الطلب عاقل ، فإن الله ما أراد منك في هذا الأمر إلا دوام الافتقار ، ووجود الاضطرار ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ {الشرح : (٧ – ٨)} .

فلا تقطع المعاملة ، وعليك باستعمال المراسلة في طلب المواصلة . مواصلة لا أمد لانقضائها ، ولا راد لقضائها .

فاليدان مبسوطتان ، واليدان مقبوضتان .

قبضت ما أعطاها الخلق ، وانبسطت بما يجود به الحق .

فلا يقبض الحق من العباد ؛ إلا بما به عليهم جاد .

فمنه بدا الجود ، وإليه يعود .

ما بيد مخلوق سوى مخلوق .

فيا من يطلب القديم ؛ أنت عديم .

لا يقبل الحق إلا الحق ، ولا يهب الخلق إلا الخلق .

فالزم عملك ، وقصر أملك . وقل له تعالى : إنما نحن بك ولك ، خلقتنا لنعبدك ، فطلبنا منك أن نشهدك ، فعلى قدر ما سألنا من الشهادة ينقصنا من العبادة ، فأنت الدال والمدلول والدليل عليك سبحانك .

- ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ {طه : ١١٤} . يريد التزود من العلم به ، من حيث ما له تعالى من الوجوه في كل مخلوق ومُبْدَع ، وهو علم الحقيقة ، فما طلب الزيادة من علم الشريعة ، بل كان يقول : ﴿**اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ**﴾ (١) .

- ما قال الله لنبيه ﷺ : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ {طه : ١١٤} . وما أسمعنا ذلك ، إلا تنبيهاً لنا ، لنقول ذلك ، اقتداء به ﷺ ، ونطلبه من الله . ولو كان مخصوصاً بالنبي ﷺ ، لم يكن ليُسمعنا إياه ، أو كان يذكر أنه خاص به ﷺ ، كما خصه بنكاح الهبة .

١- بهذا اللفظ رواه الترمذي وعبد الرزاق عن أبي هريرة ﷺ . وبلفظ : ﴿**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ**﴾ رواه البخاري في صحيحه والدارقطني عن أبي هريرة ﷺ . وبلفظ : ﴿**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ**﴾ رواه مسلم في صحيحه والنسائي وابن ماجة وأحمد والبيهقي والطبراني وأبو يعلى والحميدي وابن حبان وابن خزيمة وابن راهويه عن أبي هريرة ﷺ .

- قال الله تعالى في العبد الصالح المسمى بالخضر : ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ {الكهف : ٦٥} . ولما لم يكن هذا العلم عند موسى عليه السلام ، أنكر عليه ، مع تكرار التنبيه من العبد الصالح في كل مسألة ، فقيل لرسول الله ﷺ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ {طه : ١١٤} . لأنه كلما زاد علماً ؛ زاد أيضاحاً وكشفاً واتساعاً وانشراحاً ، وتنزها في الوجوه التي سفرت من براقعها ، وظهرت من وراء ستورها ، فارتفع الضيق والحرج ، وشوهد الكمال في النقص ! .

- فإذا سأل الإنسان ربه مزيد العلم ؛ فليسأل كما أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ، إذ قال له : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ {طه : ١١٤} . فنكَّرَ ، ولم يُعَيِّن ، فعَمَّمَ . فأي علم نزل عليه ؛ دخل تحت هذا السؤال ، فإن النزول عن سؤال أعظم لذة من النزول عن غير سؤال ، فإن في ذلك إدراك البغية ، وذلة الافتقار ، وإعطاء الربوبية حقها ، والعبودة حقها ، فإن العبد مأمور أن يعطي كل شيء حقه ، كما أعطى الله كل شيء خلقه ، وفي العلم المنزل عن السؤال من علو المنزلة ما لا يقدر قدر ذلك إلا الله ! .

- جناب الله أوسع من أن ترضى منه باليسير ، ولكن ارضَ عنه ، لا ، منه . لأن الرضى منه يقطع همم الرجال ، والله يقول آمراً نبيه ﷺ : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ {طه : ١١٤} . مع كونه ﷺ قد حصَّل علم الأولين والأخرين ، وأوتي جوامع الكلم . فإنه لا يعظم على الله شيء طُلِب منه ، فإن المطلوب منه لا يتناهى ، فليس له طرف نقف عنده ، فوسِّع في طلب المزيد ، إن كنت من العلماء بالله ، وإذا كان اتساع الممكنات لا يقبل التناهي ؛ فما ظنك بالاتساع الإلهي فيما يجب له ، فإذا ترك العبد الرضى ؛ فعلى هذا الحد يتركه ، فهو راض عنه ، لا راض منه ، لأن الرضى منه جهل به ، ونقص ، والعبد الكامل مخلوق على صورة الكمال ! .

- يقول النبي ﷺ في شأن يوم القيامة : ﴿فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ ، لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ﴾ (١) . فالله تعالى لا يزال خَلَّاقاً إلى غير نهاية فينا ، فالعلوم إلى غير نهاية .

- قال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ {طه : ١١٤} . وليس المراد إلا العلم

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وابن منده في الإيمان والبيهقي في الاعتقاد وابن خزيمة في التوحيد وابن أبي عاصم في السنة والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن أنس بن مالك ﷺ . وأحمد وابن شاهين واللالكائي عن ابن عباس ﷺ .

المتعلق بالله ، كشفاً ودلالة ، وكلمات الله لا تنفد ، وهي أعيان موجوداته ، فلا يزال طالب العلم عطشاناً أبداً ، لا رِيَّ له ، فإن الاستعداد الذي يكون عليه ، يطلب علماً يحصله ، فإذا حصل ، أعطاه ذلك العلم استعدادا لعلم آخر ، فإذا علم بهذا العلم ؛ يعطش إلى ما بعده ، فطالب العلم كشارب ماء البحر ؛ كلما ازداد شرباً ، ازداد عطشاً . والتكوين لا ينقطع ، فالمعلومات لا تنقطع ، فالعلوم لا تنقطع ، فأين الري ؟ . فما قال به إلا من جهل ما يُخلق فيه على الدوام والاستمرار .

- لا تعلم من الله إلا ما يكون منه ، ويُوجده فيك ، إما إلهاما ، وإما كشفاً ، عن حدوث تجلٍّ . وهذا كله معلوم محدث ، فلا علم لأحد إلا بمحدث ، ممكن مثله ، والممكنات لا تتناهى ، بل توجد مع الآنات .
- فلا يعلم الله إلا الله ، ولا يعلم الكون المحدث إلا محدثاً مثله ، يكونه الحق فيه ، قال تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ {الأنبياء : ٢} . وهو كلامه ، وحدث فيهم ، فتعلق علمهم به ، فما تعلق إلا بمحدث ، وذلك الذي يتخيله من لا علم له ، من أنه علم الله ، فلا صحة له ، وعلمنا بهذا محال ، فعلمنا بالله محال ، فسبحان من لا يُعلم إلا بأنه لا يُعلم ! .

وإنك لعلى خلق عظيم

كان رسول ﷺ يقول في دعائه : ﴿... **وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ . وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا ، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**﴾(١) .

قال تعالى في رسوله ﷺ : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ {القلم : ٤} .

ولما سُئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت : ﴿ **كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ** ﴾ (٢) والخُلُقُ : هو النعت والصفة ،

١- رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي والدارمي وأبو عوانة وأبو يعلى والدارقطني وابن حبان وابن خزيمة والطيالسي وابن المنذر والبزار والخرائطي عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . والنسائي والدارقطني والطبراني عن جابر بن عبد الله ﷺ .

٢- رواه البخاري في الادب المفرد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يزيد بن بابنوس عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن سعد بن هشام عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي الدرداء عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن زينب بنت يزيد بن وسق عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

وكمال الاتصاف بالصفة ؛ أن يصبح الموصوف عين الصفة ، **لذا قيل عن المصطفى ﷺ أنه : كان قرآنا يمشي بين الناس .**

وقال رسول الله ﷺ عن نفسه : ﴿**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي بِتَمَامِ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ ، وَكَمَالِ مَحَاسِنِ الأَفْعَالِ**﴾ (١) .

كل فعل أتى به رسول الله ﷺ يُوصف بأنه من مكارم الأخلاق ، ولو لم يكن كذلك ؛ ما أتى به رسول الله ﷺ الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق .

فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ – ممن لم يدركه من أمته – فلينظر إلى القرآن ، فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ ، فكأن القرآن أنشأ صورة جسدية يقال لها : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

والقرآن كلام الله ، وهو صفته ، فكان سيدنا محمد ﷺ صفة الحق تعالى بجملته ، فإنه : ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ**﴾ {النساء : ٨٠} . لأنه تعالى قال فيه : ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ**﴾ {النجم : ٣} . فهو ﷺ لسان الحق .

فيكون سيدنا محمد ﷺ ما فُقد من الدار الدنيا ، لأنه صورة القرآن العظيم .

فمن كان خلقه القرآن من ورثته ، وأحيا سنة المصطفى ﷺ ، فقد بعث

١- رواه الطبراني في الأوسط وفي مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب والتبريزي في مشكاة المصابيح عن جابر بن عبد الله ﷺ . وفي موطأ الإمام مالك بلفظ : ﴿**بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ**﴾ .

سيدنا محمداً ﷺ من قبره . فحياة رسول الله ﷺ بعد موته هي حياة سنته : ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ {المائدة : ٣٢} . فإنه المجموع الأتم ، والبرنامج الأكمل .

شرع لنا رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق وحسن الأدب ، ما علَّمنا به كيف نتعامل مع الله تعالى ، وكيف نتعامل مع ما سوى الله من مَلَك مطهر ، ورسول مكرم ، وإمام جعل الله أمور الخلق بيده ، وزوج وزوجة ، وقرابة وولد ، وخادم وجارية ، ودابة وحيوان ونبات وجماد ، فمن اتبع رسول الله ﷺ في ذلك كله ، كان منه ﷺ ، وهو ﷺ منه .

أورد الرازي والنيسابوري في تفسيريهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : **﴿تَخَلَّقُوا بِأَخْلاقِ اللهِ﴾** . وهو ما تطلق عليه الطائفة مصطلح : التحلي .

قال رسول الله ﷺ : **﴿إِنَّ لله – عَزَّ وَجَلَّ – لَوْحًا مِنْ زَبَرْجَدٍ أَخْضَرَ ، جَعَلَهُ تَحْتَ العَرْشِ ، كَتَبَ فِيهِ : إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، خَلَقْتُ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَمائَةِ خُلُقٍ ، مَنْ جَاءَ بِخُلُقٍ مِنْهَا – مَعَ شَهَادَةِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ – دَخَلَ الجَنَّةَ﴾** (١) .

١- بهذا اللفظ رواه الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس ﷺ . وبلفظ : **﴿إن بين يدي الرحمن تبارك وتعالى لوحاً ، فيه ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة ، يقول الرحمن : وعزتي وجلالي لا يجيئني عبد من عبادي – لا يشرك بي =**

وشهادة الله تعالى في حق رسوله ﷺ ، بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ {القلم : ٤} تعني أنه ﷺ متخلق بها جميعا .

سُئِلَ الإمام الجنيد ﷺ عن المعرفة والعارف فقال : (**لَوْنُ المَاءِ لَوْنُ إِنَائِهِ**) . أي هو متخلق بأخلاق الله تعالى ، حتى كأنه هو ، وما هو هو ، وهو هو .

الأديب هو الجامع لمكارم الأخلاق ، والعليم بسفسافها ، لا يتصف بها ، بل هو جامع لمراتب العلوم ؛ محمودها ومذمومها ، لأنه ما من شيء إلا والعلم به أولى من الجهل به عند كل عاقل ، فالأدب جماع الخير ، وهو ينقسم إلى أربعة أقسام في اصطلاح أهل الله :

القسم الأول : أدب الشريعة ، وهو الأدب الإلهي ، الذي يتولى الله تعليمه بالوحي والإلهام ، به أدَّب الله تعالى نبيه ﷺ ، وبه أدَّبنا نبيه ﷺ ، فهو ﷺ المؤَدَب والمؤَدِب . قال رسول الله ﷺ : ﴿ **أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي** ﴾ (١) .

= **شيئاً – فيه واحدة منكن ، إلا أدخلته الجنة**﴾ . أخرجه عبد بن حميد في مسنده وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري ﷺ . وبلفظ : ﴿**إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا ، من أتى بخلق منها ، دخل الجنة**﴾ رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول والطبراني في مكارم الأخلاق عن سيدنا عثمان ﷺ .

١- ذكره العسكري في كتابه " الأمثال " والسرقسطى في كتابه "الدلائل " والسيوطي في كتابه " الجامع الصغير " وابن السمعاني في " أدب الإملاء " وأبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان . ومعنى الحديث صحيح ، ولكن سنده ضعيف ، وإن صححه أبو الفضل بن ناصر .

والقسم الثاني : هو الأدب مع رسول الله ﷺ ، وهو مفتاح كل خير ، ومغلاق كل شر . انظر إلى ساداتنا من الصحابة ؛ كيف كان أحدهم – إذا أساء شخص الأدب مع رسول الله ﷺ – يسل سيفه ، ويهم بقتله ، فما استحق الحياة من أساء الأدب مع رسول الله ﷺ ، ذلك فضلا عن خروجه عن الملة الإسلامية ، بنص القرآن ، حيث قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ {النساء : ٦٥} . وقال في دقائق الأدب معه ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ {الحجرات : (٤ – ٥)} . فجعل مجرد رفع الصوت بالنداء عليه ﷺ من السفه وانعدام العقل ، وجعل محبته تعالى وغفرانه رهن باتباع الرسول ﷺ ، فقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ {آل عمران : ٣١} .

والقسم الثالث : هو أدب الخدمة ، وهو ما أصطلحت عليه الملوك في خدمة خدمها ، وملك أهل الله هو الله ، فقد شرع لنا كيفية الأدب في خدمته ، وهو معاملتنا إياه ، فيما يختص به دون معاملة خلقه ، فهو

خصوص في أدب الشريعة ، لأن حكم الشريعة يتعلق بما هو حق لله ، وبما هو حق للخلق .

والقسم الرابع : أدب الحق ، وهو الأدب مع الحق في أتباعه ، عند من يظهر عنده ويحكم به ، أي الأدب مع أولياء الله ، فمن عَرَّفَكَ الله ولايته ؛ ترجع إليه ، وتقبله ولا ترده ، ولا تحملك الأنفة – إن كنت ذا كبر في السن أو المرتبة – وظهر الحق عند من هو أصغر منك سِنًّا أو قَدراً – أن تتأدب معه ، وتأخذ عنه ، وتعترف بفضله عليك . وهو جزء من آداب الشريعة ، فإن أدب الشريعة هو الأم لباقي الأقسام .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ {آل عمران : ٣١} .

ومن أحبّ الله ذلّ ، ومن أحبه الله دلّ .

فالمحب ذليل ، والمحبوب ذو دلال .

ولكن السؤال هو : كيف تعلم ولي الله ؟ . أمامك طريقان :

الطريق الأولى : الكشف ، فيريك الحق منازل الخلق عنده ، فتعامل كل طائفة بمنزلتها من الله ! . قال ابن عطاء الله رضي الله عنه في الحكم : (**سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصل إليه**) .

والطريق الثانية : ملازمة الأدب الإلهي . والأدب الإلهي هو ما شرعه تعالى لعباده في رسله ، وعلى ألسنتهم ، فالشرائع آداب الله التي نصبها لعباده ، فمن وَفَّى بحق شرعه ، فقد تأدّب بأدب الحق ، وعرف أولياء الحق . فإذا رأيت من جمع الخير بيديه ، وملأهما به ، فتعلم أنه قد أخذ بأدب الله ، فإن رسول الله ﷺ يقول لربه ، وهو الصادق المصدوق ، العالم بربه : ﴿**وَالخَيْرُ بِيَدَيْكَ**﴾ (١) . فالخير هو جماع مكارم الأخلاق ، وهي معروفة عرفاً وشرعاً .

قال رسول الله ﷺ : ﴿**إنما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**﴾ (٢) . ومعنى هذا أنه لما قسمت الأخلاق إلى مكارم وإلى سفساف ، وظهرت مكارم الأخلاق كلها في الشرائع المنزلة على الأنبياء والرسل ، وتبين سفسافها من

١- رواه مالك في الموطأ ومسلم في صحيحه وأبو داود والبيهقي في السنن وأبو عوانة والحميدي عن عبد الله بن عمر ﷺ . وأبو عوانة والدارقطني وابن حبان والبيهقي في المعرفة والطحاوي عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

٢- رواه بهذا اللفظ البيهقي في السنن وتمام في فوائده والشهاب القضاعي في مسنده والماوردي في أدب الدنيا والدين والقاضي عياض في الشفا عن أبي هريرة ﷺ . وبلفظ ﴿**إنما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**﴾ رواه أحمد والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب والطحاوي وابن بشران في أماليه والبخاري في الأدب والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة ﷺ وابن أبي شيبة عن زيد بن أسلم ﷺ . وبلفظ ﴿**إنما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ**﴾ رواه مالك في الموطأ والتبريزي في مشكاة المصابيح بلاغا .

مكارمها عند الجميع ، وما في العالم – على ما يقوم عليه الدليل ويعطيه الكشف والمعرفة – إلا أخلاق الله ، فكلها مكارم ، فما ثم سفساف أخلاق .

فبعث رسول الله ﷺ بالكلمة الجامعة إلى الناس كافة ، وأوتي جوامع الكلم ، وكل نبي تقدمه على شرع خاص ، فأخبر ﷺ أنه بُعث ليتمم مكارم الأخلاق ، فما ترك ﷺ في العالم سفساف أخلاق ؛ إلا وأبان لنا مصارف لهذا المسمى سفساف أخلاق ، من حرص وحسد وشره وبخل وفزع ، وكل صفة مذمومة ، فأعطانا لها مصارف ؛ إذا أجريناها على تلك المصارف ، عادت مكارم أخلاق ، وزال عنها اسم الذم ، وكانت محمودة ، فتمم الله به مكارم الأخلاق ، فلا ضد له ، كما أنه لا ضد للحق ، وكل ما في الكون أخلاقه ، فكلها مكارم ، ولكن لا تُعرف ، وما أمر الله باجتناب ما يجتنب منها ؛ إلا لاعتقادهم فيها أنها سفساف أخلاق ، وأوحى إلى نبيه ﷺ أن يبين مصارفها ، ليتنبهوا . فمنا مَنْ عَلِمَ ، ومنا مَنْ جَهِلَ ، فهذا معنى قوله ﷺ أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، وبه كان خاتماً .

الخلة

قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ {النساء : ١٢٥} .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿ أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خِلٍّ مِنْ خِلِّهِ . وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا ؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا . إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الله ﴾** (١) .

إنما تبرأ رسول الله ﷺ من كل خِلٍّ ، لأن المخاللة الحقيقية لا تصح إلا بين الله وبين عبده ، وهو مقام الفناء .

ولا تصح المخاللة بين المخلوقين .

ولكن قد انطلق اسم الأخلاء على الناس ، وقُصِدَ به الصحبة ، في قوله تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ {الزخرف : ٦٧} . فالخلة هنا المعاشرة ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : **﴿ المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ ﴾** (٢) .

١- رواه مسلم في صحيحه والترمذي وصححه وابن ماجة وأحمد والنسائي والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى والحميدي وابن حبان والطيالسي والبزار عن ابن مسعود ﷺ .

٢- رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه وابن بطة في الإبانة والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد والشهاب والطيالسي وابن راهويه وابن بشران والخرائطي وابن المقرئ عن أبي هريرة ﷺ .

وقيل في مقام الخلة :

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَبِـذَا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيـلا

وإنما قلنا أنه لا تصح الخلة إلا بين الله وبين عبده ، لأن وجود أعيان الأشياء هو عين قيامها بالحق لا غير ، ووجود الشيء لا يمتاز عن عينه ، فلهذا لا تصح الخلة إلا بين الله وعبيده خاصة ، إذ هذا الحال لا يكون بين المخلوقين ، لأنه لا يُستفاد من مخلوق وجود عين ، فاعلم ذلك .

واعلم أن شروط الخلة لا تصح بين المؤمنين ، ولا بين النبي وتابعيه .

فإذا لم تصح شروطها ، لا تصح هي في نفسها .

المؤمن تصح الخلة بينه وبين الله ، ولا تصح بينه وبين الناس ، لكن تسمى المعاشرة التي بين الناس – إذا تأكدت في غالب الأحوال – خلة .

والنبي ليس له خليل ، ولا هو صاحب لأحد سوى الله ، لذا فقد كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه : « **اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَالخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ** » (١) . فلا خليل إلا الله .

١- رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي والنسائي والدارمي وابن حبان وابن خزيمة عن ابن عمر رضي الله عنهما . وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه . والترمذي وأحمد والبيهقي والنسائي وابن خزيمة عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه . وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي والطبراني وأبو يعلى وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما . والنسائي وأبو يعلى عن البراء رضي الله عنه .

إذا تخللت المعرفة بالله أجزاء العارف ، لا يبقى فيه أي جزء إلا وقد حلت فيه معرفة ربه ، فهو عارف به بكل جزء فيه ، ولولا ذلك ما انتظمت أجزاؤه ، ولا ظهرت روحانيته . فإذا أحس الإنسان بما ذكرناه ، وتحقق به وجوداً وشهوداً ، كان خليلاً ، فمن حصل في هذا المقام ، كان حاله في العالم نعت الحق ، فبه يرزق مع كفر النعم ، ويملي ، ليزداد ذلك الشخص إثماً ، فيظهر عظم المغفرة وسلطان العفو والتجاوز . وذلك لأن محبة الله تعالى قد تخللت نفسه ، وخالطتها مخالطة تامة ، أو لتخلقه بأخلاقه تعالى ، ومن هنا كان من صفات الخليل إكرام الضيف والإحسان إليه ولو كان كافراً ، فإن من صفات الله تعالى الإحسان إلى البرِّ والفاجر . وروي أنه نزل ضيف من غير ملة إبراهيم ، بإبراهيم عليه السلام ، فقال له إبراهيم : وَحِّد الله حتى أكرمك وأضيفك ، فقال : يا إبراهيم من أجل لقمة أترك ديني ودين آبائي ! . فانصرف عنه ، فأوحى الله إليه : يا إبراهيم صَدَقَكَ ، لي سبعون سنة أرزقه ، وهو يشرك بي ، فتريد أنت منه أن يترك دينه ودين آبائه لأجل لقمة ! . فلحقه إبراهيم عليه السلام ، وسأله الرجوع إليه ليقريه ، واعتذر إليه ، فقال له المشرك : يا إبراهيم ما بدا لك ؟ . فقال عليه السلام : إن ربي عتبني فيك ، وقال لي : أنا أرزقه منذ سبعين سنة على كفره بي ، وأنت تريد منه أن يترك دينه ودين آبائه لأجل لقمة ! . فقال المشرك : أَوَقَدْ وقع هذا ! . مثل هذا ينبغي أن يُعبد ، فأسلم ورجع مع إبراهيم عليه السلام إلى منزله . ثم عمت كرامته

خلق الله من كل وارد ورد عليه ، فقيل له في ذلك ، فقال : تعلمت الكرم من ربي ، رأيته لا يضيع أعداءه فلا أضيعهم ، فأوحى الله إليه : أنت خليلي حقاً .

قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ {البقرة : ١٢٥} . فهو تعالى ما نبهنا على اتخاذ مقام إبراهيم ﷺ مصلى ، إلا لننال ما ناله من الخلة ، على قدر ما يعطيه حالنا . فإن الله أمرنا أن نتخذه مصلى ، ونبهنا في صفة الصلاة على النبيّ ﷺ فقال لنا : ﴿ **قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾ (١) .

قوله : ﴿ **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ** ﴾ والمؤمنون آله .

﴿ **كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾ أي كما أعطيت إبراهيم الخلة .

فلما دعونا بها لرسول الله ﷺ ؛ أجاب الله دعاءنا فيه ، لنتخذ عنده يداً بذلك ، فصلى الله عنه علينا بذلك عشراً ، فقام تعالى عن نبيه ﷺ بالمكافأة لنا ، عناية منه ، به ، ﷺ ، وتشريفاً له ، حيث لم تكمل المكافأة في ذلك لملَك ، ولا غيره .

١- رواه البخاري في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن كعب بن عجرة ﷺ . والبخاري والنسائي وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ . وابن ماجة عن أبي حميد الساعدي ﷺ .

فقال النبيّ ﷺ – لما حصلت الإجابة من الله فيما دعوناه فيه لنبيه ﷺ – : ﴿ **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا ، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ** ﴾ (١) . ولكن صاحبكم – يعني نفسه ﷺ – خليل الله .

ولو صحت له هذه الخلة ، من قبل دعاء أمته له بذلك ، لكان غير مفيد صلاتنا عليه ، أي دعاءنا له بذلك .

فإن قيل قد حصلت الخلة بدعاء الصحابة أولاً ، فما فائدة دعائنا – ونحن مأمورون في هذا الوقت بالصلاة عليه – مع حصول الخلة ؟ .

فنقول : ربما نال الخلة قبل دعاء أصحابه ، وتكون نسبة دعائهم بها له ، كدعائنا اليوم . وحكم الخلة ما ظهر هنا ، وإنما يظهر ذلك في الآخرة ، ففي الآخرة تُنال الخلة ، لظهور حكمها هناك ، وأمّا الذي يظهر هنا منها ؛ لوامع تبدو ، وتؤذن بأنه قد أُهِّلَ لها ، واعتُني به .
ويمكن الجواب بأن لكل نفس منا حظا من سيدنا محمد ﷺ ، وهو الصورة

١- رواه مسلم في صحيحه والترمذي وصححه وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي في السنن الكبرى والطبراني وابن أبي حاتم والبيهقي والبزار وابن أبي عاصم في السنة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . والترمذي وحسنه وأحمد والبيهقي وأبو يعلى والحميدي وابن حبان والطيالسي عن أبي المعلّى رضي الله عنه . والترمذي وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنه . والطبراني عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه .

التي في باطنه ، أعني في باطن كل إنسان منه ﷺ : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ {الحجرات : ٧} . فهو ﷺ في كل نَفسٍ ، بصورة ما يعتقده فيه كل شخص ، فيدعو له بالصلاة عليه المذكورة ، فتَنال تلك الصورة المحمدية التي عنده ، تلك الحال المدعو بها ، بدعائه والصلاة عليه ، فما حصلت له ﷺ الخلة ، من هذا الوجه ، إلا بعد دعاء كل نفس له ﷺ ، والله أعلم .

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى

الموضــوع	الصفحة
حديث شريف	٣
ترجمة مولانا العارف بالله سيدي صلاح الدين التجاني ﷺ............	٥
متن كتاب : أنا محمد وأنا أحمد	٢٩
تمهيد	٣٢
نورانيته ﷺ	٣٨
بشريته ﷺ	٤٤
الخليفة ﷺ	٥٦
خلفاء رسول الله ﷺ	٦٣
التبعية المحمدية	٧٩
السجود للنبي ﷺ	٨٧
الوحي	٩٤
صفة الوحي	١٠٠
القرآن والسنة	١٠٧
القدوة ﷺ	١١٥
مقدمة في الطاعة والمعصية	١٢١
طاعته ومعصيته ﷺ	١٣٠
١- مسألة رضاع الكبير	١٣٩
٢- مسألة أمره ﷺ للبراء ﷺ بلبس الذهب	١٤٢
٣- مسألة ترخيصه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ﷺ بلبس الحرير..	١٤٣
٤- مسألة الذبح قبل صلاة الأضحى	١٤٥

الموضـــوع	الصفحة

٥- مسألة إقراره ﷺ شهادة خزيمة بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه بشهادة رجلين ١٤٦

٦- مسألة إقطاعه ﷺ تميما الداري رضي الله عنه أرض قومه بالشام ١٤٩

٧- مسألة اختصاصه ﷺ سراقة بن مالك رضي الله عنه بسواري كسرى ومنطقه وتاجه .. ١٥١

٨- مسألة ترخيصه ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في قبول الهدية ١٥٣

٩- مسألة إذنه ﷺ للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجمع بين اسمه وكنيته في الولد الذي يولد له بعده ١٥٥

١٠- مسألة إذنه ﷺ للإمام علي كرم الله وجهه بالمكوث في المسجد النبوي جُنُبًا ١٥٦

١١- مسألة تحريمه ﷺ على الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن يتزوج على السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ١٥٧

خاتمة ١٥٩

التشهد ١٧٤

الصلاة على النبي ﷺ ١٧٨

حياة النبي ﷺ بعد انتقاله ١٨٦

صلاة الفاتح ١٨٩

جوهرة الكمال.. ٢٠٦

رؤية النبي ﷺ ٢٢٢

دعوني ما تركتكم ٢٣٧

التجلي الذاتي والتجلي الأسمائي والصفاتي ٢٤٦

التجلي الذاتي في الموت ٢٥١

التجلي الذاتي في المرض ٢٥٤

التجلي الذاتي في البلاء ٢٥٧

اسم الله الأعظم ٢٦١

الأسماء النبوية.. ٢٦٤

الله جلَّ جلاله ٢٧٨

الموضـــوع	الصفحة
النور	٢٨٠
الأول والآخر	٢٩٣
الظاهر والباطن	٣٠٢
المؤمن	٣١٨
الغفار	٣٢١
الوكيل	٣٢٥
الحق	٣٢٨
الولي	٣٤١
الولي والخليفة	٣٥٧
حظ الولي	٣٦٠
معرفة الولي	٣٦٤
الشاهد والشهيد	٣٦٧
الهادي	٣٦٩
الرحمن الرحيم	٣٧٥
الهجرة	٣٨٤
المنتهى	٣٩٦
وقل رب زدني علما	٤٠٢
وإنك لعلى خلق عظيم	٤٠٧
الخُلَّة	٤١٥
فهرس المحتوى	٤٢١

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه الجزء الأول

ويليه

الجزء الثاني إن شاء الله تعالى